موسوعة تاريخ الأندلس

تأليف

الدكتور حسين مؤنس

الجزء الثاني

مكتبة الثقافة الدينية

موسوعة تاريخ الأندلس

موسوعة تاريخ الأندلس

تاريخ- و فكر و حضارة و تراث

تأليف

الدكتور / حسين مؤنس

الجزء الثاني

الطبعه الأولى

١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م

الناشر

مكتبة الثقافة الدينيه

٥٢٦ شاع بور سعيد القاهرة

ت : ٩٢٢٦٢٠ ـــ ٩٣٦٢٧٧

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينيه
٥٢٦ شاع بور سعيد القاهرة
ت : ٩٢٢٦٢٠ ـــ ٩٣٦٢٧٧

بداية الدولة العبادية وتاريخها

إلى آخر أيام

محمد بن إسماعيل بن عباد

قال ابن حيان: جاز إلى الأندلس بعد افتتاحها رهط من لخم تفرقوا فى أقطار الأندلس، فانحاز منهم إلى غربها أخوان اسماهما نعيم وعطاف، فنزل أحدهما بقرية يقال لها يومين، تناسل بها ولده مدة من الزمان، ثم انتقل بعضهم منها إلى مدينة حمص وهى إشبيلية فتنازل بها ولده وتعبدوا لخدمة الملوك من بنى أمية فصرفوهم فى الأمور العلية فكثرت فيهم الوجاهة والنباهة إلى دولة الحكم المقتفى بالله ودولة ابنه هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور محمد بن أبى عامر.

وكان قد نشأ فيهم إسماعيل بن عباد فقدمه محمد بن أبى عامر على خطة القضاء بإشبيلية، فدام له ذلك إلى أن انقرضت دولة الامامة من قرطبة ونزول الفتنة المبيرة، فأقام على خطة القضاء والأمانة بإشبيلية مع من نجم فى هذه الفتنة ممن يدعى خطة الأمانة وتحمل رسم الخلافة، فنظر فى صلاح أمورها وتصريفها على السداد إلى أن نزل الماء فى عينيه سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م. فقدحه ورجع شىء من بصره، فلم يستجز الحكم بين الناس به، فولى ولده أبا القاسم القضاء، واقتصر هو على شياخة البلد وتدبير الرأى، وكان آية من آيات الله علما ومعرفة وحكمة، فحمى مدينة إشبيلية من سطوة البرابر النازلين من حولها بالتدبير الصحيح والرأى الرجيح والنظر فى الأمور السلطانية إلى أن أتاه أجله سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٨م.

ذكر مدة القاضى ابى القاسم محمد بن عباد ونبذ من سيره وتغلبه على مدينة إشبيليـة :

هو أبو القاسم محمد بن ذى الوزارتين أبى الوليد محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن، وعطاف هو الداخل منهم إلى الأندلس فى طاعة بلج بن بشر القشيرى، وكان عطاف من أهل حمص من عرب

الشام لحمى النسب وموضعه من حمص الشام (والعريش فى آخر الجفار) بين مصر والشام، وكان نزول جده عطاف بقرية يومين من عمل إشبيلية كما ذكرنا.

فأما ذو الوزارتين أبو القاسم هذا أدرك متمهلا، وسما بعد إلى بلوغ الغاية، وكان القاسم بن حمود قد اصطنعه بعد مهلك أبيه إسماعيل، ورد عليه قضاء بلده، وحصل منه بمنزلة الثقة الأمين عنده، فخانه بعد بخون الإمام بعد إدبارها عنه إيثارا للحزم واعتلاقا بالولاية التى كان مضى له ولايته فيها إثر رقارق فصده عن إشبيلية ولده لما قصده من قرطبة مغلولا، وكان الذى وطأ له ذلك نفر من أكابرها المرتسمين بالوزارة مناغين فى ذلك لوزراء قرطبة على تحمليهم كبر ذلك لابن عباد كبر ذلك لأنافته عليهم فى الحال وسعة الهمة واجصتاتهم عليه ملك ثلث إشبيلية ضيعة وعلة يخادعونه بذلك عن نشب إبقاء منه على نعيمهم، وهو يشترى بذلك وهم لا يشترون إلى أن وقعوا فى الهوة، وكانوا جماعة منهم أبو بكر الزبيدى وبنى مريم وبنو العربى وغيرهم من نظرائهم راض بهم الأمور واستمال العامة حتى حصل على ملك البلد وأورثها عقبه.

فلما خاطبهم القاسم بن حمود بأن تخلى له الديار لمن يرد معه من البرابرة إليها للهيج الذى كان بقرطبة وقتل من قتل من أصحابه فيها، وكانت وقعة ظهر فيها أهل قرطبة على شيعة القاسم فاعتلت أيديهم وفر القاسم أمامهم من قرطبة إلى إشبيلية، فوقع الاتفاق من شيوخ البلد والقاضى ابن عباد على إغلاق أبواب البلد فى وجه القاسم بن حمود الحسنى وأن يُخرج إليه ولده وأهله، ففعلوا ذلك، وضبط الناس على كثرة الشيوخ إلى أن انفرد بالأمر من دونهم وسما بنفسه وأسقط جماعتهم وجرت له فى تدبيرهم أمور يشق إحصاؤها، ركب فيها أحزم طرق طلاب الدول حتى انفرد بسابقته معهد لدولته، وأجمع أهل عمله على طاعته، فدانوا له وسلك سيرة أصحاب الممالك بالأندلس لأول وقته، وقام بأيقظ جد وأصح عزم، واخترع فى الرياسة وجوها تقدم فيها كثيرا منهم وامتثل رسم ابن يعيش صاحب طليطلة من بينهم فى تمسكه بخطة القضاء وارتسامه باسمه وأفعاله

فى ذلك أفعال الجبابرة، وأقبل لأول وقته على ضم الرجال الأحرار من كل صنف، وشراء العبيد والجد يساعده، والأمور تنقاد له إلى أن ساوى ملوك الطوائف وزاد على أكثرهم بكثافة سلطانه وكثرة غلمانه وتدرج فى تدبير ذلك شيئا فشيئا ومارسه شأنا شأنا إلى أن استولى على آمده ومهد سلطانه واستقل به.

خبر المؤيد بالله بإشبيلية :

قال ابن حيان، ومن أشهر أخبار ابن عباد أنه نظر فى شأن من بقى يومئذ من فتيان بنى مروان فسقط إليه خبر المدعى المشبه بهشام بن الحكم، وكان قد تحدث أنه أفلت من يد سليمان قاهره، وأنه غاب ببلاد المشرق مدته الطويلة ثم عاد إلى الأندلس فأثر ذلك فى قلوب الناس لمقدمات سلفت فى الشك فى موته، إذ كان سليمان قاتله قد ترك إيذاءه للناس حسبما فعلته حزمة قبل جنمى خلعوه إما استخفافا من سليمان يومئذ بمن ملك نواصيهم بالقهر أو ما شاء الله من غلط أصاب المقدار سبقه لقضاء سبق فى أم الكتاب، فلم تزل طائفة من شيعته تنفى موته وتروى فى ذلك روايات تبعد عن الحقيقة وتصدر عن نسوان وخصيان من أهل القصر بقرطبة إلى أن علق ذلك من فوقهم من شيعة المروانية فشدوا أواخر خلاصه وقطعوا على حياته، فوصفوا أنه اضطرب بقرطبة فى دولة البرابرة ممتهنا نفسه فى طلب المعيشة، ثم زعموا بعد حين أنه عبر إلى أرض المشرق وساح فى ذلك الأفق وقضى كل المناسك هنالك، ثم كر راجعا إلى دياره لأمد محدود ولكرة الدولة المروانية ولم تحدث على يديه الأنباء البديعة فدانوا كما تسمع بالرجعة دينونة الشيعة وتاهوا فى ذلك بتضليل سخر منهم أهل التحصيل إلى أن ظهر على زعمهم بالمرية سنة ٤٢٦هـ ١٠٤٤م فى أيام زهير الصقلبى.

ولم تزل قصة هذا المشبه بهشام تدب على قلوب الناس دبيب النار فى الفحم فدبر ابن عباد

أمره، واهتبل الغرة فى ذلك، وأنه أقل ما يجنى له منه دفع مكروه ابن حمود، ونظم الناس على حربه، فأخبر أنه حصل هشام عنده، وجمع له من بقى بإشبيلية من نساء القصر والخدم فاعترف به أكثرهم ووقفوا على عتيه، وأومأ إلى فئامهم عنده بما يريد فيه، فاجتنبوا خلافة واتبعوا موافقته، فوجد ابن عباد بذلك سبيلا إلى ما دبره من حرب ابن حمود، وحجبه عن أعين الناس، وبث كتبه بذلك إلى سائر الرؤساء، واستنهضهم للاجتماع على دعوة هذا الخليفة المحبوس بفك الرقاب وكره الإمام، والجهاد دونه، فكثر الخوض بالأندلس فى ذلك، ومالت نفوس أهل قرطبة فى نصبه إماما للجماعة وأشخصوا الرسل للوقوف على عينه وتثبيت الشهادة فيه، وزور ابن جهور وغيره فى ذلك شهادات مبهم ابتغاء عرض الدنيا وإذعانا من ابن جهور أيضا لما رآه من دفع ابن حمود الفاغر فاه على قرطبة، فرجع منه سريعا إلى الاعتراف بالخطأ بقية عمره بعد عظم ما انبعث فى ذلك من الفتن وجرت من المحن وصُرع من الجبابرة ونقل من الدول.

وقال ابن القطان: كان لأبى القاسم بن عباد هذا ولد اسمه القاسم، نشأ فى معرس ملك شابل إلى أن طلب الملك، فحاصر هذا الفتى فى بحور الحروب وقود العسكر والانغماس فى الفتنة العمياء إلى أن وقعت له وقعة مع يحيى بن على بن حمود صاحب قرمونه فهزم يحيى وحز رأسه وحمله إلى أبيه بإشبيلية فى سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م. وصار محمد بن عبد الله البرزالى من جيش ابن عباد إلى قرمونة فدخلها وملكها على ما كان عليه بها قبله.

وقتل إسماعيل هذا فى آخر المحرم سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م فى حرب كانت بينه وبين باديس والقاضى أبوه حى، ووجد رأس يحيى بى على بن حمود فى خزائن المعتمد بن عباد بعد مدة طويلة فطلبته حفيدته شيعه من الأمير سير، وكان بعلها فدفنته فى المسجد الذى قتل فيه عبد العزيز بن موسى بن نصير وكان فى أذن الرأس براءة فيها يحيى بن على...

قال ابن القطان: وكان قد ذكر أن هشاما فر من الفتنة ورفض الملك وكتم أمره وأخفى نفسه فى مدة طويلة واستقر فى قرية من قرى إشبيلية يؤذن فى مسجدها ويعمره ويتقوت من العمل فى الحلفاء فحرج إلى أرض المشرق فتسامع فى ذلك الأفق، ثم فر راجعا إلى دياره لأمد محدود ولكرة الدولة المروانية، ولم تحدث على يديه الأنباء البديعة فدانوا كما تسمع بالرجعة دينونة الشيعة، وتاهوا فى ذلك بتضليل سخر منهم أهل التحصيل إلى أن ظهر بزعمهم بالمرية سنة ٤٢٦هـ/ فى أيام زهير الصقلبى.

دولة أبي عمرو عباد بن إسماعيل بن عباد اللخمي:

كنيته أبو عمرو، لقبه المعتمد بالله، ولى الأمر فى إشبيلية بعد وفاة أبيه القاضى فى منسلخ جمادى الأولى سنة ٤٣٣هـ/ يناير ١٠٤٣م، واستولى على غرب الأندلس مثل شلب وشنت برية (الغرب) ولبلة وشلطيش وجبل العيون وغيرها، وصارت تلك الجهات كلها فى طاعته وقدم عليها بطاعته وقدم عليها عماله سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م. وتوفى سنة ٤٦١هـ/ ١٠٣٩م من علة الذبحة شبيها بالفجاءة.

قال ابن حيان: وعشى الأربعاء لست خلون من جمادى الآخرة ٤٦١هـ/ ١٠٣٩م طرق قرطبة نعى المعتضد عباد زعيم ثوار الأندلس وكان فى وقته أشد المسلمون وشهاب الفتنة، ذو الأنباء البديعة والحوادث الشنيعة، والوقائع المبيرة والهمم العلية والسطوة الأبية، فرماه الله بسهم من سهامها المصمية أجد ما كان فى اعتلائه، وأرقى ما كان فى سمائه، وأطمع ما كان فى الاحتواء على الجزيرة الأندلسية، محتقرا لها عند تشميره الذيل بفتنة لا كفاء لها فتوفاه الله على فراشه من علة ذبحة قصيرة الأمد، وكان قد اعتمد سيرة أحمد بن أحمد بن المتوكل أحد أشداء الخلفاء العباسيين الذى ضم نشز المملكة بالمشرق وسطا بالمنتزين عليها، وبموته انتهت وتهدمت الدولة،

فتحمل عباد سمته المضطربة، وطالع بفضل نظره أخباره السياسية التى أضحت عند أهل النظر أمثلة هادية للاحتواء على أمد الرياسة فى صلابة العصا وشناعة السطاء. فجاء منها بمهولات تذعر من سمع بها فضلا عمن عاينها ولم يقصر مع ذلك عن الهمم العلية والرتب الملوكية، فابتنى القصور السامية، واعتمر العمارات، واقتنى الأعلاق النفيسة وارتبط الخيول واقتنى الغلمان واتخذ الرجال وانتقاهم من كل فرقة فأس وثقاتهم ما بين إدرار الأعطية وضمان الزيادة على صدق الصيال والوفاء بالوعيد على النكول من الغد، وسياسة أعيت على أنداده من أمراء الأندلس فخرج منهم رجالا مساعير حروب أباد بهم أقتاله.

ومن نوادر أخباره أن نال بغيته وأهلك تلك الأمم العاتية وإنه لغائب عن مشاهدتها مترفه عن مكابدتها، مدبر فوق أريكته منفذ لحيلها من جوف قصره، يدبر داخلا أموره، جرد نهاره لإبرام التدبير وأخلص ليله لتملى السرور، فلا يزال تدار عليه كؤوس الراح ويحيا عليها بقبض الأرواح التى لا تناسبه عن أعدائه، بباب قصره حديقة تطلع بكل وقت تمرا من رؤوسهم المهداة إليه مقرطة الآذان برقاع الأسماء المنوهة لحاملها، ترتاح نفسه لمعاينتها، والخلق يذعرون من التماحها وهو واصل نعيم ليله بآجلة فكره، وسندع فساد لهوه بقوة أيديه.

وقد كانت لعباد وراء هذه الحديقه المالئة قلوب البشر ذرعا مباهاة بخزانة بلوى، أكرم لديه من خزانة جوهر مكنونة جوف قصره زانها هام الملوك الذين أبادهم بسيفه، منها رأس محمد بن عبد الله البرزالى شهاب الفتنة ورؤوس الحجاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم، الذين قرن رأسهم برأس إمامهم الخليفة يحيى بن على بن حمود سابقهم إلى تلك الوقعة، فخص رؤوسهم بالصون وبالغ فى تطييبها وتنظيفها للثواء لا للكرامة، واودعها المصاون الحافظة لها، فبقيت عنده ثاوية تجاوب سائلها اعتبارا، ولما خلع ابنه المعتمد وجد فى جوالق له تلك الرؤوس.

قال ابن بسام: لما افتتح المرابطون إشبيلية وخلع المعتمد حدثت أنه وجد له جوالق مطبوع

عليها، فظن أن ذلك مال وذخيرة، فإذا هو مملوء رؤوسا فأعظم ذلك وهال أمره. ودفع كل رأس منها إلى من كان بقى من عقبهم بالخضراء.

حدثنى من رأى رأس يحيى بن على بن حمود يومئذ ثابت الرسم متغير الشكل، فدفع إلى بعض ولده فدفنه.

قال ابن حيان: وكان عباد قد أوتى من جمال الصورة وتمام الخلقة، وفخامة الهيئة ما فاق به أيضا نظراءه، ونظر فى الأدب مع ذلك قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان أدنى نظر بأذكى طبع حصل منه لثقوب ذهنه على قطعة وافرة علقها من غير تعهد لها ولا إمعان فى غمارها ولا إكثار من مطالعتها أعطته فتيجتها على ذلك ما شاء من تجير الكلام، وقرض قطع من الشعر ذات طلاوة فى معان أمدته فيها الطبيعة وبلغ فيها الإرادة، واكتتبها الأدباء للإفادة، فجمع هذه الخلال الظاهرة والباطنة إلى جود كف جارى بها المسحاب.

وأخبار عباد فى جميع أفعاله وضروب أنحائه عالياته وسافلاتها غريبة بعيدة.

وكان على جرأته فى إحكام التدبير لسلطانه ذا كلف بالنساء فاستوسع فى اتخاذهن، وخلط فى أجناسهن، فانتهى فى ذلك إلى مدى لم يبلغه أحد من نظرائه فقيل إنه خلف من صنوف السريات منهن خاصة نحوا من ٧٠ جارية إلى حرته الخطبة لديه الفذة فى حلايله بنت مجاهد العامرى أخت على بن مجاهد صاحب دانية والجزر الشرقية ففشا نسل عباد ولتوسعه فى النكاح وقوته عليه فذكر أنه كان له من ذكور الولد نحو عشرين ومن الإناث مثل ذلك.

وكان كثيرا ما يرتاح فى شعره إلى ذكر الطائفة التى كانت يومئذ تحاربه فأكثر قوله فيهم وذكر فتح رنده:

لقـــــد حـــــصلت يـا رنـده
وصــــــرت لملكنا عـــــقـــــده
فـكـم مـن عـــــدة قـــــتـلت
منهـم بـعـــــده عـــــده
نـظـمت رؤوســــهم عـــــقـــــدا
فــــحلت لبـــــة الشـــــده

واعجب المتعضد يومئذ بهذه القصيدة الرندية وأخذ الناس بحفظها وحملهم على ضبطها وعلى ذكره وذكرهم، فلنلمع بشيء من أمرهم على الجملة ثم نذكر لمعا منه على طول السنين.

فنبدأ الآن برؤساء غرب إشبيلية إذ كانوا دخان ناره وجرية تياره إلا ما كان من ثبوت قريعة المظفر بن الأفطس، فإنه نازعه لبوسها وعاطاه إلى أخر أيامه كؤوسها، لهما فى ذلك غير ما مجال وميدان.

وقد سرد قصصهما أبو مروان بن حيان وألمع بعيونها وأقبل بظهورها لبطونها حسبما ذكره ابن بسام.

بعض حروب المعتضد بن عباد مع المظفر بن الافطس وغيره:

قال ابن حيان: أول ما ظهر من تناشد عباد والمظفر بن الافطس أن ابن يحيى صاحب نبلة عند هجوم ابن عباد عليه استجار بالمظفر فأجاره وانزعج له ووصل يده وأعطل ثغره وجمع جيشه وأقدم على نبلة ناصرا لابن يحيى مضيعا لمن خلفه يوقد نار فتنة كان فى غنى عنها حتى نزل بنفسه على ابن يحيى ودافع ابن عباد عنه، وحرك فى ذلك من خلفائه البربر جماعة تدور على قريعهم باديس ابن حبوس يسلمون الراية ويزحمون بركته، فأشفق الوزير ابن جهور من حركتهم على عادته فى

التقلقل لأمثالها وجهد جهده فى صرفهم، وأرسل ثقات رسله إلى عامتهم إلا ما كان من الدائلبى منهم عباد داعية المروانية ومحمد بن إدريس صاحب مالقة راعى الخمودية فإنه تنكبها بعيدا عن الظنة، إد كان هو وجماعة قرطبة يومئذ مترفعين عن كل دعوة، فلما وصلت رسله إليهم ما زادهم لذلك إلا لجاجا، ولم يزل ابن جهور يضرب لهم الأمثال ويخوفهم من سوء العاقبة والمال حتى صار فيهم كموسى آل فرعون وعظا وتذكرة وأسنى القوم فى ميدان الغى.

فلما صح عند ابن عباد خروجه لليلة بجبشة دفعا عن ابن يحيى منتظرا لخلفائه جرد خيلا ضربت على بلاد ابن الأفطس فغارت وانجدت وفعلت فعلات نكأت القلوب وقربت الندوب تم نهض ابن عباد بنفسه إلى ليلة بلقائه فجرت بينهم وقعة صعبة على بابها استهما فيها النصر، وكانت الدائرة أولا على ابن الأفطس فولى الدبر وخاض واديها على غير مخاضة، فقتل من رجاله عدد كثير ثم رجعت له على ابن عباد فكشف رجاله وأصاب منهم نفرا ثم افترقوا ولحق بعد ابن باديس بجمعه وخاض وادى قرطبة وجاز إلى الشرق وتجمع بحلفائه وعاشوا فى نظر إشبيلية، وانقطعت السبل جملة وكثر القتل والهرج والسلب وأمسى الناس فى مثل عصر الجاهلية، ثم والى ابن يحيى بعد ذلك المعتضد لضرورة دعته إلى ذلك، فكاشفه المظفر وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله وأودعه عنده أيام توريطه فى حرب المعتضد فأنبتت بينهم العصمة وضربت خيل المطفر على صاحب نبلة فاستغاث المعتضد فلحقت به خيله واقتتلت مع خيل المظفر، وكان ابن جهور كثيرا ما يوانى رسله إلى الإصلاح بينهما.

ومن النوادر المحفوظة بينهما أن المعتضد والى حرب ابن الأفطس فى شهور سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م فغير بلده وفتح عدة حصون ضمها إلى عمله وشدها برجاله ودمر عمارات واسعة وأفسد غلاتها وأوقع رعيته فى المجاعة الطويلة، وعجز المظفر عن دفاعه شبرا واحدا فما دونه لاستكانة الحادثة التى هدت ركنه وافنت حماة رجاله فاعتصم ببلده بطليوس ولم يخرج منها فارسا واحدا وجعل يشكو به إلى حلفائه فلا يجد ظهيرا ولا نصيرا.

فلما قضى المعتضد من تدويخ بلاده وكر راجعا إلى إشبيلية فى شوال هذا العام وردت علينا بقرطبة غريبة يومئذ وذلك أن رسول المظفر بن الأفطس ورد إشبيلية فى إثر هذه الوقائع عليه يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنس بهن، نافيا بذلك الشماتة عن نفسه ولم تكن له عادة بمثله، ونقب له رسوله عن ذلك، وكن قد عدمن بقرطبة يومئذ فوجد لـه صبيتـين ملهـيتين عنـد بعض التجار لا طائل فيهما فاشتراهما له، وأقام رسوله يلتمس الخروج بهما فلم يستطع لقطع خيل المعتضد جميع الطرق، فاقأم مدة بقرطبة إلى أن أرسل بخيل كثيفة ومضى بهما، واتوا النهى يتعجبون مما شهر به نفسه من البطالة المحرمة لإظهار النساء على فحول الرجال العاقدة الآزرة على ما كان يدعيه لنفسه من الأدب والمعرفة.

قال ابن حيان : وبحثت على هذه الأعجوبة فإذا هو معاند فى ذلك لكاشحه المعتضد المرتاح بعد الظفر لاحتلاب قينة ابن الرميمى الوزير من قرطبة بعد وفاته يومئذ وقد استدعاها لما وصفت له بالخدمة فى صنعتها فوجهت نحوه فتقبله المظفر فى إظهار الفراغ وطلب المهيات وقد علم العالم أنه لفى شغل عنهن.

فامتد شأو هذين الأميرين يومئذ فى الغى وتباريا فى القطيعة حتى أفنيا العالمين إلى أن سنّى الله الصلح بينهما فى ربيع الأول سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م يوليو بسعى ابن جهور أمير قرطبة.

فلما سكنت الحرب بينهما فرغ المعتضد إلى حرب الأمراء الأصاغر بالغرب كابن يحيى وابن هارون وابن مزين والبكرى فأتيح له من الظفر عليهم ما حاز به أملاكهم وضمها جملة إلى عمله ثم مد يده بعد إلى القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء وذلك أنه لما رأى هذا الفتى على نباهته وجلالة عمله أضعف أمراء البربر شوكة وأقلهم رجلا صمد له وحصره فاستغاث حلفاءه بالأندلس وصاحب سبتة سقوتا البرغواطى مولى ابن حمود فأبطأ عليه حتى سقط فى يده وعجز عن تلافى أمره فنزل على أمان وآل أمره إلى أن لحق بقرطبة وسكنها تحت كنف ابن جهور مع

نظرائه من المخلوعين فلما أتيح له من الظفر بالجزيرة الخضراء وأعمالها ما أتيح اتصلت الأنباء بالأندلس بصموت منابره فى جميع أعماله من ذكر خلافة هشام بن الحكم صاحب الربض الذى اتصل الدعاء له على منابره من عهد قيام والده إلى آخر هذه السنة وهى سنة ٤٥١هـ/ ديسمبر ١٠٥٩م، يومئ إليه بالحياة فى غياهب الحجب من غير ظهور لخاصة ولا عامة يومئذ عن البوح بوفاة هذا الإمام والشهرة بدفنه إعطاء للحزم مقسطة، فلما سكنت الحال وجب التصريح بالحق.

وذكر ابن بسام ابن عباد المعتضد فقال: ثم غمس المعتضد يده بعدُ فيمن كان يليه من أمراء البربر فصدم شرهم بشرهم وضرب زيدهم بعمرهم، وكان عندما تسعرت نار الحرب بينه وبين رؤساء الغرب هادنهم على دخن ومنح لهم حتى ضربوا حوله بعطن ليقتلهم بسيوفهم ويسند رجهم إلى حتوفهم، فلما استقرت قدمه تسلب قاصية قواعد الغرب كان أول ما بدأ من حربهم هجومه على الحاجب محمد بن نوح الدامرى المنتزى منهم بكورة مورور فى غير كتيبة نظمها ولا مقدمة إليه قدمها فخلص إلى ابن نوح هذا، من رجل لا يبالى دم من تجرع ولا يحفل بأى شيء يصنع فبالغ ابن نوح فى بره وتضاءل لأمره وحمل ذلك من فعله على أنجد أسباب السلامة واتم وجوه الاستقامة وخص المعتضد يوما من صميم ماله فى أوجه حماة ابن نوح ورؤوس رجاله ما استمال به قلوبهم واستنصح به جنوبهم، ثم سار إلى ابن قرة برندة فسامه مثلها وحذا له فعلها، فتلك أكبر عليهم يدا وجعلها لما أراد من مكروههم أمدا، وقد كان أحد رجالهم أشار بالرأى فى أمره وأراد أن يطلع عليه فى نية مكره ففهمها المعتضد وجعل تلك الكلمة دبر أذنه، وأثبتها فى ديوان اجته وجاجا بالخارجين المذكورين لأول تمكنه من الغرة وسعة صدره إلى مركزه من الحضرة فتهافت تهافت الفراش على الحجرة وجاءا مجيء الخائن إلى الشفرة وتطفل عليها الخائن ابن خزرون المنتزى كان يومه بأركش فلله أبوه من وافد لم تجزه الوفادة ورآها له من قتيل لم يحل بطائل الشهادة، فجرع الحتوف وحكم فى عامتهم السيوف، واستمر بعد ذلك إلى جرب بقاياهم وتتبع أخراهم حتى يغلب على بلادهم وألوى بطارفهم وتلادهم.

وفى سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م توفى يمن الدولة صاحب مدينة البنت Alpuente من كورة شنتيرية (الغرب) وهو محمد بن عبد الله بن قاسم الفهرى، ولم تزل بأيدى بنى قاسم من أول الفتنة، وأول من ملكها منهم نظام الدولة عبد الله بن قاسم إلى أن هلك سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ثم وليها محمد هذا يمن الدولة إلى أن هلك فى هذا العام، فلم يزالوا يتعاقبون فيها إلى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م.

وفيها توفى سعيد بن هارون صاحب مدينة أكشونيه، فأورث ملكها ولده المتلقب بالمعتصم، فلم يزل فيها إلى أن أخرجه منها عباد بن محمد سنة ٤٤٩هـ/ ١١٠٥م. وكان بشلب أحمد بن جراح فعظم فيها طغيانه وانتشرت فى الرعية أعباؤه، وكان يدعى الحاجب مؤيد الدولة، فلما طغا وتجبر وبغا ذكر أنه تسمى بملكه الملوك قاطع الشكوك تعالى الله عن قول الظالمين علوا كبيرا، فأنزل عليه أهل بلده فقتلوه وأراح الله منه.

بقية أخبار الحموديين وولاياتهم إلى انقضاء مدتهم:

تقدم القول فى سنة ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م بمبايعة المستنصر بسبته، ولما توفى المستنصر المذكور وهو حسن أبو يحيى بن على فى نفسه وقتله بسبتة وقيل إن والده يحيى بن على كان ولاه عهده، فسبقه عمه إدريس بن على، وجاز حسن بن يحيى بن على إلى مالقة، وكان معه أخوه إدريس بن يحيى فوشى إليه وأمر بثقافه فى القصر ثم توفى حسن فى مالقة مسموما وترك ولدا صغيرا بسبتة فقام به أبو الفوز نجاء العلوى قائد حسن على سبتة، وجاز البحر لثقاف البلاد، فأتى الجزيرة الخضراء وفيها ابنا القاسم بن حمود فأراد إخراجهما منها فخرجت إليه سبيعة أمهما وقالت له: يا أبا الفوز، أتقطع مواليك وتكشفهم عن البلاد؟ ما هذا بحسن، فاستحيا منها وانصرف إلى مالقة، فلما كان فى بعض الطريق اجتمعت برغواطة الذين كانوا معه على قتله، وكانوا أخوال حسن بن يحيى ومواليه، فقالوا: أنترك مواليا ونتبع عبدا مملوكا خصيا فتعرض إليه أحدهم فقال له: أرأيت؟ فقال له:

بمالقة إن شاء الله: فقال له: كبرت: فقل: أنا؟ ورفع يده بالرمح فإذا هو حاسر ليس بذى درع، فرجع خلفه حتى أمكنته طعنته، فطعنه بين كتفيه طعنة خرجت من صدره، فهلك أبو الفوز نجاة فقطعوا رأسه وعلقوه من شجرة.

ثم نهض قوم منهم إلى مالقة ونهضوا إلى الوزير أبى جعفر بن موسى فقتلوه وأخرجوا إدريس ابن يحيى من سجنه وبايعوه فتسمى بالعالى، وقدم على العالى ابن عمه محمد بن إدريس بن على ابن حمود وخلعه فى شعبان من عام ٤٣٨هـ/ مارس ١٠٤٤م. فخرج إدريس بن يحيى من مالقة إلى حصن بوبشترو مع عبده ومن تبعه من الجند فغزا مالقة مع باديس بن حمود فلم يقدر على شيء فرجع إلى حصن ببشترو وأخرج عياله وجاز إلى سبتة فبقى عند سواجات البرغواطى (هكذا ذكر ابن القطان).

وقال ابن حيان: ومن شعبان من سنة ٤٣٨هـ/ خرج إدريس بن يحيى بن على بن حمود من مالقة متنزها للعيد فأغلق الباب فى وجهه أهل البلد ووجهوا إلى ابن عمه محمد بن إدريس وبايعوه بالخلافة وتلقب بالمهدى وتوطد أمره بمالقة مدة حياته وانصرف إدريس بن على العالى إلى العدوة، ثم رجع بعد ذلك إلى الأندلس واستقر عند أبى ثور بن أبى قرة اليفرنى صاحب رندة شهورا ودعا له بالخلافة.

(رجع الكلام) وبويع محمد بن إدريس وخطب له الحجاب على اختلاف بينهم وبينه وبين ابن عمه إدريس العالى وبينه وبين محمد بن القاسم بن حمود وكان بالجزيرة الخضراء.

(قال ابن حيان) وكان هذا محمد بن إدريس سفاكا للدماء، فامتدت يده إلى قتل البرابر، ولما رأى الحجاب وهم أمراء القبائل عملوا الحيلة فى قتله فوجه له باديس ابن حبوس بكأس عراقى مسموم مع رجل من الكتاميين، فلما وصل إليه قال له: هذا كأس جلب للحاجب المظفر باديس فلم يره يصلح: إلا للخلافة فاختصك، فأعجب به محمد بن إدريس وملأه خمرا وضمه إلى فمه

فأحس في نفسه ريبة منه، فأمر الكتامي فشربه فهرأ جلده عن عظمه من حينه وبقي هو ثلاثة أيام ومات من رائحته في أواخر سنة ٤٤٤هـ/ مارس ١٠٥٣م، وولي ولده محمد وتلقب بالمستعلي، فاتفق البربر على مبايعة محمد بن القاسم بن حمود وخلع المستعلي وذلك في ٤٤٩هـ/١٠٦٧م ومات محمد بن القاسم وتغلب باديس على مالقه وأخرج المستعلي منها، وكان خروج من مالقة سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م وتغلب ابن عباد على الجزيرة الخضراء وأخرج منها القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود، وفنيت ذريتهم من الأندلس فكانت مدتهم بها ٥٨سنة.

وفي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م تميز أمراد الأندلس وملوكهم من قبائل البربر وغيرهم، وصاروا فريقين ما منهم من يحذر الدار الآخرة.

قال ابن حيان : أحد الفريقين فيه عظيمهم سليمان بن هود الجذامي صاحب الثغر الأعلى، وكان معه مقاتل الصقلبي صاحب طرطوشة وعبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية ومن تحتهما من رجال الأعمال بالموسطة، وكان ابن معن صاحب المرية وسعيد بن رخيل صاحب شقورة وغيرهما من الرؤساء إلى الوزير محمد من جهور صاحب قرطبة.

وكان هؤلاء الأندلسيون نمطا واحدا متظاهرين على عظيم البرابرة يومئذ باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة ومن تميز معه من البربر من يدعو إليه من إدريس بن يحيى صاحب مالقة وكانوا متعاضدين متناصرين على من عندهم من الأمراء سواهم على اختلافهم في الرأي والدعوة، وكان هؤلاء الثغريون المذكورون يدعون لهشام المنصور بإشبيلية وكان باديس ومن والاه من أمراء البرابرة يدعون لإمامهم بمالقة وهو إدريس بن يحيى بن علي بن حمود الحسني، وكان أبو ثور بن أبي قرة صاحب رندة وكورة تاكرنا يدعو بابن عباد ورضي ابن عباد منه بذلك.

وفريق آخر من أملاك الأندلس المسارعين في التمايز كمجاهد العامري صاحب دانية وكابن الأفطس صاحب بطليوس ايضا ومن يتصل به من الرؤساء بالغرب ويحيى بن ذي النون صاحب

طليطلة وإسحاق بن محمد البرزالى صاحب قرمونة ومن والاه من الأمراء الأصاغر مثل ابن نوح وابن خزرون وغيرهما، يجتمع جميع هؤلاء النمط لعباد بن المعتضد صاحب إشبيلية، وكلهم على دعوته الهشامية ما خلا يحيى بن ذى النون فإنه كان فى هذا الوقت ساكتا عن الدعاء لأحد على رسم والده ورسم أهل قرطبة إلى أن دخل فى دعوة ابن عباد سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م لما التحم ما بينهما، وتظاهر كل من هؤلاء الأمراء على ضده فى الظاهر أتم مظاهرة يتداخلون ويتعاونون على دفع الحوادث الطارقة لهم ولا يثرب بعضهم على بعض بخلاف رأى أو دعوة.

وفى سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م دخل تآلف أهل طليطلة وصاحبها يحيى بن ذى النون مع ابن عباد.

قال ابن حيان إن أصل الفتنة فى هذه السنة والتى قبلها من أحمد بن سليمان بن هود ويحيى ابن ذى النون ومن تميز فى حرب كل واحد منهما من أمراء الأندلس وكان رعيتهما معهما فى أمر عظيم.

وفى سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م كان عبث النصارى فى الثغر الأعلى والأدنى بأشلاء ابن هود وابن ذى النون لهم عليهما.

وفيها ملك محمد بن نوح الدامرى كورة مورور لهلاك أبيه المالك بعد قسمة المستعين البلاد على روساء القبائل.

وفيها صار ملك بطليوس لمحمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس، وله التأليف الكبير العجيب المشهور بالمظفرى.

وفى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م كان مهلك سليمان بن هود الجذامى.

ذكر ابتداء الدولة الهودية:

ابتدأت سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م وأول أمرائها سليمان بن هود الجذامى، وكان هذا الرجل سليمان بن محمد بن هود فى مدة الجماعة بالأندلس من كبار الجند بالثغر الأعلى إلى حين وقوع الفتنة الشاملة فغلب على مدينة لاردة وسائر أنظارها وقتل القائم بالأمر فيها يومئذ وهو المطرف التجيبى وكان معروفا بالنجدة والرياسة فاستغلب عليه ابن هود هذا وقتله واستولى على لاردة ومدتشون وأنظارهما إلى أن جرت قصة سرقسطة وكان أمر سرقسطة وذواتها إلى رجل من التجيبيين يقال له منذر بن يحيى، وكان من قواد الدولة العامرية، ومات فى وقت الفتنة فورث ملكه ابنه يحيى ابن منذر وسنه ١٩ سنة وتسمى بالحاجب معز الدولة، وكانت أمه بنت عبد الرحمن بن هود أخت المأمون يحيى بن ذى النون، فاحتقره بنو عمه وتواطأوا على قتله مع كثير منهم خرج للسلام عليه فترامى إليه كأنه يقبل يده فضربه بسكين فى صدره وكان فى ذلك منيته، وخرج هذا القاتل من القصر، فاجتمع عليه بنو عمه وولوه لأمرهم، وكان عاهر الفرج ذكر أنه كان يدخل على النساء الحمام فعظم ذلك وأنكروا عليه عمله ولم يتحملوا هذا منه، واسمه عبد الله بن حكيم، فقام أهل سرقسطة وهموا بقتله فبقى أهل سرقسطة دون أمير يدبر أمرهم، فبعثوا إلى سليمان بن هود وهو بمدينة لاردة، واجتمع الملأ منهم على تقديمه فوصل إليهم وولوه على أنفسهم، ونزل دار الإمارة بسرقسطة وبقى عليهم أميرا إلى أن مات فى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م وكان استيلاؤه على لاردة ٤٣١هـ/١٠٣٩م.

ولما مات ابن هود ترك خمسة أولاد ذكور كان قد قسم فى حياته بلاده عليهم، فولى أحمد ابن سليمان مدينة سرقسطة بعد أبيه وولى يوسف مدينة لاردة وولى محمد قلعة أيوب، ولى لبا ابنه مدينة وشقه وكان تحت ولاية أخيه، وولى المنذر بن سليمان مدينة تطيلة، واستبد هؤلاء الأخوة

جميعا بأعمالهم بعد أبيهم ودعا كل منهم إلى حوزته، فلم يزل أحمد بن سليمان يحتال على إخوته حتى أخرج بعضهم من مواقعهم واحتال عليهم وسجنهم، وقتل بالنار بعضهم، غير أن الوالى على مدينة لاردة يوسف كان أكبرهم وهو المسمى بحسام الدولة حمى حوزته منه.

ولما رأى أهل الثغر ما صنعه أحمد بن سليمان كرهوه لذلك وخلعوا طاعته، وصيروا أمرهم إلى أخيه يوسف وقاموا بدعوته ولم يبق لأحمد إلا سرقسطة، وكان ابن سليمان بن هود بطلا شهما وتلقب بالمظفر، ولكنه كان غير مبخت، وكان أخوه أحمد انحصر منه فى أموره.

ولما رأى أحمد تآلف الناس على أخيه وجه رسوله فى السر إلى الطاغية ابن رذمير صاحب بلاد النصرانية المجاورة له يستعطفه ويقول له: أعلمنى بما أعطاك أخى من المال حتى يشق بلادك وأنا أعطيك أضعافه واتركنى وإياهم، فأعلمه بذلك وأضعف له المال وتركهم عند ذلك، فلما بعث أخوه إلى بلاد رذمير برسم الميرة لبلاده خيلا ورجالا بدواب كثيرة سرى إليهم من سرقسطة فأخذهم وقتلهم، وكانوا قد توسطوا بلاد الروم فامتلأت أيدى الروم من أسلابهم، وكان بينهم وبين بلاد المسلمين مسافة أيام، فلم ينج منهم إلا اليسير فأخذ النصارى أكثرهم أسرى وفتك بعضهم فلم يتم للمظفر مراده وكان ضد لقبه واستطير به أهل طاعته ورجعوا إلى أخيه، ولم يبق ليوسف بن سليمان سوى عمله المتقدم له قبل ذلك.

وسبب تلك الواقعة التى فنى فيها المسلمون على يد أحمد بن سليمان بن هود أنه وافق أن كان بتطيلة وذواتها فى ذلك الوقت، فاستغاث أهلها بالمظفر الذين هم فى طاعته فندب جميع أهل تلك الثغور بمير يحملونه إلى تطيلة، فاجتمع فى ذلك طعام كثير فنظر فى توصيله، وليس فى ذلك سبيل إلا على سرقسطة أو على وسط بلاد ابن رذمير، فجعل له المظفر مالا على نفسه ويترك هذا المير يشق إلى بلاده، ولم يخف هذا التدبير على الفاجر أحمد بن سليمان فوجه بأضعاف المال إلى ابن رذمير، فلما توسطوا بلاد النصارى بالمسيرة خرج عليهم فأهلكهم أجمعين قتلا وأسرا، فكانت تلك الوقعة الشنعاء بالثغر الأعلى على يديه.

من اخبار احمد بن سليمان بن هود:

لما فعل هذه الفعلة ضعف أمر أخيه وخافته الرعية، فانصرفت طاعتهم إلى أحمد فعظمت مملكته واشتدت شوكته وتسمى بالمقتدر بالله.

وكان على طرطوشة أمير فتى من فتيان ابن أبى عامر اسمه لبيب، وكان قد ضبطها لنفسه وساس أموره بها مع رعيته ومن يجاوره من الأمراء، وهى مدينة سامية الذرى متسعة الساحة مشرقة البهجة كثيرة المرافق والنعمة، فأقام بها لبيب ملكا على قلة نظره إلى أن حانت منيته فولى أمرها من بعده فتى آخر من فتيان ابن أبى عامر اسمه مقاتل، وكانت له همة ورياسة، وتسمى أيضا بسيف الملة، لقب اخترعه لنفسه فكان يكتب به إليه وعنه، وكان عنده من العمال والكتاب ما لم يكن عند غيره فى وقته ممن هو أكبر منه إلى أن هلك هذا الخصى.

واستحوذ أحمد بن سليمان على طرطوشة وذواتها، فكانت له حروب كثيرة مع الروم المجاورين لها، وخرجت طائفة من الروم فى مدته فى نحو عشرة آلاف فارس من الروم إلى بلاد المسلمين فنازلوا مدينة وشقة من هذا الثغر الأعلى وأقاموا عليها أياما ثم رحلوا عنها وساروا فى بلاد المسلمين فى الثغر إلى أن نزلوا على مدينة بربشترو.

ذكر اخذ النصارى مدينة بربشترو من عمل ابن هود واسترجاعها من أيديهم بعد اسر جميع اهلها وقتلهم:

وذلك أن جيش الأردمانيين نزلوا عليها وجدوا فى قتالها وحصارها جدا عظيما، فكان أهلها يقاتلونهم خارج مدينتهم وذلك فى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م وكان الماء يأتيها فى سرب تحت الأرض

من النهر حتى يدخل إليها فيخترقها، فخرج رجل من القصبة إلى الروم ودلهم عليه، فساروا إليه وهدموه وحالوا بينه وبين الاتصال بفم السرب، فعدم أهلها الماء، ولم يكن لهم صبر على العطش فراسلوا الروم فى أن يسلموهم أنفسهم ويسلموا إليهم البلد، فأبى الروم من ذلك، فجالدهم المسلمون إلى أن دخل الروم عليهم عنوة، فقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية، وحصلوا منها على أموال عظيمة، فكان هذا أشد الرزايا بهذه الجزيرة، وحصل بأيدى الروم من نساء أهل بربشترو وذريتهم قرب المائة ألف، حصل من هذا فى سهم رئيسهم اللعين ٤٠٠٠ قسمة، اختارهن أبكارا من الثمانية أعوام إلى العشرة فأهدى منهن لملكهم ما شاء، وكان هذا اللعين يسمى بالبيطبين وذكر أنه حصل فى سهمه من أوقار الأطعمة والحلى والكسوة خمسمائة حمل.

وكان الخطب فى هذه المدينة أعظم من أن يوصف، لأن الحال كان قد آل بهم إلى أن ألقوا بأيديهم بسبب الظماء، وخرجوا من المدينة وانتشروا فى بسيط من الأرض، فلما رأى الطاغية كثرتهم وانتشارهم خاف أن تدركهم حمية فى استنقاذ أنفسهم فأمر ببذل السيف فيهم وبعضهم ينظر إلى بعض من رجال ونساء، فقيل إنه قتل منهم يومئذ ٦٠٠٠، ثم نادى برفع السيف عنهم، وأمر بخروجهم من المدينة مزدحمين على أبوابهم فمات فى ازدحامهم خلق كثير.

وكما عرض جميع من خرج عن المدينة بفناء بابها بعد قتل من قتل منهم فتموا قياما ذاهلين منتظرين نزول القضاء فيهم، ثم نودى فيهم بأن يرجع كل ذى دار إلى داره بأهله وولده، وازعجوا لذلك، ولما استقروا بالدور مع عيالاتهم وذرياتهم اقتسمهم المشركون، وكل من صارت فى حصنه دار حازها وما فيها من أهل وولد ومال، فحكم كل علج منهم فيمن سلط عليه من أرباب الدور بحسب ما يبتليه الله به بأخذ كل ما أظهره الله عليه ويعذبه فيما أخفى عليه، وربما زهقت نفس المسلم دون ذلك فاستراح وربما أنذره أجله إلى أسوأ من مقامه ذلك، لأن عداة الله كانوا يومئذ يهتكون حريمهم وبناتهم بحضرتهم إبلاغا فى نكاياتهم ويعبثون فى الثيب ويغتصبون البكر وأبو تلك

وأبو هذه موثق فى الحديد، ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك أعطاهن لغلمانه يعبثون بهن، فبلغ الكفرة يومئذ منهم ما لا تلحقه الصفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ابتداء دولة بنى الافطس وهم بنو مسلمة :

كان جدهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس أصله من حصن البلوط من قوم لا يدعون نباهة غير أن هذا الرجل عبد الله كان من أهل المعرفة التامة والدهاء والسياسة، وكان بهذا الفتح بطليوس وشنترين والأشبونة وجميع الثغر الجوفى فى أمد الجماعة رجل من عبيد الحكم المستنصر بالله يسمى سابور.

فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة وانشقت عصا الأمة انتزى سابور هذا على ما كان بيده، كما فعل غيره من الثوار، وكان سابور عضلا عطلا من سائر أنواع المعارف، وكان هذا الرجل عبد الله بن محمد بن مسلمة يدبر له أمره ويخدم مملكته خدمة سياسة إلى أن هلك سابور وترك ولدين لم يبلغا الحلم فاشتمل هذا الوزير ابن مسلمة على أمر سابور كله، واستأثر به على ولديه وحصل على ملك بلاد غرب الأندلس واستقام له أمره بعد اعتساف وظلم إلى أن مضى لسبيله، وكان مهلكه لإحدى عشرة ليلة بقيت لجمادى الأولى من سنة ٤٣٧هـ/ يناير ١٠٤٤م وأعقبه ابنه محمد.

دولة المظفر محمد بن عبد الله بن مسلمة بن الافطس :

ولى بعد أبيه واستولى على ما كان بيده، فاستقامت أمورة، وكان شاعرا أديبا وعالما لبيبا وبطلا شجاعا، وله التأليف الأكبر المسمى بالمظفرى، ألفه بخاصة نفسه، ولم يستعن فيه بأحد من العلماء إلا بكاتبه أبى عثمان سعيد بن خيرة، واحتوى هذا الكتاب على الأخبار والسير والآداب المتخيرة والطرف المستملحة والنكت البديعة والغرائب الملوكية واللغات العربية، قيل إنه اختصر فيه خزائنه

الفائقة، لا يكاد يوجد له نظير، فى نحو خمسين مجلدا، فتصرف فيه تصرفا بديعا ولكبره لا يستطيع كل الناس اكتسابه فإنه لا يصلح إلا لخزائن الملوك.

وأقام هذا الرجل ملكا عظيما بهذا الثغر الجوفى مناصرا فيه مصاقبيه ابن عباد وابن ذى النون، وكانت بينهم حروب وغارات ومهادنات وغير ذلك من الأخبار، وقد كان والده عبد الله الهالك الذى ذكرنا مخدومه سابورا غلب على ولديه عبد الملك وعبد العزيز واهتضمهما فهبط إلى مدينة إشبونة وانتزى فيها أحدهما مكانه، وكان لا يصلح للملك فقام أخوه بملك الإشبونة مكانه، ولم يكن يصلح للملك لضعف نفسه وقلة قيامه بالأمور، وكتب أهل الإشبونة إلى عبد الله بن مسلمة فى السر أن يرسل إليهم واليا من عنده يكون أميرا عليهم فتوجه إليهم ولده ولم يشعر عبد الملك بن سابور حتى امتلأ البلد من العسكرية فلم يكن له بد من طلب السلامة لنفسه وأهله وما له فأعطى ما سأل وسلم على ما شرطه.

وكان هذا الداخل قد تزوج أخته، فأجمل معه أجمالا كثيرا وخرج هذا الفتى عبد الملك بن سابور من مدينة الأشبونه يسير حيث شاء، فاختار القصد إلى مدينة قرطبة، فلما قرب منها استأذن الوزير ابن جهور فى الدخول فأذن له فى ذلك، فدخل قرطبة ونزل بدار أبيه سابور، فكانت قرطبة مستقره إلى آخر عمره، ولم يزل أمر العدو يقوى ويظهر على أملاك ثغور الأندلس إلى أن خرج الطاغية فرذلند بن شانجه ملك الجلالقة بأرض الأندلس بجيوشه النصرانية إلى ثغر المسلمين بأمر الجوف قاصدا، وضم محمد بن مسلمة بن الأفطس لما منعه الإتاوة من بين جميع أمراء الثغور

فعاث فى بلاد المسلمين وفتح حصونا كثيرة، وكانت خيله تزيد على عشرة آلاف فارس معهم من الرجال أكثر من مثليهم، واتصل خلال ذلك بالأمير ابن الأفطس أن عدو الله جرد من خيله سرية ثقيلة أمرهم بقصد مدينة شنترين، إذ كانت مدينة شنترين أفضل ذلك الثغر، فقضى الله أن لحق بمدينة شنترين أميرهم المظفر بن الأفطس قبل أن يأتيهم عدو الله، وقد كان خامرهم الجزع وقالوا لأميرهم : لقد هممنا أن نستسلم للعدو ولو لم تأتنا لضعفنا عن دفاعه.

وقصد هذ القومس إلى شنترين للوجهة التى وجهها أميره فرذلند أمير الجلالقة، فأرسل ابن الأفطس إليه ليجتمع إليه فيكلمه فى أمره فالتقيا فى الماء بنهر شنترين ابن الأفطس فى زورق والعلج راكب فرسه فى الماء إلى صدر فرسه.

وتكلموا طويلا فيما عرضه من السلم والأتاوة، فامتنع المظفر من ذلك إلى أن وافقه بعد جهد ومشقة على خمسة آلاف دينار يؤديها إليه كل عام من أول هذه الهدنة.

ولم يزل عدو الله يقوى والمسلمون يضعفون بغرم الجزية إلى النصارى فنزل فرذلند على مدينة قلمرية وكان الذى فتحها المنصور بن أبى عامر سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م.

قال أبو محمد بن حزم: واجتمع عندنا فى صقع الأندلس أربعة خلفاء كل واحد منهم يخطب له بالخلافة فى الموضع الذى هو فيه، وهذه فضيحة لم ير مثلها دلت على الإدبار المؤبد: أربعة خلفاء فى مسافة ثلاثة أيام فى مثلها، كلهم يدعى بأمير المؤمنين، وهم خلف الحصرى بإشبيلية على أنه هشام المؤيد، وذلك أخلوقة لم يسمع بمثلها ظهر رحل ... ... بعد اثنين وعشرين عاما من موت هشام، فادعى أنه هشام، وشهد له أنه هو قوم خساس من خصيان ولساء فبويع وخطب له على أكثر منابر الأندلس وسفكت الدماء به، وتصادمت الجيوش فى أمره، وكان محمد ابن القاسم الحسنى خليفة بالجزيرة ومحمد بن إدريس بمالقة وإدريس بن يحيى بسبتة.

وفى سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٦٧م قتل عباد المعتضد بالله ابنه إسماعيل، وكان خليفته المرشح لمكانه بعد أن كان هم بغدره، فأخذه أبوه وثقفه فى قصره فذهب إلى التدبير عليه ثانية من مكان أعتقاله، فقال ابن عباد: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، فقتله بيده، وقتل الوزير الذى واطأة على ذلك، وأهلك جمع خاصته وعبيده، وتجاوز الحد فى العقوبة.

ثم استدعى ولده محمدا من مدينة شلب، وكان واليا عليها، فنصبه لحجابته مكان أبيه

الهالك، فلما انقضى قتله كتب بذلك كتابا إلى رؤساء الأندلس، فمن ذلك فصول من كتاب كتبه إلى المقتدر بن هود أنشأه ابن عبد البر ارتجالا بين يدى المعتضد بمحضر الجلساء من الرؤساء والكتاب وغيرهم.

وقال ابن بسام: أخبرنى من لا أرد خبره من وزراء إشبيلية، قالوا إنهم دخلوا على المعتضد بعد ثلاثة أيام من قتله لابنه فرأوا وجهه قد اربد، وود كل واحد منهم أنه لم يشهد، مثل هذا المنظر.

عصر ملوك الطوائف:

والمهم الآن أننا دخلنا فى عصر الطوائف، وقد كان ابن جهور هو المسئول عن ذلك، فإنه عندما ألغى خلافة قرطبة الأموية ثم العامرية لم يبق هناك دولة مركزية يخضع لها عمال النواحى، فاتجهت همة الطماعين منهم إلى الاستيلاء على السلطان فى نواحيهم، وكان بعض قضاة النواحى قنوعين، فظلوا ينتظرون لما يكون، وأما أهل الطمع منهم فاتجهوا إلى الاستيلاء على السلطان فى نواحيهم وأعلنوا أنفسهم رؤساء فيها، واضطر الناس إلى الطاعة لهم.

وقد رأينا الأندلس وعرفنا صعوبة حكمه لأن الحقيقة أن المسلمين فتحوا الأندلس بعد سبعين سنة أنفقوها فى فتح المغرب، وطارق بن زياد فاتح الأندلس بربرى من ورفجومه، وكان مسلما صالحا عرف كيف يهزم القوط الغربيين فى موقعة شذونه، ثم اتجه رأسا إلى طليطلة فدخلها، وأعلن قيام دولة الإسلام فى شبه الجزيرة.

ولما كانت العاصمة ومركز القوة فى إشبيلية أولا ثم فى قرطبة فقد أصبحنا نحن نسمى البلد الإسلامى الجديد بالأندلس مهما كانت مساحته.

والمهم الآن أن بعض قضاة النواحى كانوا طماعين واجتهدوا فى تقوية سلطانهم فى بلادهم ونواحيها، ومنهم من حاول بعد تقرير سلطانه فى ناحيته أن يتوسع فيستولى على بلاد غيره، وكان

لا بد أن تقوم الحروب بين الأقوياء، منهم وأهمهم هنا بنو عباد فى إشبيلية، وبنو الأفطس فى بطليوس، وبنو ذى النون فى طليطلة، وكان أقوى أولئك الولاة المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية، فقد سيطر على كل غرب شبه الجزيرة، وكان لا بد أن تقع الحرب بينه وبين جاره ابن الأفطس صاحب بطليوس.

والمهم لدينا أن بنى جهور الذين تسببوا فى كارثة تقسيم الأندلس لم يدم لهم الحال فى قرطبة لأن أمراء النصارى فى شبه الجزيرة طمعوا فى بلاد المسلمين وخاصة بعد أن استولى ملكهم الفونسو السادس الذى تمكن من الاستيلاء على طليطلة، وقد تضاعفت بذلك مساحة بلاده وأصبحت مملكة ليون تعرف بمملكة طليطلة وتشمل كل شمال شبه الجزيرة وتمتد إلى مجرى الوادى الكبير، وطمع فى بلاد المسلمين بعد أن كان خاضعا لهم، وكان بنو هود أصحاب طليطلة قبل أن يستولى عليها الفونسو السادس من الاستيلاء على طليطلة ونقله عاصمته إليها من ليون ملك ليون فأصبح الآن صاحب طليطلة إلى جانب أشتورياس وكورونيا وليون، فأصبح الآن أقوى ملوك الجزيرة وكانت بلاده تمتد إلى جيان بعد نقل عاصمته إلى طليطلة، حقا إن المعتضد بن عباد كان رجلا قويا ولكن أين هو من ملك طليطلة ونصف شبه الجزيرة الشمالى والأوسط.

وكان قد استبد بسرقسطة قاضيها ابن هود، ولم يكن له مفر من أن يدخل فى حرب مع النصارى، وكانوا جيرانه من كل ناحية فى طليطلة ونجح أول الأمر وانتصر على النصارى[(١)].

وقد اختفى بذلك أمر الأندلس العظيم، كما عرفناه فى عصر الدولة الأموية الأندلس، فهذا قد انتهى نهائيا، وأصبح الآن أمام ممالك طوائف صغيرة ونزل الإسلام فى الأندلس إلى مستوى الضعف والخضوع أمام إسبانيا النصرانية، ولكن هؤلاء لم يفرقوا بين المستبدين بنواحى الأندلس مسلمين

---

(١) انظر تفاصيل غزوة بنى هود هذه فى البيان لابن عذارى ٢٢٧/٣.

ونصارى، إنما كانت المسألة عندهم مسألة طمع، وانظر مثلا ما فعله ابن هود صاحب سرقسطة بجاره المسلم ابن مجاهد صاحب دانية والجزائر الشرقية (البيان ٣/ ٢٢٨) وقد انتصر ابن هود على ابن مجاهد صاحب دانية والجزائر الشرقية، ولكن أين يذهب ابن هود هذا من مملكة طليطلة وصاحبها ابن هود.

والمهم هنا أن هذا الرجل ابن هود بعد نصره على ابن مجاهد صاحب دانية أصبح من أقوى أمراء الطوائف فى الأندلس.

وقد كان تصرف ابن هود هذا مشجعا لأبى القاسم بن عباد صاحب إشبيلية، وكان رجلا طموحا وطماعا، فنجده يشتوى ويستولى على كل غرب شبه الجزيرة وأصبح بذلك فوق أمراء الطوائف، وكانت البلاد قوية بعد أيام عبد الرحمن الناصر الثالث وابنه الحكم المستنصر كما رأينا.

ابتداء دولة بنى الافطس وهم بنو مسلمة :

كان أصل جدهم أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الأفطس من حصن البلوط من قوم مجهولين، وكان لهم فتى من عبيد الحكم المستنصر يسمى سابور، وقد انتزى سابور هذا فى بطليوس، وكان يدبر له أمره، وكان سابور هذا يخدم محمد بن عبد الله بن الأفطس، وبعد وفاة سابور اشتد محمد بن عبد الله بن مسلمة ببطليوس وشنترين والاشبونة، وقد استولى منه المعتضد عباد على شنترين والأشبونة وبقيت له بطليوس، ثم ورثه ابنه المظفر محمد بن عبد الله من مسلمه وكان شاعرا أديبا لينيا وبطلا شجاعا، وله التأليف الكبير المسمى بالمظفرى ألفه بخاصة نفسه ولم يستعن فيه بأحد من العلماء إلا بكاتبه أبى عثمان سعيد بن خيره، واحتوى هذا الكتاب على الأخبار والسيرة والآداب المتخيرة والطرف المستملحة والنكت الفريبة والغرائب الملوكية، اقتصر فيه خزائنه الفائقة لا يكاد يوجد له نظير وهو فى نحو ٥٠ مجلدا، فتصرف فيه تصرفا بديعا ولكبره لا يستطيع الناس اقتناءه وهو لا يصلح إلا لخزائن الملوك والدول.

وقد ضاهى هذا الرجل جيرانه من أصحاب النواحى فاستقل بناحيته ودخل ميدان السياسة وترك القضاء، ووقعت بينه وبين جيرانه من ملوك الطوائف المسلمين الحرب وقد خرج بعد وقد جاء بعد محمد بن عبد الله بن مسلمة ابنه عبد الملك بن سابور من بطليوس إلى قرطبة وعاش فيها إلى أن مات.

وفى هذه الفترة طمع النصارى فى أراضى المسلمين وقام الطاغية فرذلند بن شانجه بالاعتداء على بلاد المسلمين واتصل ذلك بمحمد بن مسلمة بن الأفطس فحرج للكلام مع فرذلند بن شانجة، ولم يستطع رده فاتفق معه على أتاوة قدرها ٥٠٠٠ دينار تدفع له كل عام، وقد استولى فرذلند بن شانجة على مدينة قلمرية، وكان يحكمها عبد من عباد ابن الأفطس يسمى رانده، فتركها له وخرج منها.

وقد طمع فرذلند بن شانجة فى أرض المسلمين وبدأ فى الاعتداء عليها.

وقد أضعف ذلك من أمر المسلمين فى نظر فرذلند بن شانجة، ولم يزل ثغر الأندلس يصغر لى نظر النصارى، ولم يزل طمعهم يشتد حتى قبلوا الجزية وطمعوا فى أخذ البلاد وانتزاعها من أيدى المسلمين.

وهلك فرذلند سنة ٤٥٨هـ/١٠٥٦م وولى بعده ابنه أذفونش بن فرذلند فجرت له مع ابن عباد خطوب عظيمة اضطرته للجواز إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى بلاد المغرب فجاز وهزم أذفونش بن فرذلند وارتفعت الجزية وصلح له شبه الجزيرة على يده.

وفى هذه السنة مات عبد العزيز بن أبى عامر المنصور صاحب بلنسية ومرسية وشاطبة وجزيرة شقر وأعمالها، وضعف أمر ولده المظفر ببلنسية، فملك ابن طاهر مرسية واستبد بها إلى أن مات فورث ملكه بها ابنه محمد بن طاهر.

وفى سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م توفى صاحب المرية معن بن صمادح.

بعض اخبار البكريين من امراء غرب الاندلس :

قال حيان بن خلف : لما تولى الوزير ابن جهور الإصلاح بين ابن الأفطس والمعتمد بن عباد فى ربيع الأول ٤٤٣هـ/ أغسطس ١٠٥١م بعد امتداد شأوهما فى الفتنة اعتدى المعتضد بن عباد بعد ذلك على جارية ابن يحيى أمير نبلة وأبى زيد البكرى أمير شلطيش وولبة فأخرجهما عن سلطانهما الموروث لهما وحصل له عملهما بلا كبير مؤنة وضمه إلى سائر عمله العريض، فازداد بذلك سلطانا وقوة وذلك أنه عندما خلا وجهه من المظفر بن الأفطس فرغ لابن يحيى بنبلة وصمم على قصده بنفسه، فنزل ابن يحيى لهما وخرج عن البلد وانزعج إلى قرطبة، ووردها مسلوب الإرادة لائذا بكنف ابن جهور ساد الخلة ومأوى الطريد وكان من الغريب النادر أن شاركه المعتضد بقطعة من خيله أوصلته إلى مأمنه بقرطبة.

ثم مد ابن المعتضد بن عباد يده بعد ذلك إلى البكرى بولبة وشلطيش، وكان هذا الفتى أبو زيد البكرى وارث ذلك العمل عن أبيه وكان أبوه من بيت السرد والحسب والجاه والنعمة والاتصال القديم بسلطان الجماعة، وكان له ولسلفه قبلُ إسماعيل بن عباد جد المعتضد وسائل وأذمة خلفا ما فى الأعقاب اغتر بها عبد العزيز البكرى فبادر بالبعثة إلى المعتضد عند دخوله نبلة يهنئه بما تهيأ له منها، وذكره بالإمام الموصول بينهما واعترف بطاعته وعرض عليه التخلى له عن ولبة وإقراره بشلطيش إن شاء فوافق المعتضد على ذلك وورد له الأمر فيما يعزم عليه وأظهر الرغبة فى لقائه وتحمل بسفنه بجميع ماله إلى جزيرة شلطيش بتخلى المعتضد بن عباد عن ولبه فحازها حوزة لنبلة وبسط الأمان لأهلها واستعمل عليها ثقة من رجاله ورسم له القطع بالبكرى، ومنع الناس طرا من الدخول إليه فتركه محصورا فى وسط الماء إلى أن ألقى بيده بعد قليل، ولم يغرب عنه الحزم، فسأل

المعتضد أن ينطلق انطلاق صاحبه ابن يحيى إلى مأمنه، فكان ذلك ولحق بقرطبة، فبوشر منه رجلا سريا عاقلا عفيفا أديبا يفوق صاحبه ابن يحيى جلالا ببلنسية، فملك ابن طاهر مرسية واستبد بها إلى أن مات فورث ملكه بها ابنه محمد بن طاهر.

بداية المرابطين:

وفى سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م حارب يوسف بن تاشفين فى الغرب ملوك زمانة والمصامدة، وكانت قبائل بنى يفرن أقوى قبائل الغرب وأكثرها وأشدها بأسا، وبلادهم من آخر هسكورة إلى قرب تلمسان، فجرت لهم معهم وقائع وحروب يطول ذكرها وكان يوسف ممن يقدم عمه أبا بكر بن عمر.

وفى هذه السنة كان دخول العرب بلاد إفريقية وغلبتهم على أكثرهما.

وفى سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م قتل عباد المعتضد بالله ابنه إسماعيل وكان خليفته المرشح لمكانه بعد أن هم بغدره، فأخذه أبوه وثقفه فى قصره، فذهب إلى التدمير عليه ثانية من مكان اعتقاله، فقال ابن عباد لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فقتله بيده وقتل الوزير الذى واطأه على ذلك، وأهلك جميع خاصته وعبيده وتجاوز الحد فى العقوبة، ثم استدعى ولده محمدا من مدينة شلب وكان واليا عليها فنصبه لحجابته مكان ابنه الهالك، وكتب فى ذلك كتابا إلى رؤساء الأندلس. ثم أمر باحضار الكاتب ابن عبد البر فقال له اكتب إلى ابن أبى عامر وحلل دم الخائن الغادر فجاءه الغلام بالدواة وشرع فى الكتـابة فى المجلس فقال الحاضرون فى أنفسهم: ما عسى أن يتجه لابن عبد البر الكلام على هذه الحال لا سيما على الارتجال، فكتب ابن برد فى الحال وأبلغ ابن أبى برد فى الكتابة فخرج الناس من المجلس يقولون إن ابن عبد البر آية من آيات فاطره.

بعض أخبار ملوك الطوائف فى الأندلس:

فى سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م. قطع المعتضد بن عباد الدعوة الهاشمية وأظهر موت هشام بزعمه.

وقال الوراق فى مقياسه وابن القطان فى كتابه «نظم الجمان» وغيرهم من المؤرخين: صارت هذه الميتة لحامل هذا الاسم الثالثة، وعساها تكون إن شاء الله، لصادقة، وكم قتل وكم مات ثم انتفض عنه التراب، فقد مات فى يد أول خالعيه وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار ودفن علانية ثم نشر بيد واضح الفتى مولى محمد بن أبى عامر، وملك مدته، تم مات مرة ثانية بيد خالعه الثانى سليمان بن حكم صاحب البرابرة، ودفنه خفية، ثم أبرز صداه على بن حمود الحسنى المنتزى بذكره، الطالب لثأره على الدولة، ودفنه الدفنة التى خلناها حقيقة، إلى أن وقعت عليه هذه الميتة الثالثة، وقد كانت هذه المدة التى عكفت عليه آخرا ٢٥ سنة ذاكرة له وداعية بمدينة إشبيلية من يوم أن سبق من القرية التى وجد فيها بقتل الخلفاء سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م.

وفى سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م، خرج الفتى نبيل من طرطوشة، وكان قد تولاها بعد صاحبها الفتى مقاتل سيف الدولة فأصاب نبيلا فيها فتنة فخرج عنها وأسلمها للمقتدر بن مدد.

وفى سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م هجم سواجات البرغواطى على رزق الله مستخلف الحموديين معه على سبتة فقتله وتسمى بالمنصور واستبد بالأمر بعده، وهو والد الحاجب واسم الحاجب العز بن سواجات ويقال له أيضا سقوت وعلى العز بن سقوت دخلها المرابطون وكان سواجات مولى ليحيى ابن على بن حمود اشتراه من رجل حداء من سبى برغواطه وهو دون البلوغ فحظى عنده فلما سار يحيى إلى الأندلس وخلف مولاه سواجات بسبتة وجعل معه ناصرا عليه مولاه رزق الله فكان منه

معه ما تقدم قتله واستبد بملك سبتة ثائرا دون مولاه وأورثها ابنه الحاجب بعده، وروى عن أبى الوليد بن جهور صاحب قرطبة... وعجب الوليد من ذلك وقال: جاهل يطلب قارئا وعلماء يطلبون الأباطيل.

وفى سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٣م كان مهلك ابن السقاء بقرطبة مدبر الدولة الجهورية، وقيل بل كان ذلك فى سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٤م بعده.

تغلب العدو النصرانى على بلاد المسلمين وغزوه بلادهم :

من الآن فصاعدا لن نرى الأندلس الذى كان أقوى قوة فى البلاد أيام الناصر وابنه الحكم المستنصر.

ففى سنة ٤٥٥هـ كانت وقعة بطرنه Paterna التى غزا فيها النصارى بلدة بطرنة من عمل بلنسيه وقد قتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وأخذوا البلد.

وفى ٤٥٦هـ/ ١٠٦٥م غزا الأعداء مدينة قلمرية وانتزعها من يد ابن الأفطس، وكان عدد النصارى الذين هاجموها نحو ٤٠,٠٠٠ بين فارس وراجل فقتلوا عامة أهلها، وسبوا ألوفا من الرجال والنساء والأطفال منهم ٧٠٠٠ جارية أهدوها إلى صاحب القسطنطينية، وغنموا فيها أمولا وأمتعة يعجز الوصف عنها، ولم يعد يستطيع أمراء المسلمين حماية الناس وفسد أمر الفقهاء.

قال ابن بسام: وفى سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م تولى أمر إشبيلية المعتمد بن عباد خلفا لأبيه، وفى السنة التالية غزا قرطبة وانتزعها من ابن الأفطس، وكان صاحب قرطبة أبو الوليد ابن الأفطس.

وقال ابن بسام فى كتابه «الأنباء فى سياسة الرؤساء» لما أخذ أبو الوليد بن جهور العهد على أهل قرطبة لولى عهده ابنه عبد الملك وولاه على قرطبة فجار واعتدى، وتعاظم حتى سمى نفسه ذا السيادتين المنصور بالله الظافر بفضل الله سلط الله عليه نكاية ابن ذى النون صاحب طليطلة،

فاستغاث ابن جهور بالمعتضد بن عباد فوجه إليه مقدمة فى ٣٠٠ فارس، ثم أرسل بعدهم ألف فارس آخرين مع قائديه خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين، فدخلوا قرطبة، فانصرف ابن ذى النون عن قرطبة مغيظا، وثوى العسكر العبادى بقرطبة بعد رحيل ابن ذى النون عنها، وأحسن أهل قرطبة استقبال قائدى ابن عباد، وشكا لهم أهل البلد مما قاسوه من ابن جهور، ثم أقبل قائدا ابن عباد وهاجماه.

قال ابن بسام «استوى ابن جهور فوق غرفة داره وتكاثر الجند عليهم فأتوه من كل ناحية، وتوصلوا إلى داره من السقف المتصل به، ونزلوا منه على قعرها، وغشيها جموع من الناس أعلاها وأسفلها كالجراد المنتشر، وتقدمت العامة على النهب فصيروا جميع ما احتوى عليه قصره كحريق سريع، وفضوا أقاصى مخازنه على نفيس أعلاقها».

فأما الشيخ أبو الوليد بن جهور رب البيت، فأوى إلى المقصورة ببناته وكرائمه، فاقتحمها عليه قوم من النصارى فجردوهم ونهبوا ما عندهم، فأصبح أميرا وأضحى أسيرا، وآل الحال بالغوى ابنه إلى أن صعد على علية أغلقها على نفسه وعلى نسائه، فارتقى إليه الجند ليقبضوا فيها عليه، فطلب الأمان ونزل طائعا للقائدين وبادر ابن مرتين بالمنع عن أنه يخطى إلى أحد من الناس، وأعلن بالنداء بالسيف فى ذلك، فكف الفسقة وارتفع النهب، وأسرع ابن مرتين الرجوع إلى دار المخلوع، وقد عاصره ابن نجاح، وقدما النظر فى إخراج الغوى ليومهما إلى حضرة إشبيلية، فوكلا به من أخرجه على أعين الناس مع أخيه وطائفته ثم عطفا على النظر فى شأن الشيخ الضليل والدهم ومن معه من بناته ونسائه فصير جميعهم فى دار صفرى والتزم القائدان الجلوس للنظر فى الأمور إلى أن وصل ابن عباد إلى قرطبة فملكها وأمر ابن عباد بإخراج الشيخ أبى الوليد وبناته عن قرطبة، فخرج بهم رجاله، واستقر جملة بنى جهور بجزيرة شلطيش فأقاموا هناك أكثر أيام المعتمد.

وفى سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م افتتح المسلمون مدينة بربشترو مع أحمد بن سليمان بن هود.

وفيها مات باديس ابن حبوس الصنهاجى أمير غرناطة نسم بن نغراله اليهودى، واسم سيف الدولة بن باديس بلقين.

باديس بن حبوس وقومه صنهاجة وانتزاؤهم على غرناطة :

هو باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصنهاجى التلكاتى، وكان زيرى بن مناد ممن ظهر فى حرب أبى يزيد مخلد بن كيداد، وكانت صنهاجة فى ذلك الوقت تتقلد مذهب الشيعة العبيدية، وكانت زناتة بنو مغراوه ضدا لهم فى انحياشهم إلى ملوك الأندلس بنى مروان لتحقق جد ملوكهم خزر وذريته بولاية أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ونفذ إليهم ملوكهم على الأندلس فيجهزونهم بالأموال والكسى ويعودون إلى مواطنهم بالغرب، وكانت بينهم مخاطبات ومراسلات فى قديم الزمان أوجبت تنقلهم من بلادهم إلى الأندلس.

فلما دخلت صنهاجة فى الدعوة العبيدية وتقلدتها، وأبت من ذلك زناتة صارت صنهاجة حربا لزناتة، فكانت زناتة تغير على ثغر الشيعة العبيدية، وتفسد فيه بأشد ما يكون من العبث والفساد حتى بنى معد بن إسماعيل العبيدى ملك الشيعة بآخر إفريقية من جهة مدينة أشير ليغادر منها بلاد زناتة، ورام أن يبيدهم لآبائهم من الدخول فى دولته العبيدية، وانحياشهم إلى الدولة المروانية.

وكان معد بن إسماعيل لما استخلف بلقين بن زيرى بن مناد الصنهاجى ورحل إلى ملك مصر خلا به ووصاه بما يفعله بعده من أمور المملكة من ذلك أن لا يرفع السيف عن قبائل البربر ولا الحزم عن الرعية، ولا تولِّ أحدا من بنى عمك فإنهم يرون أنهم أحق بالأمر منك، فانتقل بلقين، ثم ولى بعد منصور ابنه باديس بن منصور، فأراد أعمامه وأعمام أبيه أن يستهضموه، فلم يعطهم ذلك من نفسه، ووقعت بينهم حرب قتل فى أثنائها عم أبيه مأنس بن زيرى بن مناد فرهب

الباقون صولة باديس وخافوا عاديته، وكتب شيخهم زاوى بن زيرى إلى المظفر بن أبى عامر ليجوزوا له إلى الأندلس رغبة فى الجهاد، فأذن لهم فى ذلك، فدخل منهم إلى الأندلس جماعة مع شيخهم زاوى بن زيرى بن مناد ومعه ابنا أخيه فاكس بن حباسة وحبوس فأكرمهم ابن أبى عامر المظفر وأنزلهم وكانوا من ذلك فى أمر عظيم، إذ أصارهم الدهر يخدمون تحت يد أعدائهم وأضدادهم فكانوا يتكلمون بأشياء فى جانب المظفر فيغضى لهم عنها ولا يقضى لهم على شىء مما يلزمهم من أمور الشريعة، فإنهم كانوا فى بلاد إفريقية لا تأخذهم أحكام الشرع، وكانوا بها يستطيلون على الناس بما شاءوا من الشتم والعبث، فلم يطيقوا ذلك بالأندلس، بل أخذتهم فيها أحكام الشرع، فاجروا لذلك الحقد وأقاموا على ذلك مدة يخدمون مع العساكر كسائر القبائل من البرابر إلى آخر الدولة الفاضلة المراونية.

فلما انهدمت الإمامة وانشقت عصا الجماعة سعوا فى الفتنة كفعل غيرهم من سائر قبائل البرابرة، وكان الأصل فى هذه الفتنة ابن عبد الجبار لأنه استفسد إلى البربر، وكان يصرح فكبتهم ولا يقدر على كتم ذلك، وإذا جاد أكابرهم إلى بابه منعوا دونجوا وضرب رأس خيلهم حتى كان زاوى بن زيرى يقول: رأسى فاضربوا، فأما الدابة فلا ذنب لها، إلى غير ذلك من استفساد أهل قرطبة إليهم حتى هلكوا بأيديهم ونصروا عليهم.

وانحاز صنهاجة هؤلاء مع شيخهم ورئيسهم حبوس بن ماكسن، وقد كان أخوه حباسة هلك فى هذه الفتنة وانصرف زاوى بن زيرى إلى إفريقية فى دولة المعز بن باديس، وقد تقدم سبب انصرافه عند مقتل المرتضى المروانى القائم بشرقى الأندلس، وبقى منهم مع حبوس بن ماكسن جماعة عظيمة، فانحازوا إلى مدينة غرناطة، وأقام بها حبوس ملكا وغلب على نظرها من مدينة قبرة ومدينة جيان، واتسع نظره وحمى رعيته ممن جاوره من سائر الأمراء المنتزين حوله فدامت رياسة حبوس إلى أن هلك سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م، فولى بعده ابنه باديس بن حبوس، وسلم له أخوه

شقيقه بلقين بن حبوس فأمضى باديس وزيرا له وكاتبا وزير أبيه إسماعيل بن نغرالة اليهودى على وزارته وكتابته وسائر أعماله ورفعه فوق كل منزلة فاتخذ هذا اليهودى عمالا ومتصرفين فى الأشغال، واكتسبوا الجاه والمال فى أيامه واستطالوا على المسلمين، وكان هذا اليهودى من أهل الأدب والشعر فدام أمره كذلك إلى أن هلك وترك ابنا له اسمه يوسف لم يعرف ذلة الذمة ولا قذر اليهودية، وكان جميل الوجه حاد الذهن، فأخذ نفسه بالاجتهاد وفى الأحوال واستخراج الأموال واستعمل اليهود إخوانه على الأعمال، فزاد منزلته عند أميره باديس وكانت له عيون عليه فى قصره من نساء وفتيان شغلهم الملعون بالإحسان إليهم والإنعام عليهم، فكان لا يخفى عليه شىء من أمور باديس من كل ما يجرى فى منزله من شراب ولهو وجد وهزل إلا ويعلمه ويعلم اليهود به، فلا يكاد باديس يتنفس إلا ويعلم اليهودى ذلك.

وكان لباديس ولد اسمه بلقين، وكان عاقلا نبيلا فرشحه للأمر من بعده ولقبه سيف الدولة، وكان له خاصة من المسلمين يخدمونه فكان مبغضًا فى هذا اليهودى، فبلغه أنه تكلم فيه عند أبيه، فبلغ ذلك من اليهودى كل مبلغ، ودبر الحيلة عليه، فدخل اللعين يوما على الفتى وقبل الأرض بين يديه فقال له ما تريد؟ فقال يرجو عبدك منك أن تدخل داره مع من أحببت من رجالك يتشرف بذلك العبد، فدخل إليه فقدم له ولرجاله طعاما وشرابا، وجعل السم فى الكأس لابن باديس فرام القىء فلم يقدر عليه، فحمل إلى قصره فقضى نحبه فى غد يومه ولم يعلم أبوه سبب موته فقرر اللعين عنده أن أصحابه وبعض جواريه سموه وتفرق أمره، فقتل باديس من جوارى ولده ومن وفتيانه وبنى عمه جماعة كبيرة وخافته سائرهم ففروا عنه وأقبل باديس على شرابه ليتسلى به مصابه.

وصارت لليهود صولة على المسلمين فى أيامه ودولته إلى أن حدثته نفسه الفاجرة بأشياء أخرجته لضرب رقبته، وقتل جملة عظيمة من أهل ملته.

وذلك أن هذا اللعين طلب أن يقيم لليهود دولة فدس إلى ابن صمادح صاحب المرية في السر أن يدخله غرناطة ويكون اليهودى فى المرية فاختفى فى بيت فحم وسود وجهه وتنكر فعرفوه وصلبوه وقتلوه على باب المدينة، وقتل فى هذا اليوم من اليهود جملة عظيمة ونهبت دورهم وذلك سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م.

واتصلت الحروب والوقائع بين ابن عباد وباديس إلى أن قوى ابن عباد عليه وضعف أمر الأدارسة بمالقة وانهدت دولتهم وتمت أيامهم، وكان آخرهم غلام منهم اسمه يحيى بن إدريس بن على، تركه أبوه صغيرا، وخطب له على المنابر، فدس باديس إلى وزيره وبعض رجاله واستمالهم بالعطاء إلى أن غزا مالقة بجنده، فدخلها وخلع هذا الغلام وخيره فى المسير والبقاء بمالقة فاختار المسير إلى المرية، ثم سار منها إلى قرطبة فاستوطنها وملك باديس مالقة وولى عليها ابنه المعز وجرت له حروب وخطوب إلى أن هلك.

وفى سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م نهض صاحب طليطلة يحيى بن ذى النون إلى صاحب بلنسية عبد الملك بن عبد العزيز بن أبى عامر، وكان صهره، تزوج بنته بعد وفاة أخيه عليها، فأساء عشرتها وأهانها، فاتصل ذلك بأبيها فحقد عليه وعمل مع وزيره ابن عبد العزيز على الغدر به وصرف البلد إليه.

وكان ابن أبى عامر هذا خليعا مائلا إلى الفتيان والغلمة مع خدر كان به فقدم عليه من طليطلة على سبيل الزيارة، وكانت بنته قد توفيت عنه قبل ذلك فنزل خارج البلد بجنده فخرج إليه المذكور وأدخله قصره ليبالغ فى إكرامه وترفيعه، ولا علم عنده بما ينطوى عليه، وكان أدخل معه فتياته وعبيده فأقام عنده أياما، ثم قبض عليه وعلى ابنه فأخرجا معا ليلا إلى مدينة شنت برية من بلد ابن ذى النون، فأقام بها يسيرا ثم هلك، ولحق ابنه بسرقسطة فمات وانقطع بموته اسم آل عامر من الأندلس.

وحصل شرق الأندلس لابن ذى النون على هذا الوجه دون كلفة ولا مشقة ولا نفقة دينار ولا درهم، فحسده على ذلك أمراء الأندلس وعابوا على غدره به.

وفى هذه السنة وفد على المعتضد عباد بن محمد أشياخ بنى يرنيان ووجوههم وخاصتهم بعدما احتال فى ذلك عليهم بضروب من الخيل حتى وفدوا عليه بإشبيلية فبالغ فى إكرامهم ثم غدر بهم فأدخلهم حماما وبناه عليهم حتى هلكوا فيه.

من أخبار بنى برزال الزناتيين المنتزين على قرمونة وما حولها وسبب جوازهم للأندلس :

هؤلاء بنو برزال رهط من زناتة كانوا قاطنين بأرض المسيلة والزاب الأسفل مدينة سطيف وطلبه وميلة، والمسيلة هى التى بناها عبيد الله الشيعى وجعلها بينه وبين زناتة ليكف عدوانهم عن هذه الجهة، وكانوا بنى مغراوة الزناتيين بجهة مدينة تاهرت، وكان الذى تولى بناء المسيلة لعبيد الله الشيعى على بن حمدون، وكان قائدا من قواده، وكان أبوه حمدون من أهل الأندلس، وكان بنو برزال ساكنين حول هذا البلد يخدمون على بن حمدون إلى أن مات علىّ هذا وترك ولدين جعفرا ويحيى، فولى جعفر مكان أبيه وكان زيرى بن مناد مناويه فى أمور المملكة والتنافس فى الرياسة.

فلما جرى من قبل زيرى ما جرى وفتنته زناتة خلع جعفر هذا طاعة المشارقة، وسار إلى الأندلس فاستطالت أيدى صنهاجة على من كان من حاشية جعفر بن علىّ الأندلسى، ولم يكن لبنى برزال طاقة بصنهاجة، فكتبوا إلى جعفر بما نالهم من صنهاجة، فاستأذن جعفر لهم أمير المؤمنين الحكم، ووصفهم له بالشجاعة والانقياد إلى الطاعة، فأذن له فى جوازهم، فجازوا إلى الأندلس، ورجعوا تحت يد جعفر بن على فأقام بنى برزال جندا على عادتهم إلى وقوع الفتنة المبيرة فكشفوا وجوههم فى الحروب كفعل سائر البربر إلى أن استقر قرارهم بمدينة قرمونه واستجة وحصن

المدور وذواتها، وغلبوا على هذه البلاد وجاورهم محمد بن إسماعيل بن عباد من ناحية إشبيلية، وجاورهم بنو يفرن من ناحية تاكرنا، وجاورهم ابن جهور من ناحية قرطبة، وجاورهم باديس بن حبوس من ناحية غرناطة، وجاورهم بنو دمر المنتزون على موررور وذواتها وأميرهم محمد بن نوح.

قال أبو مروان بن حيان: إن هذه القبائل تحالفت وتفاضت على غزو بلاد بنى دمر، ودخل معهم فى ذلك ابن جهور، ولم يدخل بينهم ابن عباد لأنه كانت بينه وبينهم الحرب، وقصدت هذه القبائل بعدما حشدت رعيتها مع زعيمهم باديس بن حبوس ومع أبى ثور، ومعهم جمع من عسكر ابن جهور حصنا من حصون بنى دمر ونازلته منازلة بلاد الروم وأقام هذا العسكر على هذا الحصن يقاتلونهم مقاتلة الكفار حتى دخلوه عنوة فقتلوا رجالهم عن آخرهم وهتكوا الأستار وفتكوا بالأبكار حتى كانت دماؤهم تسيل على أقدامهن عاريات باكيات، واستحوذ السودان وسفال العسكر على النساء فكانت أخبيتهم مملوءة منهن إلى أن برح باديس بعد ثلاثة أيام عليهن فطردوهن عاريات حافيات، وخرج نساء هذا من الحصون إلى سائر القرى والحصون على ما ذكرنا.

وانصرف بنو برزال يضربون على إشبيلية من قرمونة، وخيل ابن عباد تضرب عليهم، ولم تزل الحرب تأكل فرسانهم وأبطالهم إلى أن كتب رئيسهم العز بن إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالى إلى ابن ذى النون أن يعطيه قرمونة وما حولها، ويعطيه ابن ذى النون من بلاده حصنا يكون فيه ويستريح من حرب ابن عباد فأنعم له بذلك على ما يأتى ذكره.

ومن اخبار بنى يفرن الزناتيين واميرهم ابى ثور بن ابى قرة وانتزائهم على بلاد تاكرنا :

وسبب جوازهم أنه لما هلك أميرهم بالغرب بدر بن على بن محمد اليفرنى اجتمع رأيهم على تأمير ابنه محمد بن بدر فحسده على ذلك ابن عمه أبو يداس فغدره وقتله وتأمر مكانه فاختلفت عليه بنو يفرن وصاروا طريقين، فكان ذلك سبب جوازهم لابن أبى عامر فكانوا يخدمونه كسائرهم.

فلما وقعت الفتنة وتفرقت الجماعة تسكعوا فى الحروب كغيرهم إلى أن ظهروا على صقع تاكرنا، وقلقهم رنده، وكان أبو ثور هذا محالفا لابن عباد لم تقع بينهم قط حروب، وكانوا تحالفوا على التناصر والصداقة والتعاضد، وكان ابن عباد يصلهم بالصلات الجزلة صيانة لهم وطمعًا فى استئصالهم إلى أن وجه إليهم فى الزيارة ليتجمل بهم وزعم فى أعذار أولادهم، وذلك منه مكر بهم وخديعة لهم، فأتوه فى أحسن زى وأبهى ملبس وأفخم عدة، وكانت زيارتهم له قبل ذلك مترددة، فجاءوا إليه يباهون عليه فى مائتى فارس من رؤساء قبائلهم، فلما وصلوه أنزلهم وأكرمهم وأنزل أمراءهم فى قصر من قصوره، وبقى يدبر فيهم أمره، فأمر لهم فى اليوم الثالث من نزولهم فى الدخول عليه، فدخلوا إليه وأخذوا فى مجالسهم عنده فأفضى به الحديث إلى عتابهم فى قلة جدهم فى حرب أعدائه، فخاطبهم فى ذلك بكلام خشن، فبجهلهم أرادوا المناصفة لأنفسهم فرد عليه محمد بن نوح الدمرى صاحب مورور، فوكزه المعتضد عباد بيده وصاح بعبيده، وقد كان قدم ذلك فدخل العبيد إليهم فأقاموهم أسوأ قيام من الشتم والهوان ينتفون لحاهم لانخداعهم حتى حصلوا فى يد عدوهم، فأمر عباد فى الحال بتكبيلهم وسجنهم فى مواضع شتى لا يلتقى أحد منهم بغيره.

وكان أمراء القبائل التى غدر بها عباد أبو ثور بن أبى قرة صاحب رنده حليفه وصديقه ومحمد بن نوح الدمرى صاحب مورور وعبدون بن خزرون أمير بنى يرنيان صاحب اركش وذواتها، وأمر بأخذ جميع خيلهم وسلاحهم وأخبيتهم، وجميع ما احتووا عليه، وقد كان أكثرهم تداينوا واستعاروا للأبهة والفخامة على ابن عباد وأصحابه، فحصل من ذلك على مال كثير، وأقاموا أسرى فى يده مدة كبيرة ثم أمر بهم فأخرجوا من محابسهم وصرف عليهم جميع ما أخذه لهم، ثم صنع لأمرائهم طعاما وأدخلوا عليه فأكرمهم وأمر بتطييب الحمام لهم، وسار عبيدهم إليه معهم، وكانوا ثلاثة أمراء أبو ثور وابن نوح وابن خزرون فلما دخلوا الحمام وجلسوا بإزاء الحوض خرج العبيد عنهم، وقد اعدوا الجيار والآجر، فبنى عليهم على دقة بيت الحمام، وأمر السخان أن يكثر الوقود

فالتهب الحمام، فقاموا من مواضعهم يريدون الخروج، فلم يجدوا مخرجا، فكان آخر العهد بهم، وأقام ذلك الحمام عاطلا إلى آخر أيام العباديين ودخول المرابطين.

فرهب البربر صولة عباد وكيده بكل ناحيه، ووجه العساكر إلى بلادهم فاحتوى عليها، ونزل باقيهم إلى إشبيلية وصاروا من رجاله ولم يبق له معاند منهم سوى بنى يرنيان أصحاب شذونه وأركش فإن أميرهم محمد بن خزرون المتخلف عن الوصول إلى ابن عباد، قام فيهم على أخيه عبدون بن خزورن الهالك فى الحمام واتصل نظر ابن عباد بكل ناحية، وزاد همه فى استيصال البرابرة، فجد فى طلب بنى يرنيان، وبنى حصنا قريبا منهم وشده بالخيل والرجال حتى منعهم التصرف فلم يقدروا على مقاومة ابن عباد، وضاق عليهم أمرهم، فصار جماعة منهم منه أميرهم إلى باديس بن حبوس صاحب غرناطة ومالقة وأعمالهما، واتفقوا معه على أن يعطوه الحصن متخلين له عن المال المختزن فيه بثمن معلوم أو يعطيهم باديس بلدا يسكنونه، فيكونون تحت سلطته وبعث معهم عسكرا ضخما، فخرجوا من غرناطة قاصدين قلعة ايخش، ثم خرجوا منها بمتاعهم وأموالهم وعيالهم ولم يخف هذا التدبير على عباد، فانزعج لهم وجلس على طريقهم بعسكره حتى وصلوا إلى الحصن وسلموه إلى قائد باديس وأخرجوا أموالهم وعيالهم.

قال أبو مروان الوراق: فخرج بنو يرنيان بأموالهم وحريمهم وما جمعوه من أول الفتنة، فكانت جملة دوابهم التى عليها أحمالهم وأثقالهم نحو الخمسمائة دابة بغال كلها، وكانت معهم قطعة كبيرة من بنى برزال أعداء المعتضد، فلما أبعدوا عن القلعة بنحو عشرين ميلا تعرض لهم ابن عباد بفحص شلب، فوقعت الحرب بينهم، ولجأ البربر إلى ربوة كانت قريبة منهم، وحطوا أثقالهم إلى الصباح، وكان عباد وقد كمّن لهم كمينا، فلما حميت الحرب وخرج عليهم الكمين وطبوله هادرة وأعلامه خافقة وخيله متناسقة، فلما رأوا ذلك سقط فى أيديهم وضعفت قلوبهم وثاب الظفر إلى ابن عباد فهزمهم ولم يمعن فى اتباعهم ولقى بنو يرنيان فى هذه الحرب شدة عظيمة، لأنهم

قاتلوا على حريمهم وأموالهم حتى أبيد أكثرهم وقتل محمد بن خزرون أميرهم فى أولهم، بعد أن أمر غلامه بقتل امرأته لأنها كانت لطيفة المحل من قلبه، فطعنها برمح وهى راكبة فسقطت وأمر أن يفعل بأخته كذلك، وقتل قائد باديس الذى كان معهم، وركب السيف المنهزمين، وذلك آخر يوم من سنة ٤٥٨هـ/ سبتمبر ١٠٦٦م.

وملك ابن عباد قلعة أركش وسائر بلاد شذونه وخطب له فيها، واتصل نظره إلى أول بلاد شرق الأندلس، ولم يزل أمره يعلو ودولته تزداد نموا وظهورا، إلى أن قطع دابر أمراء البرابرة، ولم يبق منهم إلا باديس بن حبوس، فجيش الجيوش وعمر الأسطول إلى مالقة ونزل بمرساها وجعجع بأهلها، وأقام عليها أياما برا وبحرا إلى أن انصرف الجيش إلى غرناطة فبرز عليها، فلم يخرج إليه أحد من جندها فانصرف إلى حضرته إشبيلية يرفل فى ثوب العزة.

دخول الظافر محمد بن عباد مالقه وخروجه مغلولا منها بعد تقلص الظلال الحمودية الحسنية عنها :

كان أهل مالقة إذا جاء ذكر عباد المتعضد ارتجوا إليه، ورفعوا أصواتهم بالثناء عليه، ويصك سمعهم من هول أخباره شؤم الحمية ولوم العصبية، فاهتبلوا غرة من باديس أميرهم وناجوا عبادا بذوات صدورهم، وألقوا إليه بأيدى تأميرهم وتأصيلهم فأخافوا الغلما من لا يروى على طول الشرب وهزوا سيفا يكاد يهتك الضريبة قبل الضرب فجد فيها وشمر، ونادى أهلها وحشر، وكان المعتمد إذا طول اختصر وإذا تحدث عنه على البعد حضر، فلبى دعاء أهل مالقة وأنفذ إليهم شوكته، وأطلع عليها كتيبته معصيه بابنيه جابر ومحمد الظافر، فأول إطلاله عليها هبت له ريح فتحها، وضحك فى وجهه بشر صبحها، فخلا لأول وقته بحريمها وتحكم فى ظالمها ومظلومها إلا فرقة من السودان المغاربة لاذوا بذروة قصبتها، وهى بحيث ينشأ الدجن تحتها ويعجز دون مرامها الظن، إناخة مكان

وإطالة بنيان، وقد كان أهل مالقة أشاروا على بنى المعتضد حين خلوا بينها وبين البلد بإذكاء العيون وإساءة الظنون، وضبط ما حولها من المعاقل الحصون فغفلا واستصرخ السودان المغاربة أميرهم باديس، فلباهم بزفرة من ثياره وأقبسهم شرارة (سروة) من ناره، فلم يرع ابنى عباد إلا تداعى الجهاد، وصليل الجياد، فلم تر من العباديين إلا أسيرا وقتيلا أو فازعا إلى الفراز ما وجد إليه سبيلا، وامتلأت أيدى الباديسيين من السلاح والكراع، ورفلوا بين خيار البز وفاخر المتاع، ولجأ ابنا عباد إلى زبده، وقد انغمسا فى عارها وصليا بنارها، ورأيا وجه الموت فى لمعان أشنتها وشعارها، ثم خاطب الظافر، وهو المتلقب بعد بالمعتمد أباه عبادا بالشعر يستعطفه ويسليه عن مصابه فمنها.

قـــد أخلقـــتنى صـــروف أنت تعلمـــهـــا
وعــــاد مــــورد آمـــالى بهـــا كـــدر

(بيان ٢٧٥/٣).

وفى سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م كان القيام على اليهود بغرناطة ومقتل ابن نغرالة وقتل من اليهود أكثر من ثلاثة آلاف، واستؤصلت أموالهم، ووجدت لابن نغرالة فيما وجد له خزانة جليلة من كتب أشتات العلوم الإسلامية وكان له وراقون ينسخون له الكتب بالنفقات والمرتبات.

ذكر ابتداء الدولة الذنونية

بالأندلس

واحتوائهم على مدينة طليطلة

ذكر أصحاب التاريخ أن بنى ذى النون هم من قبيل البربر الذين كانوا يخدمون الدولة العامرية، وأن اسم جدهم وهو الحامل لهذا الاسم إنما هو زنون، فتصحف بطول المدة فصار ذا النون، وهو اسم شائع فى قبائل البربر، ولم يكن لهؤلاء القوم مناهدة قديمة ولا ذكر إلا فى دولة ابن أبى عامر، فإنهم تقدموا فى دولته واشتهروا منذ كان منهم من يقود الجيوش، ويلى الأعمال والبلاد، وكان منهم بأخر أمير الجماعة وإل بكورة شنت برية، فلما وقعت الفتنة بالأندلس كان الوالى بمدينة طليطلة وذواتها عبد الرحمن بن منيوه وأدركته منيته فى خلال ذلك فورث نظره عبد الملك بن عبد الرحمن بن مينوه، فأساء السيرة فى الرعية.

وكان أهل طليطلة على قديم الدهر أهل فتنة وقيام على الملوك، فلم يرضوا سيرة هذا الفتى، فخلعوه وولوا على أنفسهم من ينظر فى أمرهم، ثم إنهم نقموا عليه شيعة فخلعوه وولوا غيره ثم خلعوه، ثم رأوا أن يرسلوا إلى ابن ذى النون بشنت برية، فوجه إليهم ابنه إسماعيل بن عبد الرحمن ابن ذى النون، فاستولى هذا الفتى على ملك طليطلة وبلادها فساس أهل مملكته السياسة الحسنة، ورضوا عليها.

وكان أكبر أهل طليطلة وبلادها رجلا يسمى أبا بكر الحديدى، وكان شيخها والمنظور إليه بها من أهل العلم والعقل والدهاء وحسن النظر فى صلاح العامة، وكانت العامة تعضده وتقوم دونه، فكان هذا الفتى إسماعيل بن ذى النون لا يقطع أمرا دونه ويشاوره فى مهمات أموره، فحسده قوم من أهل طليطلة على منزلته عند أميرهم فناقشوه وعادوه، وحضرت منية إسماعيل بن ذى النون فولى ولده بعده ابنه يحيى بن إسماعيل.

دولـة يحيى بـن إسماعـيل بـن ذى النـــون الملقب بالمأمون بمدينـة طليطلـة وذواتـهـا :

لما ملك يحيى بن ذى النون طليطلة جرى على سيرة أبيه فى استعمال قانون العدل، وجرى مع ابن الحديدى على سنن أبيه، فاستقامت طاعته وضخم ملكه، وكان يلى نظره من ناحية سليمان بن محمد بن هود وبعضهم إلى ابن ذى النون فبعث ابن هود جيشا إليها أمر عليه ابنه أحمد ولى عهده فنازلها وقاتلها واستجاب له بعض أهلها فأدخلوه البلد.

وبلغ ذلك يحيى بن ذى النون فقامت قيامته، وأسرع نحو وادى الحجارة ليباشر ما جرى من أهلها، فجرت بينه وبين ابن هود حروب ووقائع كان الغلب فيها لابن هود، إلى أن فر ابن ذى النون أمامه وانحصر فى مدينة طلبيرة بجيشه، فنازله أحمد بن هود وضيق عليه، وكتب إلى أبيه يعلمه بما تهيأ له، فجاوبه أبوه بالرجوع عنه، فرجع ابن هود إلى سرقسطة فلج ابن ذى النون فى الفتنة ومطالبة سليمان بن هود فأداه اللجج والجنوح إلى الغلبة والأباية من الاستهضام إلى مظاهرة النصارى والتناصر بهم، فاستمال القومسان الأسبان من ولد الطاغية شانجة... ... ورعيا من المسلمين فى الثغر الأعلى قاصدين مكروه ابن هود لإرضاء ابن ذى النون، فانبسطوا هنالك آمنين وجرت خيولهم كيف شاءت فى بلاد المسلمين مطمئنين، ولاذ منهم ابن هود وولده بحصونهم وتركهم يجولون فى الأرض فلا أحد يصدهم عن ذلك، وكان أوان الحصاد، فنزل المشركون بها نزول إقامة، وحشدوا لها علوجهم للحصاد والنقلان مدة من شهرين كاملين حتى استوعبوا جميع ما فيها حصادا ودرسا ونقلانا إلى بلادهم والمسلمون ينظرون لا يملكون دفاعا، ثم انصرف العدو عنهم إلى أرضه بعدما قتل وأسر ودمر فقوى طمعه فيهم وامتدت آماله إلى التغلب على بلاد المسلمين إذ لم يقف أحد فى

وجهه، وتمكن خلال ذلك يحيى بن ذى النون من العبث فيما يليه من بلاد ابن هود، ولم يقصر فى إفساد ما وطئ من بلاد المسلمين.

ثم دعت الضرورة لابن ذى النون إلى مخالفة المعتضد بن عباد، والدخول فى دعوته الهشامية التى أنكرها أبوه قديما من الدخول فى دعوة المشبه بهشام المؤيد، فاستحالت نيته عن ذلك واستجاب لها الآن ودعا رعيته إلى الدخول فيها، كل ذلك طمعا فى نفرته على معاداة سليمان بن هود، فوعده ابن عباد بالتداخل والتناصر والتظافر، وأظهر يحيى بن ذى النون الدخول فى هذه الدعوة الهشامية وعقد البيعة على نفسه وأجناده وأهل عمله كل مذهب، وغره الأمل واتبع الباطل وأشتغل ابن عباد عنه بحرب ابن الأفطس والطلب لبلاده، وزلت قدم يحيى بن ذى النون فى ذلك ولم يبلغ أمله، وقد كان قرر مشيخة طليطلة كابن مغيث.... .... رأيه على ذلك وردوا الأمر إليه، وكان المتمم لذلك يحيى بن ذى النون أبو عمرو بن الحديدى هذا الأمر ورجع الدعاء لهشام بطليطلة بحضرة ابن الدب الإشبيلى ومن قبل يحيى بن ذى النون أبو عمرو بن الحديدى ففقد ابن الدب وابن الحديدى هذا الأمر ورجع الدعاء لهشام بطليطلة بحضرة ابن الدب، وسار ابن الدب إثر ذلك إلى إشبيلية ومعه وفد طليطلة فجاءوا ابن عباد فحد الدهر فيما ظنه واستطار بذلك فرحا وقرر أنه لم يبق عليه بعد طليطلة أحد.

وظاهر سليمان بن هود النصارى أيضا: فرذلند بن غرسية وردمير بن شانجة بن غرسية، وكان بين هؤلاء الإخوة من التنافس والتباعد والعداوة والحرب أشد ما بين آبقين، فراسل ابن هود فرذلند الطاغية وبعث إليه بأموال جمة وهدايا جليلة وسأله الخروج إلى بلد ابن ذى النون بجيشه فخرج بعدد عظيم إلى ثغر طليطلة فأفتى حماته ورجاله وعاث فى بلادهم، وصب الله تعالى على أهل الثغور من الجبن عن العدو ما لا بقاء له، فلا يكاد أحد منهم يلقى عدوا نصرانيا فى قرار من الأرض إلا ويوليه الدبر غير مستحى من الله تعالى من الفرار أمامه حتى تعود أعداء الله ذلك منهم،

فلا يعدون حيلهم شيئا، فذهبت أموال أهل طليطلة بتكرر الغارات عليهم، وفشت جوائهم وجلا كثير من أهل ضياعهم وأطرافهم إلى قاعدتهم.

واضطر أهل طليطلة أن يبعثوا إلى سليمان بن هود يطلبون منه المصالحة والمهادنة ووصلوه إلى سرقسطة فدخلوا عليه ووعظوه وذكروه الله سبحانه، وعرفوه بما تهيأ للعدو من النصر والظفر على المسلمين، وما أفسد من بلادهم، وما ظفرت به أيديهم من أموال المسلمين، وعزموا عليه فى الصلح الذى يزيل طمع العدو فيهم، فأظهر لهم قبول ما دعوه إليه، ورجعوا إلى أميرهم يحيى بن ذى النون، وهو متردد فى الميل إلى وفاء النصارى، فنهوه عن ذلك فلاقوا منه انقيادا، ورد العدو الذى كان معه إلى بلاده.

ثم إن ابن هود مكر بابن ذى النون واستخرج طائفة من النصارى المظاهرين له الذين يستطيل بهم، وركب بجيشه فيهم منتهزا فرصته، فأتى باب مدينة سالم المستضافة إلى ابن ذى النون باسطا الغارة مستطيلا بجمعه، فخرجت خيلهم لدفاعه فهزم جميعهم وقتل منهم جملة، ومال سليمان إلى الحصون التى كان انتزعها ابن ذى النون من يديه فاستردها، وأثر فى أعمال ابن ذى النون آثارا قبيحة.

وكان مع سليمان بن هود عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذى النون أخو يحيى الذى نازعه سلطانه فدله على عوراته وبالغ فى إذايته، ويحيى فى هذا كله قد بلغ به اللجج كل مذهب فأبرز أمواله وانحنى على ذخائره، فوجه بكثير منهم إلى الطاغيه غرسية، فخرج غرسية المظاهر لابن ذى النون فى جموع جمة من الكفرة إلى الثغر الأعلى فحشى قلوبهم رعبا وخوفا، ثم أتى قلعة قلمره من ثغر تطيلة بجمعه، فلم يزل عنها حتى فتحها وذلك فى صدر عام ٤٣٧هـ/١٠٤٥م.

وقد كان ابن هود فى هذا كله قد حاد عن لقائه على ما كان عنده فى ذلك الوقت من

الجموع ووفود لأعذاد واقتصر على ضبط الحصون والقلاع وشحنها بالأطقمه والرجال وخلى بين عداة الله من النصارى والبسائط يسعرونها نارا.

وخرج فرذلند الطاغية أيضا المظاهر لسليمان بن هود وهو فرذلند بن شانجة أمير جليقيه إلى ثغر طليطلة فى خلق كثير، وجاء ابن عم ابن ذى النون ليدله على عورات البلاد، وتهارب الناس إليه من كل جهة إلى طليطلة حتى عفت بهم واضطربت أحوال أهلها، كل ذلك وأميرهم يحيى بن ذى النون غائب عنهم بجيشه فى مدينة سالم مقيما بها لئلا يدخلها ابن هود، فلما تيقن بخروج هذا اللعين إلى عمله وضجت رعيته إليه جاء فى جموعه فلم يضع شيئا ولا قدر على لقائه واضطربت أحوال الناس بطليطلة خلال ذلك وغلت.

ولما رأى أهل طليطلة ذلك أرسلوا إلى الطاغية فرذلند المظاهر لابن هود ليعقدوا معه صلحا على بلدهم طليطلة وما حولها على مال يؤدونه إليه ويرحل عنهم فقال لهم: ما أجيبكم إلى سلم ولا أعفيكم من حرب حتى تفعلوا كذا وكذا، واشترط عليهم شروطا لا يقدرون عليها، فقالوا: لو كنا نقدر على هذه الأموال وهذه الأشياء لأنفقناها على البرابرة واستدعيناهم لكشف هذه المعضلة، فقال لهم فرذلند: أما قولكم لا تقدرون على هذه الأموال فذلك محال، فلو كشفت سقوف بيوتكم لبرق ذهبا لكثرته، أما استدعاؤكم البربر فأمر تكثرون به علينا وتهددوننا به، ولا تقدرون عليه مع عدواتهم لكم، ونحن قد صمدنا لكم وأنبا لى من أتانا منكم فأنما نطلب بلادنا التى غلبتمونا عليها قديما فى أول أمركم، فقد سكنتموها ما تيسر لكم وقد نظرنا الآن عليكم لرداءتكم فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم فى سكناها بعد اليوم، ولن نرحل عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم، فلم يجد أهل طليطلة عند فرذلند وأصحابه النصارى قبولا لما عرضوا عليه من الصلح.

وكان أخو هذا العلج صاحب يحيى بن ذى النون مظاهرا له، فخرج فى هذه السنة إلى بلاد ابن هود فوطئها وأهلك أهلها واحتل بالثغر الأعلى، وفعل فعل أخيه فرذلند فى نظر ابن ذى النون.

ودامت الفتنة ما بين هذين الأميرين ابن هود وابن ذى النون عى هذه الحال من سنة ٤٣٥هـ إلى ٤٣٨هـ/ ١٠٤٣م- ١٠٤٨م وانقطعت بموت سليمان بن هود فى السنة المذكورة.

فلما تحقق يحيى بن ذى النون بموت سليمان المذكور جعل يطلب جاره ابن الأفطس صاحب بطليوس، فجرت له معه حروب كثيرة.

فلما اشتدت أمور بنى برزال أصحاب قرمونه مع عباد المعتضد وضاقت أحوالهم خاطبوا أميرهم العز بن إسحاق المأمون يحيى بن ذى النون يستغيثون من ابن عباد وألح عليه ووالى كتبه على أن يعطيه قرمونة وسائر نظرها، ويعطيه المأمون من بلاده عوضا عنها فاتفقا على ذلك وخرج العز بن إسحاق من قرمونة إلى حصن المدور، وكان من جملة بلاد ابن ذى النون، فأخلاه له وحصل بقرمونة، وهى من بلاد ابن ذى النون.

ولما بلغ ذلك ابن عباد كتب إلى ابن ذى النون فى السر يقول له إن قرمونة قريبة من بلدى، وهى أليق بى لأنها بعيدة عن بلادكم، فاصرفها إلى، وتكون يدى ويدك واحدة على مدينة قرطبة حتى تكون لك، وكانت مدينة قرطبة معنية ابن ذى النون فأجابه ابن ذى النون إلى ذلك، وتوثق منه بالأيمان وأخلى له قرمونة فرجعت لابن عباد فشحنها بالأطعمة وقواها بالرجال، وغدر ابن عباد بابن ذى النون ولم يف له بشيء، فاغتاظ ابن ذى النون ووجه إلى قرطبة عسكرا عظيما، وجرت لأهل قرطبة معه حروب عظيمة، فضاقت قرطبة بأهلها وانقطعت عنهم المرافق فاستغاثوا بمحمد بن عباد وهو المعتمد وكان لقبه الظاهر، فأتاهم معينا لهم، فقاموا على أميرهم عبد الملك بن جهور وملكها جيش المعتمد.

ويختم ابن نصر كلامه بذكر النجاح الكبير لذى لقيه المعتضد والمعتمد فى الأندلس والمغرب.

وأبو نصر هذا هو مرجع من كبار مراجع كتاب المطمح فى تاريخ الأندلس.

بعض أخبار ملوك الطوائف بالأندلس :

ألحق ناشرا كتاب «البيان المغرب» لابن عذارى بالجزء الثالث منه قطعة، وابيه محطوط فى تاريخ الأندلس والقطعة مجهولة العنوان والمؤلف، ولكنها قطعة طيبة فيها الكثير من الفوائد.

وفيما يلى ملخص لها:

ذكر دولة المتأيد باديس بن حمود فى مالقه وسبتة :

تبدأ القطعة ببقية سيرة المتأيد إدريس بن حمود، وتقول إنه كان شهمًا كريماً ومعطاء حسن الرأى والسيرة فى الرعية، وقد مات بمالقة فى ١٦ محرم سنة ٤٣١هـ/ سبتمبر - أكتوبر ١٠٣٩م وحمل إلى سبتة فدفن بها.

دولة القائم يحيى بن إدريس بن على بن حمود :

هو ابن السابق، ويكنى أبا زكريا، وقد بويع به بالإمارة فى يوم وفاة أبيه بتقديم وزير أبيه وكاتبه أبى جعفر بن موسى فى ١٦ محرم سنة ٤٣١هـ/ أكتوبر ١٠٣٩ ويقول مؤلف القطعة إنه بويع له بمالقة وخطب له فى مالقة وأعمالها، وكان ضعيف الرأى سيئ الحال غير مسدد التدبير فثار عليه عمه حسن بن إدريس بن على بن حمود فحاصره حصاراً شديداً إلى أن طلب الصلح على أن ينخلع له ويبايعه ويسلم له بالخلافة، وتم ذلك فى جمادى الآخرة ٤٣١هـ وعاش بعد ذلك دون إمارة حتى توفى فى ربيع الآخر سنة ٤٣٤هـ/ ديسمبر ١٠٤٣م.

دولـة المستنصـر حسـن بـن المعتلـى يـحيى ابن الناصر على بـن حمـود الفاطمـى صاحب سبتة :

وعندما وصله التابوت بجثة أخيه دفنه وعبر إلى الأندلس وملك مالقة واستوزر وزير عمه أبى جعفر بن أبى موسى، وكان يكرهه، فقتله يوم الفطر سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤١م وبايعته غرناطة وجملة من بلاد الأندلس وعدل فى الرعية وجبى الأموال ووفر الأجناد، ولم يزل على أحسن حال حتى توفى فى جمادى الأولى سنة ٤٣٤هـ وكانت دولته أربع سنين ولم يترك ولدا كبيرا وإنما ترك أخا صغيرا فاعتقله نجاء الصقلبى وغلب على مالقة وأعمالها واستبد بتدبير الأحداث.

دولة العالى إدريس بن يحيى بن على بن حمود :

يكن أبا العلاء، يوبع فى اليوم الذى قتل فيه السطيفى، وذلك أن نجاء الصقلبى لما اعتقل هذا العالى إدريس واستبد بالأمر امتد أمله إلا ما لا يمكنه، فخرج من مالقة فى جنوده واستخلف على مالقة رجلا من مالقة من خاصيته يعرف بالسطيقى وتوجه إلى الجزيرة الخضراء يريد أن يقبض على محمد وحسن ابنى القاسم بن حمود، فلم يتهيأ له ما أراد فرجع خائبا من أمله إلى مالقة، فاغتاله ليلا فى خبائه بعض عبيد أبيهما القاسم بن حمود، فقتله واحتز رأسه ورفعه على رمح وطاف به تلك البلاد ثم أدخله مالقة، فثارت العامة على السطيقى فقتلوه وصلبوه ورفعت رؤوسهما على عصاوين، وأخرج إدريس المعتقل من السجن ويويع له، وذلك يوم الخميس السادس من أحد شهرى جمادى سنة ٤٣٤هـ/ يناير – فبراير ١٠٤٣م، ثم بويع له بغرناطة وقرمونة وما بينهما من البلاد.

وكان عدلاً خيراً، ولم يزل على أحسن حال إلى أن ثار عليه ابن أخيه محمد المهدى، فجرت بينهما حروب، وكان الظهور فيها لابن عمه فانخلع له وسلم إليه الأمر وذلك فى رجب ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م، فكانت دولته، ثلاث سنين وستة أشهر، ومات بعد ذلك بيسير.

ذكر دولة المهدى محمد بن إدريس المتأيد
ابن الناصر بن على بن حمود الفاطمى :

يكنى أبا عبد الله، بويع له بمالقة يوم خلع عمه العالى فى رجب ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م، فتمت له الأمور، وبايعته البلاد فضبطها وأحسن تدبيرها، وكان مؤدبًا نبيلاً فطنًا حسن السيرة قائما بأمور الدولة محسنا للرعية مشمرًا للمجابى قائما بأمور الأجناد.

دولة بنى خزرون :

عماد الدولة أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزرى أمير بنى يرنيان، قام بقلسافة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م عند استحكام الفتنة، ثم غلب على أركش وهى أعظم معاقل الأندلس، وكان سفاكا هتاكا قتالا، مات سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م.

ابنه القائم ابن عماد الدولة :

خلعه المعتضد بن عباد ٤٦١هـ/ ١٠٦٤م، كانت دولته ودولة أبيه ٥٦ سنة.

دولة عز الدولة محمد بن نوح بن يزيد الدامرى :

من بنى يرنيان وهم أباضية، وقد استولى على بلادهم المعتضد وقتلهم ولم يطلق منهم إلا أبا ثور.

دولة عز الدولة محمد بن نوح الدامرى بمورور:

حكم بمورور ٣٠ سنة وخلعه المعتضد.

ولة المظفر عيسى بن ابى بكر صاحب شلب :

جرت بينه وبين المعتضد حروب، خلعه المعتضد وقتله آخر ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م وكانت دولته خمس سنين.

ولة الناصر محمد بن ابى الاصبغ عيسى بن ابى بكر بن سعيد بن مزين فى شلب :

وكان الناس يحبونه لطلبه وعلمه وعقله فى شلب، قفز عليه المعتضد، حكم ٥ سنين، قضى عليه المعتضد فى شوال ٤٥٥هـ/ أغسطس ١٠٦٣م.

ولة المتعصم صاحب شنترية الغرب :

حكم ١٠ سنين وخلعه المعتضد.

ولة عز الدولة عبد العزيز البكرى صاحب اونية وشلطيش :

هو والد عبيد الله البكرى صاحب كتاب المسالك والممالك، كان محسنا فاضلا، قضى عليه المعتضد سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥٠م.

دولة تاج الدولة ابى العباس احمد بن يحيى فى اونية وشلطيش :

صاحب ولبة جبل العيون خلع المعتضد وحكم ٢٠ سنة، وكان محسنا وقد حكم ٢٠ سنة ولم يكن له عقب فأوصى لأخيه.

دولة عز الدولة محمد بن يحيى اليحصبى :

خلف أخاه على ولبة، تولى ولبة خلفا لأخيه- ضايقه المعتضد فذهب إلى قرطبة ومات هناك، كانت بينه وبين المعتضد حروب ثم ترك ولبة للمعتضد سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٢م.

دولة المنصور بن أبى عامر :

بويع ببلنسية واسمه عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصرى فى بلنسية، وقد قتل فى الحروب.

دولة الأمير أبى عمرو عثمان بن أبى بكر محمد بن عبد العزيز فى بلنسية :

حكم ١٠ أشهر إلى أن خلعه ابن حجاب وقتله ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م.

دولة القاضى أبى جعفر أحمد بن حجاف فى بلنسية :

تولى فى بلنسية ٤٨٥هـ/ ١٠٩١م، أخذ منه السيد القنيطور بلنسية، قتله سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، وظل السيد القينطور فى بلنسيه إلى أن أخذها منه مزدلى المرابط ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م.

دولة القائد الثغرى بمرسية :

ملكها بعد عودة المرابطين من الأندلس إلى إفريقية.

دولة القائد الثغرى أحمد بن أبى جعفر بن عبد الرحمن :

حكم ٤ شهر ويومين سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م بمرسية.

دولة بنى رزين ملوك شنترية الشرق :

يعرفون ببنى الأصلع، شنترية الشرق ويقال لها السهلة، اسمه هذيل بن رزين البربرى وكنيته أبو محمد، اشترى جارية الطيب أبى عبد الله الكنانى بثلاثة آلاف دينار، حكم ٣٣ سنة وتولى سنة ٤٦٣هـ وخلفه ابنه عبد الله، وانظر وصف الجارية (ابن عذارى ٣/ ٣٠٨).

وخلفه ابنه عبد الملك بن هذيل بن طف بن لب، كان سيئة العصر وعار الدهر، وكان معجبا بنفسه، وقد حكم ٦٣ سنة ومات فى شعبان ٤٩٦هـ/ أبريل ١١٠٣م.

دولة ابنه حسام الدولة بن عبد الملك :

كان سيئا مدمنا للخمر، توفى ٤٩٧هـ وانتهت دولتهم، حكم سنة واحدة وانقرضت دولتهم.

دولة بنى برزال ملوك قرمونة :

كانت قرمونة فى أيام هشام المؤيد بيد أبو عبد الله البرزالى، لما قامت الفتنة استقل بها وبدمته استجة واشونة والمدور، وقد حكم ٣٠ سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٣م.

دولة ابى نصر فتوح بن ابى ثور هلال ابن ابى قرة بن دوناس اليفرنى مالقه :

ورية فى مالقة ورية وقد ملك ٥٠ سنة ابتداء من فى رندة وجهاتها، وانتهت دولة بنى دوناس.

وقد مات ابن دوناس ٤٥٧هـ/ ١٠٣٥م.

موجز تاريخ بداية بنى عباد، البيان ص ٣١٤حـ ٣.

دولـــة المرابطيـــن

ودخـــولهم الأنـــدلـــس

أصلهم من جنوب المغرب الأقصى، وهم قبائل كثيرة تجتمع إلى أصل واحد، منها قبيلة كبيرة تسمى جدالة، وكان رئيس جدالة هذه يسمى يحيى بن إبراهيم، وكانت جدالة صنهاجية، وكان يحيى بن عمر قد ذهب للحج، وعاد إلى المغرب الأقصى، فلما مر بالقيروان زار مجلس فقيه إفريقى يسمى أبا عمران الفاسى، وأعجبه هذا الفقيه، وتكلم معه، وسأله عن مذهبه فقال له إنه من قبائل الصحراء، وليس هناك من يعلمهم الدين، فقال له أبو عمران الفاسى إنى أعرض الأمر على تلاميذى وأدعوهم للذهاب إليكم.

ولما تكلم أبو عمران الفاسى مع تلاميذه لم يجد فيهم من يتجشم عناء السفر إلى الصحراء، وأضاف أبو عمران: ولكن لى تلميذا ذكيا ونشيطا فى بلادكم يسمى وجاج أو واجاج، وأنا أعطيك له خطابا ليتوجه إليكم أو يختار لكم أحد تلاميذه.

ولما وصل يحيى بن عمر إلى بلاده سأل عن وجاج فدلوه عليه، فركب إليه ووجده فى موضع يسمى ملكوس، وحدثه فى الأمر فاستجاب له أحد تلاميذه ويسمى عبد الله بن ياسين، وخرج عبد الله بن ياسين معه وذهب إلى قبائل الصحراء، ومنها جدالة، ودعاهم إلى أن يذهب واحد منهم إلى بلاد جدالة، فاستجاب للدعوة رجل يسمى عبد الله بن ياسين، وذهب إلى جدالة فى جنوب المغرب الأقصى ودعاهم ولكنهم لم يستجيبوا إلا قليل وطردوه وبقى عبد الله بن ياسين إلى قبيلة ذلك الرجل.

ويقال إن عبد الله بن ياسين نصح أبا بكر بن عمر بأن تغزو قبائل جدالة قبيلة مجاورة هى لمتونة من جيرانهم وانتصرت جدالة على لمتونة، وتولى الزعامة عبد الله بن ياسين، وأقام عبد الله بن ياسين يعلم فى جدالة، وكبر أمر جدالة وسادوا لمتونة وأصبحت القبيلتان حلفاء، ولكن أبا عمران الفاسى

نصح عبد الله بن ياسين بالعودة إلى بلاد جدالة، وأعطاه خطابا إلى رجل من أهل العلم فى المغرب الأقصى، وكان عبد الله بن ياسين رجلا ذكيا قادرا حتى إنه رأس قبائل جدالة ولمتونة وأصبح صاحب الأمر فيهم، وأيده يحيى بن إبراهيم.

وكان أمير لمتونه رجلا يسمى عبد الله بن عمر، وقد أعجب بعبد الله بن ياسين، وكانت لمتونة قد أطاعت عبد الله بن ياسين، فأمرهم بغزو جدالة، فغزتها وأصبحت لمتونة أقوى قبائل الصحراء مع جدالة، وكان رئيس لمتونة عبد الله بن عمر معجبا بعبد الله بن ياسين، ونصحه عبد الله بن ياسين بغزو قبائل الصحراء، وبالفعل غزاهم وأصبح المستشار الرئيسى لعبد الله بن عمر، وغزت القبيلتان قبائل الصحراء، وعاد عبد الله بن ياسين إلى جدالة بعد أن أطاعوه، وظل عبد الله بن ياسين أشبه برئيس للمتونه وجدالة، وقبائل أخر مثل مسوقة، وكان عبد الله بن ياسين قد ذهب إلى الأندلس فى لسبابه ودرس هناك، وكان من ملوك الطوائف هناك برغواط، فغزوه بغرواطة وغيرها من القبائل البربرية التى هاجرت إلى الأندلس أيام المنصور محمد بن أبى عامر، وكان يعرف قبائل الصحراء، فدعا عبد الله بن عمر إلى غزو القبائل تفعل ونجح عبد الله بن ياسين وأصبح أشبه برئيس لهذه القبائل، وكان ينصحهم بما فيه صالحتهم ويزعم أن ذلك من الإسلام فكبر مركزه وأصبح قائدا لقبائل جراوة وزعاوة وزغارة ومسوانة، ومطفرة والبرانس وركونة وغيرها، ووجد عبد الله بن ياسين قد وجل نجاحا عند قبيلة جزولة فانتقل إليها وأطاعه رئيسها، ثم أصبح عبد الله بن ياسين رئيسا لهذه القبائل لخدمته مصالحها وغزوا قبيلة درعة وهى قبائل كثيرة فتزعمها كلها وسادها بل ساد رئيسها كلها أبا زكريا يحيى بن عمر.

دولة الأمير ابى بكر بن عمر اللمتونى:

لما توفى أبو زكريا بن عمر ببلاد الصحراء قام عبد الله بن ياسين فى درعة أميرا على لمتونة مكانه فى أوائل محرم ٤٥٠هـ/ فبراير ١٠٥٨م، وبايعه بعض الزناتيين بقيادة عبد الله بن ياسين،

وبعد صامعته بدرعة خرج ومعه عبد الله بن ياسين فكاتب عبد الله بن ياسين إلى بلاد المصامدة وخرج من سجلماسة إلى إغمات حيث اجتمع بوريكة وهيانة وهزميره، ثم دعا عبد الله بن عمر إلى الخروج إلى أغمات وبابعته قبائل المصامدة الذين ذكرناهم.

وقد مات عبد الله بن ياسين بعد أن وصل بعبد الله بن عمر إلى رئاسة المصامدة ومن تبعه من زنانة، ولم يكن فقيها عظيما ولكنه كان يشرع بما فيه مصلحة أتباعه ولكنه على أى حال هو الذى وصل بعبد الله بن عمر إلى رياسة المصامدة والزناتية فى درعة.

وقد مات عبد الله بن ياسين فى حرب برغواط.

وجدهم الأعلى ترجوت بن ورطاسن بن منصور بن مصالة بن أمية بن وانمالى الصنهاجى ثم اللمتوتى، وخلفه ابنه إبراهيم وكان يلقب بأمير الحق، وكان يحيى بن عمر يعرف.

ولما مات يحيى بن عمر خلفه أخوه أبو بكر بن عمر، وكان له ابنان إبراهيم ويحيى، ويعرف إبراهيم بابن عائشة بنت ياران بن تانشيفت أخت إسحاق بن ياران، وأما إبراهيم فلم تعرف أمه، وكان أسود الخلقة، وابنه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترجوت.

وفى سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م استقامت الأمور لأبى بكر بن عمر وطاعت له البلاد، وكان مستوطنا بأغمات، وكانت بها امرأة جميلة تعرف بزينب النغزاوية وكانت لها أخبار مستطرفة جميلة ذات أخبار مستطرفة فهى حكيمة وكانت تقول إنها لن تتزوج إلا ملك المغرب كله.

وفى سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م بعث أبو بكر بن عمر جيشا إلى الشمال قود عليه ابن عمه يوسف بن تاشفين، وكان يسيطر هنا بنو يفرن الزناتيين فهزمهم يوسف بن تاشفين، وأراد اختيار عاصمة له غير أغمات، فدلوه على موضع من بلاد بين بلاد قبيلتى وريكة وهزميرة على نهر، وكان زواج يوسف بن تاشفين من زينب النغزاوية سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٩٣م.

أما مراكش فقد ابتدئ في بنائها في رجب سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م، ثم كمل بناؤها بعد ذلك، ومعنى مراكش قصر الحجر وتم بناؤها وقامت سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م.

وقد ذهب أبو بكر بن عمر إلى الجنوب للحرب مع أعدائه، واستخلف يوسف بن تاشفين مكانه، فأتم بناء مراكش وسكنها. وكان زواج يوسف بن ناشفين من زينب النغزاوية سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م.

ورجع أبو بكر عمر من غزوته في الصحراء وكان يوسف قد تمكن من الملك فنصحته زينب النغزاوية بتقديم هدية له بالتمسك بالملك، ولما عاد أبو بكر بن عمر سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م أهدى له هدية عظيمة وتمسك بالملك، ورأى أبو بكر بن عمر بعد أن أخذ الهدية أن ملك يوسف ابن عمه عظيم فتنازل له في هذه السنة ورجع للحرب في الصحراء وكان يوسف قائدا عظيما، لم يخسر أى معركة له.

أما الهدية فكانت ٢٥ ألف دينار من الذهب و٧٠ سيفا محلاة و٢٠ مهمازا محلاة و١٥٠ بغلا ذكورا وإناثا و٢٠ جارية جميلة و٥٠٠ بقرة و٥٠٠ رأس من الغنم وألف ربع من دقيق الدرمق و١٢٠٠٠ خبزة و٧٠٠ مد من الشعير وكثير من العود والصندل والمسك، وعاد أبو بكر بن عمر للصحراء للحرب فقتل سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م، وكانت غيبة عن يوسف ثلاثة أشهر.

تسمية يوسف بن تاشفين بأميـــــر المسلمـــــين :

وعرض عليه رؤساء القبائل أن يسموه أمير المؤمنين فرفض واكتفى بأمير المسلمين.

وفى سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، وفى السنة التالية ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م فتح تلمسان وأكرم أميرها.

ابن حجاف والقنيطور ببلنسية :

وكان القاضى أبو أحمد بن عبد الله بن حجاف قد استبد ببلدته وتصدى للسيد القنيطور، وقد تغلب ابن حجاف على بنى الحديدى وقتل أبا بكر بن الحديدى.

وكان ابن حجاف قد ظهر بمظهر الملك واتخذ الجند والحشا فتصدى له السيد القنيطور وتصدى للقاضى محمد بن إسماعيل بن عباد، وقد طمع السيد القنيطور فى بلنسية.

وفى سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٩٣م عظم بلاء السيد القنيطور على بلنسية وبادر الأمير أبو بكر بن إبراهيم بإعلام أمير المسلمين بذلك، واشتد بلاء السيد بأهل بلنسية وحصاره لها حتى زادت على أزمة طليطلة، وكان السيد القنيطور قاسيا فخاف الناس.

غدر لذريق لمحلة المسلمين :

ولما رأى لذريق ضياع المحلة وتفرق الناس عنها فى كل وجهة أعمل الحيلة ولم ينتظر النصرة فركب فى بعض خيله، وكمن البعض ليلا على مقربة من المحلة، وخرج صبح تلك الليلة بمن معه فى أهبة وعلى تعبئة، والناس فى طمأنينة وعلى غفلة، فلما اشتهر ذلك فى المحلة إلا الغلمة ومن لا يدفع عن نفسه، وصممت الخيل إلى لذريق المذكور، فاستطرد لهم إلى المدينة، ونشطوا فى أثره فاستدرأ بالسور، ولازمته الجيوش تصيب منه، وخرجت كائنة إلى المحلة فدوختها.

وكان الأمير محمد ابن أخى أمير المسلمين شاكيا متخلفا بها، فبادر بالخروج عنها واتصلت بالمسلمين الصيحة بدخول المحلة فبهت الناس ولم يشكوا، لما كان فى أنفسهم أن الأذفونش طرقها، فهام كل على وجهه، وأخذوا فى غير طريق، ومن صمير إلى المحلة فرأى النهب فيها، والخيل

تخترقها تنكب عنها، فلم يرجع أحد إليها، فأقبل العدو على النهب ولم يتبع الفل، ورفه عن الخيل لسقوطها من عنده بالضيعة لما لحقها ببلنسية، فلم يعمل سيف ولا اريق دم إلا أفذاذ رزقهم الله الشهادة .

واتصل النبأ بأذفونش، وقد تجاوز في طريقه لنصرة لذريق نصف الطريق وبلغه ما كسبه الناس من نهب المحلة، وقصد وادى آش من نظر غرناطة، فتردد في جهاتها واكتسح ما ألفاه هناك وحمل جملة من رعيتها المعاهدة لعمارة أرض طليطلة واتصل النبأ أيضا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين فبلغ منه كل مبلغ، واشتد غضبه على ابن أخيه لتضييع الحزم وإسلام المحلة دون حرب.

وانتقلت جيوش المسلمين إلى دانته ثم إلى شاطبة وابتدروا بمخاطبة أمير المسلمين عن ابن أخيه ومن معه، فسلم الأمر لله فيما قضى وعاد من العتب والسخط إلى الرضى، وخاطبه بلزوم شاطبة لتسيير العادية عن تلك الناحية وقطع الطرق إليها.

ولم يزل أمير المسلمين يمد ابن أخيه بالأموال والرجال إلى أن عظم الجيش وكثف، وبعد ذلك كتب إليه بأمره بالقدوم عليه، وبعث عوضه أبا الحسن على بن الحاج فلحق بشاطبة وانضمت الجيوش عليه، وكانت هدنة على دخن.

ذكر حرق القاضى ابى احمد بن حجاف ومحنة اهله وقرابته ومحنة بلنسية :

ولما تمهدت بلنسية للقنيطور بدأ بثقاف قاضيها أحمد بن حجاف وثقاف أهله وقرابته فعمهم الثقاف وبلغتهم المحنة وجعل يطالبهم بمال حفيد ابن ذى النون، ولم يزل يستخرج أموالهم حتى استعفى ما عندهم فلم يترك لهم ظاهرا ولا باطنا وأضرمت النار وسيق القاضى أبو المطرف أحمد بن حجاف، وأمر به وبجملته إلى ذلك الضرم وقد لفح الوجوه على المسافة البعيدة فضج المسلمون

والروم، وتضرعوا إليه فى ترك الأطفال والعيال، فأسعت الرعية فى رغبتهم بعد جهد ومدة، وترك النساء والصبية، وحفر للقاضى حفرة وأدخل فيها وضمت النار إليه، فلما دنت منه ولفحت وجهه قال بسم الله الرحمن الرحيم، ثم ضمها إلى جسده فاحترق.

ولم يكن غضب الطاغية عليه إلا لشدة صبره على تلك الأزمة واجتهاده فى طلب النصرة ودفعه إياه بالمطاولة، رجاء فى استمساك البلده وإبقاء الكلمة.

وعمد الطاغية بعد إحراق القاضى إلى الجلة من أهل بلنسية فثقفهم وأغرمهم حتى استأصل جميع ما عندهم وجعل الناس فى المحنة أسوة، يأخذهم على طبقاتهم حتى عمتهم المحنة، وهلك فى ذلك الثقاف كثير منهم.

ومما امتحن به أهل بلنسية فى هذه السنة المؤرخة ٤٦٨هـ/ ١٠٩٣م الغلاء، قال محمد بن علقمة: بلغ:

رطل القمح فى ربيع الأول $\frac{١}{٢}$ ١ مثقال.

ورطل الشعير بمثقال.

ورطل زريقة الكتان $\frac{٦}{٨}$ مثقال.

وأوقية الجبن ٣ دراهم.

واوقية البصل بدرهم.

ورطل البقل ٥ دراهم.

وبيضة دجاجة ٣ دراهم.

ورط اللحم البغلى ٦ دنانير.

ورطل الجلد البقرى ٥ دراهم.

وفى ربيع الثانى عظم البلاء وتضاعف الغلاء واستوى فى عدم القوت الأغنياء والفقراء فأمر ابن حجاف باقتحام الدور فحصا عن القوت وأعاد ابن حجاف استصراخ ابن هود ورغبه فى المال والبلد مع الأجر فى استنقاذ المسلمين من القتال والأسر، وانسلخ هذا الشهر ورطل القمح ٣ مثاقيل غير ربع، وما سواه تابع له، ولا يصل إلى إدراك شىء من الموجود إلا أهل الجاه، وترمق سائر الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس، ومن دون هؤلاء بالفئرة والقطط وجيف بنى آدم، وهجم على نصرانى وقع فى الحفير فأخذ باليد ووزع لحمه.

وجد الطاغية فى حرق من خرج من المدينة إلى المحلة لئلا يخرج الضعفاء بالقتل وعلقت جثثهم فى صوامع الأرباض وبواسق الأشجار.

ودخل جمادى الأولى وعدمت الأقوات بالجملة، وهلك الناس، ولم يبق من هذا الجم إلا نزر يسير، وتوالى اليبس واستحكم الوباء، وبينما الرجل يمشى سقط ميتا، ولم يبق مما يدب على أربع إلا أتان لابن حجاف وأبنه وأتان لابن رتبير، وباع ابن رتبير فرسه من الجزارين بمائتى مثقال، فبيع الرطل منه أوله بعشرة دنانير وآخره باثنى عشر، ورأسه بخمسة عشر مثقالا.

ولما بلغ الأمر إلى هذا القدر وابن هود يخاطب بالتسويف والمطل اجتمع الناس إلى الفقيه ابن الوليد الوقشى فى التكلم لابن حجاف، فأخذوا الأمان بشرط التوقف ريثما يستصرخ من بمرسة وصاحب سرقسطة وعلى بناء ابن حجاف على حاله آمنا فى نفسه وماله وجميع أمره ويخلى القنيطور عن المدينة بعدما قدم عليها ابن عديس مشرف، وتكون الأبواب بأيدى الروم البلديين إلى آخر الشهر المؤجل، وخرج الإرسال فى منتصفه وهو جمادى الأولى وفى هذا الوقت وصل القمح ٣ مثاقيل للرطل ورطل الشعير $\frac{1}{2}$ ٢ مثقال وأوقية الجبن بعشرة دراهم وبيضة دجاجة ٨ دراهم وبعدما نفذ الأرسال ارتفعت الحرب ولان السعر، وذلك لما انصرم الرجل خرج القاضى إلى القنيطور

يوم الخميس منسلخ جمادى، ثم صار وفتح الباب ودخل اللعين إلى المدينة بجملة من رجاله، وصعد جماعة منهم وملكوا الأبراج والأبواب، وتسابق الباعة من موضع المحلة بالخبز والفواكه إلى المدينة، وخرج أهل البلد إليها لابتياع القوت منها، فتهللت النفوس وانبسطت الوجوه إلا أهل العقول والنظر في العواقب.

واستمرت المحنة عليهم إلى أن دخل شهر شعبان فاتصلت الأخبار أن عساكر المسلمين بمرسية، فأشاع الروم أنه متى نزلت علينا محلة المسلمين أمضينا السيف على أهل بلنسية ومشى بريحة: من وجد عنده شيء من آلات الحرب فماله ودمه حلال، فبرئ الناس منه حتى من الإبر والمسامير، ووضعوا ذلك بباب القصر، وقد تضاعف الجزع والخوف، ثم مشى بركة من الغد بالخروج إلى البحر لجر القطع التي فيه المسامير، فلما تكامل الناس لحق بهم المترحم فميزهم، فمن كان من أهل اليسار صرف إلى المدينة، ومن كان من أهل النجدة جرد ونفي، وغلب على الظن أنه قتل، فكان الحزن في دورهم، واستمرت الحال على ذلك شهر رمضان، ومحلة الأمير محمد بن تاشفين ابن أخي أمير المسلمين بقرب المدينة، واجتمع على محمد جميع عساكر المرابطين المغربية والصحراوية

وجميع عساكر الأندلس، فلحق به تأييد الدولة صاحب لاردة وسيد الدولة وحسام الدولة من شنتيرية ونظام الدولة من البونت، فكانت أفعالهم ضد القاعدين، ولحق الشنياطي من الثغر وابن صاحب شبرب وابن يملول صاحب حصن الأشرف وغير هؤلاء، واستهل هلال شعبان وصلى الناس بمنزل عطاء على ساقية هوارة، ومن كان بالبلد من النصارى المعاهدين يتصنع لمن بها من المسلمين ولا شك عندهم في غبتهم لهم.

وفي الثامن من شوال أشاع اللعين أن ابن رذمير ملك أرغون لحق بمحلته فأعمل الحيلة وأخرج جمعا من الروم وأمرهم أن يشغلوا بالتناوش ليظنوا أنه القنيطور، وخرج هو من حومة أخرى فأجفلوا أمامه، فأخذ إلى المحلة فدوختها خيله، واتصل الصراع بالأمير محمد، فكر إليها، ومتى

انفض الناس عنه والمحلة فتوقف العدو عن الاتباع، وأقبل على النهب، ثم رجع إلى المدينة (بلنسية) فمشى بريحه باجتماع المسلمين إلى القصر ثم خرج عليهم ونظر إليهم، وعرض بذكر المرابطين وكثرتهم، وأن ذلك ما أغنى فيهم، وأخذ ينظر فى عطفه، ويشمخ بأنفه ثم قال: انظروا إلى فى ٧٠٠٠٠٠ مثقال وإلا هلكتم وأحلت السيوف عليكم.

ثم خرج وبقى المسلمون فى القصر، وأغلق عليهم الباب، فصاروا فى سجن، والروم تخيفهم بالأسلحة، فرأوا الموت، ووقع البهت، وخرست الألسنة، ثم رجع اليهودى وزيره إليهم وقال لهم: لم أزل ألاطفه حتى قاطعته عليكم بمائتى ألف دينار فبادروا بتوزيعها، وافدوا أنفسكم فتوزع العدد على الأحوال، واشتد ثقاف الأغنياء.

وبلغ العدو من المسلمين مبلغ الغاية فى العذاب، وسلط اليهود على الإسلام فبلغوا الغاية فى النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون والمتصوفون، وأصحاب الرسوم وخدام البر والبحر، وجلس اليهودى للقبض بدار المدينة من الغرب بالعصا والصوت، وقيض لكل منهم شيطانا يخرج معه كل عدو، فإن جاء بشيء وإلا أخذ بالسوط والعذاب، وتمادت هذه المحنة مدة ... ... رجلين من أجناد رجاله، وبقى المستعين بن هود المذكور إلى أن وصله أنته.

ذكر فتح بلنسية وعودها للمسلمين:

قال أبو بكر يحيى بن محمد الأنصارى أخبرنى أبو عبد الله البونى قال: لما لحق الأمير مزولى من صدر ذى القعدة من السنة الفارطة نزل بقرب منها، كما تقدم ذكره، وكان الروم الذين بالمدينة قد استصرخوا ملكهم الأكبر أذفونش فتحرك إليها بجيش أخش، فلما كان على فرسخين منها أخرج الأمير مزولى منها وصار بمحلته إلى قلبيرة Culbera، فأقام الأذفونش ببلنسية نحو شهر، والروم ترومه على التمسك بها ويرغبونه فيها، ويهونون عليه أمر جيوش المسلمين، فلما ألحوا عليه خرج،

بجيوشه لقصد قلبيره، وهو يظهر القصد لأكل الزرع وفساده يستر استطلاع جيش الأمير مزولى فى باطن أمره، فيتحرك الأمير مزولى لما اتصل به ذلك من هنالك وكتب الكتائب وحرك المواكب فى وجه الأذفونش فى الصدر إلى بلنسية، وجد فى إخلائها، وخرج بجميع من كان فيها من الروم وأضرمت النار فى الجامع والقصر وبعض الدور، وصدر الأمير مزولى إلى بلنسية فى شهر رجب فأنقذ الله بلنسية من يد الشرك وملكة الروم، وظهرها وصرف إليها نور الإسلام ودين محمد ﷺ بعد ثمانية أعوام وشهر ونصف وبعد نفوذ القدر السابق فى علم الله تعالى وهلك من هلك بها، ووليها فى أول ذى الحجة القائد أبى عبد الله محمد بن فاطمة، ثم استنباب فيها وخرج إلى سرقسطة فوافاها ثانى عبد النحر مع ١٥٠٠ فارس، وذلك لما وصل ولد ابن هود من العدوة بكتاب أمير المسلمين، وبعد وصول هذا الكتاب توجه القائد أبو محمد عبد الله بن فاطمة فوفاه ثانى عيد النحر.

وفى سنة ١٠٨٩ عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس عبوره الثالث الذى قام فيه بعزل ملوك الطوائف عن إماراتهم فيما عدا أمير سرقسطة الذى دخل فى طاعته، فى هذه المناسبة عزله يوسف ابن تاشفين المعتمد بن عباد أمير إشبيلية وأخذه معه إلى المغرب حيث قضى بقية عمره فى اغمات جنوبى مراكش، وفى هذا المنفى أو الأسر كما يسميه المعتمد قال هذا الأمير الشاعر أجمل أشعاره وأصدقها فى رثاء نفسه والتحسر على ما ضيع من فرص للعمل والجهاد.

بهذا اتسعت دولة المرابطين اتساعا جعل منها إمبراطورية تمتد فى قارتين حدودها الشمالية فيما بين نهر تاجه والوادى آنة فى إسبانيا فى أوروبا وحدودها الجنوبية فى إفريقية المدارية، وفى كلا الجهتين كان على المرابطين أن يواصلوا جهـادا دينيا يتطلب سيلا لا ينقطع من المقاتلين وأحوالا لا تحصى، ولو أن رؤساء الأندلس وقفوا إلى جانب يوسف بن تاشفين وأيدوه وشاركوا فى الجهاد لتثبيت جبهة الإسلام هناك بصورة نهائية، ولكن بينما كان شعب الأندلسى يتعطش للجهاد ويبدى كامل الاستعداد لمواجهة العدو كان رؤساء بلاد الأندلس ينصرفون إلى إقامة الصعاب والعقبات فى

وجهه إخوانهم الذين أقبلوا لإنقاذهم، وبدلا من السير إلى جانبهم نجد الكثيرين من أهل الفكر فى الأندلس يسخرون من المرابطين ويترفعون عليهم لأنهم كانوا قوما على البداوة لم يفسدهم الترف الذى أضعف أهل الأندلس وجعلهم عاجزين عن الدفاع عن بلادهم.

وقد فرض الأندلس على المرابطين مسئولية ثقيلة، فقد كان عليهم أن يواصلوا الحرب والجهاد لأن الأندلس كانت دار جهاد وقد دخلها المرابطون مجاهدين، وكان عليهم أن يستمروا فى هذا الصراع، ولم يجد المرابطون من رؤساء الأندلسيين عونا فكان عليهم أن يقوموا بالعمل وحدهم، فإذا أضفنا إلى ذلك مسئوليات المرابطين فى المغرب تبين أنهم حملوا فى الواقع من المسئوليات ما كانت قواهم عاجزة عن النهوض به على طول المدى.

كسب المرابطون فى الأندلس مواقع كبرى أولها الزلاقة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٦م وفى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م استرد القائد المرابطى محمد بن مزولى بلنسية وكانت قد وقعت فى يد الفارس القشتالى رودريجو دياث دى ڤيڤار الملقب بالسيد القنيطور Rodrigo Dide Vivar, El Cid Cam-peader.

واستعاد المرابطون بعد ذلك عددا من المدن الأندلسية فى شرق الأندلس مثل مربيطر Murvie-dro والمنارة Almenera والسهلة Santa Maria de Albarracin وغيرها، وانتصرت قواتهم على قوات الفونسو السادس فى عدد آخر من المعارك عند قنسوجرة Censuegra وقونكه Cuenca وملجون Mungón فى سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م.

وفى سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م انتصر القائد المرابطى تميم بن يوسف على قوات قشتالة فى معركة ثانية عند اقليش Ucles جنوبى طليطلة وقتل فى المعركة عدد كبير من قواد النصارى منهم سبعة من الأكفاء، بل قتل الأمير شانجة بن الفونسو السادس.

وفى أثناء هذا الصراع الطويل مع النصرانية فى الأندلس توفى يوسف بن تاشفين سنة

٥٠٠هـ/١١٠٧م بعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة حافلة بالعمل والجهاد والإنشاء، وقد قام هذا الرجل سواء فى المغرب أو الأندلس بعمل جليل يجعل له مكانا عظيما بين أعلام المسلمين، فعلى يديه توحد المغرب الأقصى وظهر فى حدوده التى ثبت عليها بعد ذلك كقطر إسلامى عربى له حدود ثابتة واضحة يؤيده شعب قوى مسلم عربى الروح له خصائصه الجليلة.

وكان يوسف بن تاشفين قد أتم بناء مراكش وجعلها عاصمة إمبراطورية كبيرة.

أما دور يوسف بن تاشفين فى الأندلس فحاسم، فلولا تدخله وتمكنه من هزيمة النصارى فى موقعة الزلاقة وغيرها لضاع أمر الأندلس الإسلامى فى أواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وقد امتد عمر الأندلس نتيجة للتدخل المرابطى أربعة قرون أخرى بين مد وجزر وزيادة وانحسار وحرب وسلم ونصر وهزيمة.

وكان يوسف بن تاشفين رجلا شديد السمرة فارع الطول، وهو دون شك أول رجل من إفريقية المدارية السوداء يصل إلى الرياسة والملك ويقوم بدور كبير فى التاريخ العالمى، وكل ذلك بفضل الإسلام الذى وصل إلى هذه النواحى وفتح أبوابها للإسلام وأدخلها هى شعوبها وبقية شعوب إفريقيه بعد ذلك فى ميدان التاريخ.

على بـــن يوســـف بـــن تاشفـــين
٥٠٠هـ - ٥٣٣هـ / ١١٠٧م - ١١٣٨م:

خلف يوسف ابنه على، وكان شابا مكتمل التكوين فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره، وكان قد تدرب على شئون الحكم والحرب وسياسة الدولة فى أيام أبيه، ولهذا فقد سار بأمور دولته سيرا حثيثا إلى الأمام، وسجل اسمه بين عظماء تاريخ المغرب الإسلامى.

وكان على بن يوسف بن تاشفين إلى جانب ذلك أميرا شديد التدين حريصا على الجهاد فى

سبيل الإسلام منصرفا إلى الدراسة ومجالسة الفقهاء، وقد قضى سنوات طويلة من صبوته وشبابه فى الأندلس، فدرس فى إشبيلية على أيدى فقهاء كبار وحصل ثقافة واسعة، وعندما تربع على العرش تجلى عن أمير عالم فقيه أخذ مصقول بما قبس من حضارة الأندلس، وكان يميل إلى احترام شخصيات الآخرين، ويعطى رجاله مجالا واسعا حرا للعمل، ولهذا أمن الناس فى أيامه واطمأنوا ورخيت الأحوال فى كل بلاده.

ويرجع هذا الأمان فى أساسه إلى اهتمام على بن يوسف بالدفاع عن حوزة بلاده وتصديه فى شجاعة كبيرة لمحاربة النصارى فى الأندلس، وإلى ميادين الحرب فى الأندلس أرسل على بن يوسف خيرة رجاله وقواده، وقد استشهد منهم فى ميدان الشرف كثيرون، وإذا كان أبوه قد كسب موقعة الزلاقة فقد كسب هو معارك اقيش وافراغه، الأولى سنة ٥٠١هـ/١١١٦م والثانية سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م وفى هذه المعركة الأخيرة لقى الفونسو المحارب ملك أرغون Hbjunsa el Ba-tallodor مصرعه بعد أن طال حكمه وكثر أذاه للمسلمين.

أما الهزائم التى منى بها المرابطون فى الأندلس فلا ترجع إلى ما يقال من أنهم ضعفوا ولانوا بتأثير الحضارة الأندلسية وذلك غير صحيح، لأنهم ظلوا يحاربون بنفس الشجاعة والإخلاص إلى النهاية، ولكن سبب الهزائم هو أن الميدان كان شاسعا ومدة الحرب طويلة، فمنذ أن عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس أول مرة فى جمادى الأولى سنة ٤٧٩هـ/ يوليو١٠٨٦م إلى وفاة على بن يوسف سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م كان هؤلاء المرابطون فى معركة واحدة متصلة مع ثلاث ممالك نصرانية شابة قوية هى مملكة قشتاله وليون ومملكة أرغون وكونتيسة قطلونية بالإضافة إلى إمارة البرتغال التى كان ساعدها يشتد سنة بعد أخرى، وخلف هؤلاء جميعا كانت تقف البابوية تحرض الأوربيين على مواصلة الحرب الصليبية مع المسلمين فى الأندلس طوال هذه الحقبة كلها - أى نحو ستين سنة - ظل المرابطون فى ميدان الشرف لا يتأخرون عن مناجزة العدو والتصدى له فى أى

ميدان، فإذا كانوا قد انهزموا فى بعض المواقع مثل كُتَنْدَةَ Cutanda سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م فذلك طبيعى، والمهم أنهم بذلوا أقصى ما استطاعوا فى التصدى للخطر النصرانى وأوقفوه فعلا فترة طويلة.

وينبغى أن نلاحظ أن المرابطين لم يجدوا من رؤساء الأندلس إلا أقل العون، بل نجدهم فى أحيان كثيرة يعادونهم معاداة صريحة، والكثيرون من أهل الأندلس تعاونوا مع العدو النصرانى على إخوانهم المسلمين، وقد عانى المرابطون من ذلك كثيرا واضطروا فى معظم الأحيان إلى خوض المعارك وحدهم دون أى معاونة من أولئك الرؤساء الأندلسيين.

ولنذكر هنا أن عامة أهل الأندلس كانوا يميلون إلى المرابطين، ولكنهم كانوا عاجزين عن أن يقوموا بعمل حاسم، وفى تلك العصور كانت جماهير الشعوب لا تتخلى عن القيام بعمل حاسم فى أى بلد من البلاد، وكان الأمر كله دائما بيد القادة والرؤساء والعلماء ومن إليهم.

ولا بد أن ننبه إلى أن العلماء وأهل الفقه كانوا دائما مع المرابطين، وقد منحهم هؤلاء سلطانا واسعًا فأساء الكثيرون من الفقهاء استعماله وأثاروا على أنفسهم وعلى المرابطين نقدا شديدا.

على أى حال فقد قضى على بن يوسف حياته موزعا بين المغرب والأندلس، ولكن هذا البلد الأخير استنفذ معظم جهده، فقد عبر إليه أربع مرات، وكان فى كل مرة يقود الجيوش ويرسل البعوث لسد ثغور الأندلس، ولو تعاون معه رؤساء أهل الأندلس فى شىء من الإخلاص لاستطاع إنقاذه من الضياع نهائيا.

توفى على بن يوسف سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م فانتهت بوفاته فترة طويلة من الرخاء واستقرار الأحوال فى الأندلس والمغرب، وكان قد تلقب مثل أبيه بلقب أمير المسلمين ودخل فى طاعة الخليفة العباسى وحصل منه على تفويض بالحكم فى بلاده على عادة المستبدين فى النواحى فى الشرق والغرب فى ذلك العصر كله.

تاشفين بن على ٥٣٣هـ - ٥٣٩هـ / ١١٣٨م - ١١٤٤م ونهايـــة دولـــة المرابطـين فى المغــرب والأندلـس :

وبينما كان على بن يوسف يواصل جهوده فى المغرب والأندلس بدأ محمد بن تومرت المعروف بمهدى الموحدين دعايته ضد المرابطين، واجتهد فى تشويه سمعتهم واتهامهم بالمروق عن الدين والتجسيم وما إلى ذلك، وقد نجحت دعايته لأنه توجه بها إلى فريق آخر من الصنهاجيين كانوا يتشوقون بدورهم إلى إنشاء دولة لهم تضاهى ما وصلت إليه قبائل لمتونه ومسوفة وجدالة وغيرها من المجموعة الصنهاجية المرابطية، ولهذا فإن نجاح محمد بن تومرت لا يمكن أن يعزى إلى صدقه فى الاتهامات التى وجهها إلى المرابطين، بل إلى ذكائه فى معرفة اللغة التى يخاطب بها المصامدة ويجتذبهم إلى صفه، وسنتحدث عن ذلك فى كلامنا عن الموحدين.

ويهـمنا الآن أن نقـول إن على بن يوسف خلف هذا الملك العـريض والحـافل بالمشـاكل والمصـاعب فى نفس الوقت لابنه تاشفين، وكان شابا حسن الاستعداد، ولكن الظروف التى تولى فيها كانت عسيرة تحتاج إلى رجل ذى تجربة أوسع، ثم إن محمد بن تومرت استعمل أساليب غاية فى العنف والقسوة والبعد عن الأخلاق فى محاربة المرابطين معتمدا على قبائل أكبر وأضخم وأقوى من قبائلهم.

وقد اضطر المرابطون إلى توجيه كل قواهم إلى صراع الموحدين فى المغرب دفاعا عن كيانهم وبهذا حرم الأندلس من جهودهم فيه، ومن أغرب ما حدث قيام نفر من زعماء أهل الأندلس على المرابطين حاسبين أن توقف النصارى عن مهاجمة البلاد الإسلامية سيستمر إذا غاب المرابطون، فلم تنفعهم ثوراتهم وأسرعوا ببلادهم إلى الزوال.

وبعد تاشفين بن على تولى ابنه إسحاق بن تاشفين وكان صبيا، وفى أيامه تمكن عبد المؤمن ابن على أول خلفاء الموحدين من القضاء على دولة المرابطين ودخول مراكش فلم يدم حكم إسحاق أكثر من عام.

ولما كانت نهاية دولة المرابطين قد وقعت أثناء صراعها مع الموحدين، فسنتكلم عن هؤلاء الآن، تاركين بقية الكلام عن المرابطين ودورهم فى تاريخ المغرب بصورة عامة يرجع إلى موضعه من سياق الحوادث.

الدول الكبرى

الموحدون

كان نجاح عبد الله بن تاشفين فى إثارة حركة دينية إصلاحية واسعة النطاق فى المغرب ثم تمهيده الطريق لقيام دولة صنهاجية استطاعت أن تخلص الصنهاجيين من استبداد الزناتيين حافزا لفقيه مغربى آخر من إحدى قبائل مصمودة على محاولة القيام بدعوة مماثلة لحساب القبائل المصمودية وهى الكتلة الكبرى من الصنهاجيين.

هذا الفقيه هو محمد بن تومرت الذى ولد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م على وجه التقريب فى قبيلة مصمودية صغيرة تسمى إرغان أو هرغان التى عربت على هرغة، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن اسمه لم يكن محمدا بل اتخذه هو فيما بعد، ولا نجد ما يدعو إلى هذا الفرض، فإن اسم محمد اسم شائع بين المسلمين جميعا، أما لقبه وهو تومرت فإن المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال يقول إنه اسم جدته وإنه نسب إليها فقيل محمد بن تومرت، أما اسم وجليد الذى يذكر على أنه اسم جده فهو لقب بربرى هو أجليد ومعناه الشيخ أو الزعيم، فهو على هذا ليس اسما، ويلقب ابن تومرت بأمغار ومعناه العالم أو الفقيه، وفى الكتاب الذى كتبه خادمه أبو بكر الصنهاجى الملقب بالبيدق نجد ابن تومرت يوصف بأنه أمغار وأنه سوسى أى فقيه السوس.

درس ابن تومرت أول الأمر فى بلده ثم فى مراكش، وحوالى ٥٠١هـ/ ١١٠٧م- ١١٠٨م يشرع فى رحلة دراسة طويلة إلى المشرق وتفاصيل هذه الرحلة موضع شك كبير لأن ابن تومرت يقول إنه وصل فيها إلى بغداد ودرس على أبى حامد الغزالى، لأن الغزالى رحل سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م إلى طوس ولم يعد إلى بغداد أو دمشق ثانية، ثم توفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م، فإذا كان ابن تومرت قد غادر بلده سنة ٥٠٦هـ فهو قطعا لم يلق الغزالى، بل نشك كثيرا فى أن ابن تومرت وصل إلى بغداد أو الحجاز، وغاية ما يمكن قوله بصيغة التأكيد إنه وصل إلى الإسكندرية وربما إلى القاهرة حيث ألم بجانب كبير من العلم.

ولا شك فى أن محمد بن تومرت كان غير عادى الذكاء، ولكن ذكاءه كله كان منصرفا إلى السياسة وطلب السلطان، وعندما ندرس حياته نرى كيف أنه وضع كل ما حصل من العلم فى خدمة طموحه السياسى، وهذا الطموح السياسى أيضا مشكلة من المشكلات، فهذا الرجل الذى تصدى لانشاء كيان سياسى فريد فى نوعه هو حركة الموحدين ونظمة على طريقة مبتكرة تدل على ذهن منهجى مرتب، وتمكن من أن يسقط دولة كبرى ويقيم دولة هى أكبر منها، هذا الرجل كان متقشفا زاهدا لا يتمسك بأى مظهر من مظاهر السلطان، فقد كان حصورا، أى لا يقرب النساء، وهو لم يتزوج ولا أنجب ولم يجعل نفسه خليفة أو سلطانا، بل مهد الطريق لعبد المؤمن بن على لكى يبلغ الرياسة السياسية والدينية ويتمتع هو وبنوه بالملك وما يتصل به، فى حين مات ابن تومرت فقيرا رغم الجاه الذى كان تمتع به، وقد حرص عبد المؤمن بن علىّ على القضاء على من تطلع إلى جاه أو سلطان من أفراد أسرة ابن تومرت، ولم يكن هذا الأخير يجهل أن ذلك لا بد أن يحدث، ولكنه لم يفعل شيئا لتلافيه.

وإذن فشخصية محمد بن تومرت شخصية غريبة معقدة، وكلما قرأنا سيرة حياته كما كتبها خادمه أبو بكر الصنهاجى المعروف بالبيدق تكشفت لنا أمور أخرى تزيد شخصية هذا الرجل تعقيدا وغموضا.

وهذا التعقيد يكتنف أيضا كتاباته التى كانت أساسا للتفكير الدينى فى الحركة الموحدية، فإذا قرأنا كتابه المسمى «أعز ما يطلب» – وهو أحسن ما كتب – وجدناه خليطا من أراء أهل السنة وأفكار الشيعة ما بين معتدلين ومتطرفين وفيه كذلك أفكار صوفية متطرفة لا يرضى عنها الإسلام السمـح الواضـح، وكلامه بعد ذلك فيه غموض متعمد وتكلف لأساليب الكهان وأهل السحر مما ما زال إلى الآن يحيرنا فى أمر حفيده ابن تومرت.

فإن معلوماتنا الدقيقة بعض الشىء عن حياة محمد بن تومرت أثناء عودته من المشرق ويرويها

لنا خادمه أبو بكر الصنهاجي وابن القطان فى كتابه «نظم الجمان» وعبد الواحد المراكشى فى كتابه المسمى «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» وهذه المعلومات فى مجموعها حكايات تدور كلها حول أعمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى تصدى لعملها، وهى حكايات لا يمكن قبول معظمها، ولكنها تعطينا الصورة التى دخل بها هذا الرجل التاريخ، وهى صورة آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر، وهى بداية تتفق تماما مع خطته التى رسمها لنفسها، وهى اجتذاب الأنظار نحو نفسه والظهور بمظهر مصلح دينى وثائر على ما يقع فى المجتمع من مخالفات للدين.

عندما يصل محمد بن تومرت إلى تلمسان يلتقى بعبد المؤمن بن على من قبيلة كومية الصنهاجية ومن ذلك الحين يرتبط الرجلان برباط صداقة وعمل فيصبح عبد المؤمن كبير تلاميذ فقيه السوس وكانوا قد أصبحوا جماعة كبيرة يسيرون معه وينتقلون معه من مكان لمكان.

من تلمسان سار ركب الفقيه السوسى إلى وجدة ثم فاس، وهنا يأمر تلاميذه بتحطيم ما يجدون من أدوات الموسيقى، ففعلوا ذلك فأمر عامل فاس بإخراجهم من البلد فذهبوا إلى مراكش وقد كثر جمع محمد بن تومرت وانتشر صيته كولى من أولياء الله عليه وكان هو فقيها عالما كبيرا لا يتصدى له فقيه إلا غلبه، وكان يهتم اهتماما شديد بإظهار علمه الواسع وجهل الفقهاء الذين يحاولون الاعتراض على ما كان يتظاهر به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

انتشر صيت ذلك الرجل فى مراكش وأصبح حديث على كل لسان، وهنا نسمع أنه هاجم ما كان يسميه بتجسيم المرابطين، والتجسيم معناه إعطاء الله تعالى صورة مادية أو ملموسة كالقول بأنه له سبحانه وتعالى وجه ويدان وعينان أو أن له صوتا يُسمع وما إلى ذلك، وما كان المرابطون يقولون بذلك، لأنهم كانوا جماعة سنية مجاهدة تعمل ولا تتكلم أو تكتب، فلم يكن لأفرادها رأى خاص فى أى ركن من أركان الإسلام، ولكن كان فى الفقهاء عدد كبير من أهل الظاهر يقولون بأنه ما دام القرآن يقول أن ا يدا مثلا فلا بد من التسليم بذلك وإن كنا لا نقول إن يد الله سبحانه لا بد أن

تكون كأيدينا، فقد يكون المراد بها شيء آخر، ولكننا لا يجوز هنا أن نتأول كلام الله بحسب ما يتراءى لنا.

كان نقد ابن تومرت للمرابطين فى مجموعه على غير حق، ولكنه كان رجلا جريئا لا يخاف السلطة أو رجالها، فمضى يقول كلاما يرمى من ورائه إلى إثارة غضب رجال الدولة فيتعرضون له بالحبس والطرد من المدن فيزداد صيته ويكثر جمعه، لأن الناس فى تلك العصور يستهويهم مثل هذا الشخص ويسرهم أن يجدوا إنسانا يتحدى الحكومة ورجالها سواء أكان على حق أم على باطل، لأن الفكرة العامة كانت أن رجال الدولة دائما على باطل، ومن ثم فكل ناقد لهم يكون على صواب.

ابن تومرت ينشئ جماعة الموحدين فى تينملل :

بعد أن تأكد ابن تومرت من تكوين جماعة من الأتباع المخلصين انتقل بهم إلى موضع فى قلب جبال الأطلس قريب من منابع وادى نفيس الذى يجرى جنوبى نهر تنسيفت، هذا الموضع يسمى تينملل أو تينمال، قرب هذا الموضع أقام محمد بن تومرت سورا حول المكان الذى أراد أن يجعله مركز أعماله، هذا السور يسمى بالبربرية أغمات، وكان يقع عند سفح جبل، وسفح الجبل يسمى بالبربرية أيجليز أو أيجلى، ومن هنا أخذ يناوش النواحى القريبة منه من البلاد التى منعة للمرابطين.

فى نفس الوقت أخذ يرتب أنصاره جماعات بحسب إخلاصهم له وما سماه سابقة انضمامهم إليه، هنا نجد محمد بن تومرت يسير فى خطى الرسول ﷺ فيقول إن تينملل هى مكان هجرته ويقسم أصحابه إلى طائفتين كأنهم الصحابة ثم التابعون، وصحابة محمد بن تومرت يسمون أهل عشرة أو ايت عشرة والتابعون يسمون أيت خمسين، وتلى هاتين الطائفتين طبقة المستدركين بعد التمييز، وابن تومرت يظهر هنا ملكة تنظيمية كبرى، ويقبض بيد من حديد على أنصاره، فيعطى

أيت عشرة سلطانا كبيرا ويحكمهم فى الناس، ولما كان أفراد أيت خمسين كلهم من رؤساء القبائل، فإنه يسيطر بواسطهتم على قبائل كثيرة، وهؤلاء جميعا بالإضافة إلى المستدركين يعملون جواسيس له، يوافونه بكل صغيرة أو كبيرة، مما يجعل هذا الرجل مطلعا على كل شيء، وهذا بدوره يلقى له رهبة شديدة فى النفوس، ولهذا نرى أصحابه ينفذون أوامره مهما بلغت من الصعوبة أو القسوة، وهكذا نجد هذا الرجل يصبح مركزا لجماعة كبيرة من المصامدة تطيعه طاعة عمياء وتخاف منه خوفا شديدا.

و فى نفس الوقت نجد محمد بن تومرت يتخذ لنفسه لقب المهدى، أى الرجل الذى اختاره الله ليملأ الدنيا عدلا بعد أن امتلأت جورا، الرجل الذى يكون على يديه صلاح العالم وإنقاذ الناس من الضلال.

فى سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م شعر محمد بن تومرت أنه يستطيع تحدى القوة المرابطية، فأرسل نحو مراكش جيشا عدة ٤٠ ٠٠٠ على رأسه عبد المؤمن بن على، وقد أخطأ فى التقدير إذ انهزم هذا الجيش، وقتل من رجاله نفر كبير منهم بعض ايت عشرة.

بعد هذه الهزيمة مرض محمد بن تومرت وتوفى فى ٢٩ رمضان ٥٢٤هـ/ ٦ أغسطس ١١٣٠م بعد أن أسلم قيادة الحركة إلى عبد المؤمن بن على، وقد أخفى عبد المؤمن خبر وفاة محمد بن تومرت ثلاث سنوات، خلال تلك المدة كان عبد المؤمن يحكم الجماعة باسم المهدى ونفر من أكابر ايت عشرة أولهم أصناج اينتى الذى سماه المهدى بأبى حفص عمر بن يحيى، وهو من قبيلة ابنتى أى هنتانة وعبد الرحمن بن زجو وأبى إبراهيم بن إسماعيل الهزرجى.

سيظل أبو حفص عمر الهنتانى الشخص الثانى فى الدولة وسيرث أولاده مكانته ويسيرون الأمور ويقولون الولايات تحت إمرة بنى عبد المؤمن، واحد منهم أبو حفص عمر بن زكريا بن يحيى بن عمر الهنتانى سيؤسس الدولة الحفصية فى تونس.

بنو عبد المؤمن بن على وبنو أبى حفص عمر الهنتاتى سيصبحون طبقة رؤساء وأشراف على رأس الدولة وسيسمون الأشياخ وسيحملون لقب المسيد، بقية الموحدين سيحتفظون بلقب أيت عشرة أو ايت خمسين بحسب مراكز آبائهم، ويلى هؤلاء الطلبة، وتنطق الطلبة بضم الضاد، ويراد بهم طلبة العلم الموحدى أى الذين يدرسون كتابات المهدى، هؤلاء كانوا يكونون الجماعة الحاكمة أو هيئة الحزب الموحدى، من بينهم كان خلفاء الموحدين يختارون رجالهم وموظفى دولتهم.

ونستطيع أن نقول إن هذا الرجل لم يجن من نشاطه وجهوده غير المتاعب، وإذا صدقنا أن تاريخ ميلاده كان سنة ٤٨٥هـ يكون قد توفى عن ٣٩ سنة هجرية، وهذا مستبعد، نظرا لما قام به من عمل ضخم يتطلب أكثر من هذه السن الصغيرة، وربما يكون قد توفى فى حدود الخمسين، لأننا نجده يعامل عبد المؤمن بن على معاملة الأب للابن، وعبد المؤمن عندما لقى ابن تومرت كان شابا قد جاوز العشرين، فلا بد أن ابن تومرت كان يكبره بنحو عشرين سنة أو أقل قليلا.

وقد ارتكب محمد بن تومرت كثيرا من الأعمال ليصل إلى النتيجة التى وصل إليها فى ذلك الوقت القصير نسبيا، فقد كان لا يبالى أن يكذب أو يزيف الأحاديث النبوية ويخدع الناس عن قصد، وكان قليل الاكتراث للدماء فعرض الكثيرين للقتل دون ذنب، ولم يأسف بعد ذلك على موتهم، وكان يستغل ثقة العوام فيه وظنهم أنه ولى من أولياء الله أو إمام معصوم كما قال فكلفهم تضحيات كثيرة دون أن تعود عليهم من ذلك أى فائدة.

ولا شك أن محمد بن تومرت كان يعرف أن المرابطين ليسوا مجسمين ولا مقصرين فى حقوق الله والدين، وكان يرى جهادهم فى الأندلس واجتهادهم فى الدفاع عن حوزة الإسلام، فما الذى دفعه إلى القيام بهذه الحركة التى قضت على دولة مجاهدة وهى فى عنفوان كفاحها ضد أعداء الإسلام.

لا نستطيع الإجابة عن هذا السؤال بصورة مؤكدة لأن معلوماتنا عن الرجل قليلة، أو قل إننا لا نثق كثيرا في المعلومات التي لدينا لأن معظمها كتب في أيام الموحدين، ولكننا نقول إن هذا الرجل كان صنهاجيا مصموديا في أعماق نفسه، وأن حافزه إلى العمل والحركة كان الرغبة في تجميع المصامدة والانتفاع بقوتهم لإنشاء، دولة مصمودية كما عمل عبد الله بن ياسين على إنشاء دولة مرابطية من قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة وما إليها، وهذا هو السبب في تحمس المصامدة له، ونحن نجد أنه منذ أن استقر في تينملل توافدت عليهم وفود قبائل المصامدة تؤيده وتشد أزره.

وكان لقب الموحدين الذي أطلقه عليه أتباعه غير ذي معنى، لأن كل المسلمين موحدون ولم يكن المرابطون أقل توحيدا من الموحدين، وإنما هي تسمية أراد محمد بن تومرت بها أن يعرف الناس أن دعوته تتجه إلى إحياء عقيدة التوحيد الخالصة.

ولنلاحظ كذلك أن الرجل كان يتمتع بالمزايا التي نجدها عند كبار الدعاة ومحركي الجماعات مثل كبار دعاة الشيعة ومهدي السودان والتوسي ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم ممن يوهبون قدرة غير عادية على إقناع الناس بأن الله اختارهم لأمر عظيم وتوجيههم الوجهة التي يريدون، وكان ابن تومرت دون شك خارق الذكاء واسع النشاط شديد المكر، ولكننا لا نلحظ في كتاباته ما يبرر القول بأنه كان على علم غزير، وعلى أي حال فقد شقي هذا الرجل وأوبق نفسه ليورث غرة جهده لصاحبه عبد المؤمن بن علي.

عبد المؤمن بن على

وقيام الدولة الموحدية

٥٢٤هـ - ٥٥٨هـ / ١١٣٠م - ١١٦٣م

لم يوفق ابن تومرت إلى إنشاء مذهب دينى أو سياسى معين واضح المعالم، لأن تفكيره الدينى كان مشوشا متناقضا لا يقوم على علم غزير، وإنما هو علم سطحى غير متناسق احتطبه الرجل دون اهتمام كبير بأساسه العلمى ليستعمله كوسيلة من وسائل تحقيق مطامحه السياسة. وينبغى دائما أن ننظر إلى محمد بن تومرت على أنه رجل سياسة لا رجل دين، فكل تفكير هذا الرجل سياسى وإن أخذ ظاهرا دينيا، وحتى مبدأ التوحيد الذى يقال إن الحركة كلها قامت عليه لا نجد لابن تومرت فيه رأيا خاصا يجعل منه مذهبا جديدا، بل إن ادعاءه المهدية وقوله إنه المهدى الذى يأتى آخر الزمان يتناقض آخر الأمر مع التوحيد الحق، فإن الذين يقولون بإمكانية وجود المهدى يفترضون أن الله سبحانه وتعالى أعطاه من لدنه قوة لعمل المعجزات والكرامات ومعرفة الغيب ومعرفة ما فى الصدور، وهذه كلها فى نظر أهل التوحيد الصحيح صفات لا يتصف بها غير الخالق، ولا يمكن أن يهبها الله أو بعضها لمخلوق بصورة دائمة على النحو الذى نجده فى المهديين، لأن القول بتمتعهم ببعض صفات الله بصورة مستمرة فيه اتهام للمرابطين بالشرك ولا شك.

فالقول بالتوحيد وبالمهدية وبعصمة الإمام واتهام المرابطين بالتجسيم والمروق وتجويز قتالهم وتكوين هيئات أهل عشرة وأهل خمسين والمستدركين بعد التمييز والطلبة، كل هذه تكوينات سياسية أو حزبية إذا شئت والغرض منها بناء قوه سياسية يتركز السلطان فيها فى يد المهدى ومن يرشحه للخلافة بعده.

الصورة النهائية التى أخذتها هذه القوة السياسية صورة مجموعة من القبائل الصنهاجية تؤمن بالمهدى إيمانا حقيقيا ولا تشك فى تمتعه بقدرات غير عادية كثيرة وتعرف إلى جانب ذلك أن اتباعها إياه يمكن لها من تكوين دولة خاصة بها، هذه المجموعة من القبائل كانت كلها صنهاجية، بل من فرع كبير من الصنهاجيين يسمى فرع مصمودة أو المصامدة أو مصامدة جبل

درن أى الذين يسكنون جبال الأطلس العالية فى جنوب غربى المغرب، وهى قبائل ضخمة قوية قديمة وفيرة العدد غنية المواطن، ولهذا فغذاء أهلها وافر وقوتها البدنية كبيرة.

وقد رأينا بعض هؤلاء المصامدة فى كلامنا عن موسى بن نصير وحملاته على بلاد المصامدة واستئمانهم له وتقديمهم له الرهائن التى تكونت منها نواة جيش طارق بن زياد الذى فتح به الأندلس.

أهم تلك القبائل المصمودية التى قامت على أكتافها قوة المرابطين هرغة وخزرجة وهزميرة وهسكورة وهنتانة وهيلانة.

ويلاحظ أن أسماء أكثرها تبدأ بحرف الهاء، والسبب فى ذلك أن هذه الأسماء معربة وهى فى الأصل تبدأ بهمزة يعقبها حرف ساكن مثل أيت أرغان التى عربت على هرغة وايت إلان أو ايلان التى عربت على هيلانة وايت ابنتى التى عربت على هيلانة، أو تبدأ بساكنين، فأضعفت الهاء عند التعريب فى أول الاسم لتيسير نطقه.

وعبد المؤمن بن على الكومى ينتسب إلى قبيلة كومية، وهى ليست من قبائل المصامدة الكبرى، بل هى فرع صنهاجى كان يسكن قرب تلمسان، وقد ولد فى قرية تسمى تاجرا هناك، ولقى محمد بن تومرت أثناء عودة هذا الأخير من المشرق، وقد تعلق ابن تومرت بعبد المؤمن من أول لقائه له ورأى فيه خليفته فعمل على دفعه إلى الأمام بصورة مستمرة، وابن تومرت نفسه كان حصورا، فهو لم ينجب أولادا، ومعنى ذلك أنه كان يشعر أنه يمهد الأمر لصاحبه هذا، وهذه ظاهرة فريدة فى بابها فى التاريخ، لأن عبد المؤمن نفسه لا يعد من منشئى الدول، ولا كانت له المواهب اللازمة لذلك، وهو مدين فى كل شىء لصاحبه هذا.

فى أواخر أيام ابن تومرت حاول الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن على أن يستولوا على مراكش، ولكنهم ارتدوا عنها بخسارة كبيرة وكان الذى هزمهم الزبير بن على بن يوسف بن تاشفين.

ويقال إن اسم الموحدين أطلقه ابن تومرت على جماعته للاستعداد لهذه الغارة، إذ أنه كان يحسب أنهم سيستطيعون دخول مراكش والقضاء على المرابطين بسهولة فسماهم بالموحدين بصورة رسمية وكذلك سمى جيشهم بجيش المؤمن وعبد المؤمن بن على بأمير المؤمنين.

احتاج عبد المؤمن إلى وقت طويل ليثبت سلطانه، فإن ابن تومرت توفى سنة ٥٢٤هـ وأعلنت وفاته سنة ٥٢٧، ولكننا لا نسمع عن قيامه بعمل كبير إلا فى سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م عندما بدأ التصادم العسكرى مرة أخرى بينه وبين تاشفين بن على خليفة على بن يوسف، ويبدو عبد المؤمن شغل نفسه خلال هذه السنوات بالاستيلاء على حصون مرابطية فى الطريق من السوس الأدنى إلى مراكش، ومد سلطانه كذلك على وادى درعة واستولى من المرابطين على تارودانت وما حولها.

بعد ذلك نجد عبد المؤمن يتحاشى مقابلة المرابطين فى مراكز سلطانهم فى سهل مراكش وما يليه شمالا، فيسير بجيوشه شرقى جبال ورنسا ويصعد شمالا إلى تلمسان ونواحيها، ويتمكن من بسط سلطانه على مساحة واسعة فى المغرب الأوسط.

وفى سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م- ١١٤٣م توفى على بن يوسف وخلفه ابنه تاشفين، فتشجع عبد المؤمن ومن معه من الموحدين على مهاجمة المرابطين خاصة وأن تاشفين بن على كان شابا قليل التجربة وإن كان شديد الحماس، وقد مات هذا الشاب صريعا وهو يحارب الموحدين ويدفعهم عن وهران فى ٢٧ رمضان ٥٣٩هـ/ فبراير ١١٤٥م، وبموته سقطت وهران وتلمسان وأخذ بناء دولة المرابطين يتداعى تحت ضغط الموحدين المتوالى عليها.

وقد أبدى المرابطون بسالة كبيرة فى الدفاع عما بأيديهم من البلاد رغم ذلك فلم يستطع عبد المؤمن بن على الاستيلاء على فاس إلا بعد حرب طويلة وحصار شديد داما تسعة أشهر وانتهت فى ذى القعدة ٥٤٠هـ/ أبريل ١١٤٦م، وفى محرم ٥٤١هـ/ يونيو ١١٤٦م دخل مراكش وقتل إسحاق بن على بن تاشفين ونفرا من أمراء المرابطين، وبذلك انتهت الدولة المرابطية وأصبح الموحدون سادة المغرب الأقصى وجزء كبير من المغرب الأوسط.

تقدير المرابطين :

مهما تصـورنا دوافـع ابن تومـرت للقيام على المرابطين وشن هذه الحرب القاسية عليهم فإننا لا بد أن نسلم بأنها حرب لم تكن لها ضرورة، فإن المرابطين لم يكونوا دولة ملك وسلطان واستمتاع وتدهور سياسى واجتماعى واقتصادى، كما هو الحال مع الدول التى تقوم عليها الثورات، بل كانت دولة جهاد وحرب وإنقاذ، وعندما كان رجال محمد بن تومرت يدعونه ضد المرابطين كان أميرهم على بن يوسف، وهو من خيرة أمراء الإسلام إخلاصا وصدقا وتفانيا فى سبيل القيام بواجبه، وقد قام عليه ابن تومرت وبينما كانت قوات المرابطين تدافع عن جبهة الإسلام فى الأندلس جهادا لا تستطيع أن تطالبهم بأكثر منه، فقد مات خيرة قوادهم من أمثال محمد بن مزدلى وأبى عبد الله بن عائشة فى ميدان الشرف، وعندما تم القضاء على المرابطين وحل الموحدين محلهم فى الجبهة لم يفعلوا أكثر مما فعله المرابطون.

ومهما بالغنا فى تقدير ملكات عبد المؤمن بن على وابنه أبى يوسف يعقوب وحفيده أبى يعقوب يوسف المنصور (ولم تنجب دولة الموحدين غيرهم) فإن واحدا منهم لا يزيد على علىّ بن يوسف فى القدرة أو الأخلاق أو الشعور بواجب الدفاع الذى كانت تفرضه ظروف تلك الأيام فى غرب الأندلس.

ولقد اجتهد محمد بن تومرت فى توجيه الاتهامات إلى المرابطين دون حق، وجاء مؤرخوهم فحملوا على المرابطين حملة ظالمة، ومن أولئك الظالمين عبد الواحد المراكشى صاحب كتاب المعجب الذى قال فى حق على بن يوسف كلاما لا تؤيده حقيقة واحدة من حقائق الواقع، فأخذ المستشرق راينهارت دوزى كلام عبد الواحد المراكشى واعتمد عليه فى توجيه أشد النقد لعلى بن

يوسف والمرابطين عامة، فاتهمهم بالتخذل وقلة الإيمان والضعف والخضوع للنساء والانصراف إلى اللهو، وإذا كان عبد الواحد المراكشى مؤرخ مأجور لدى الموحدين ومن بعدهم فإن دوزى قَبل ذلك بدافع التعصب والكراهة للإسلام وأهله، وقد يزعم دوزى أنه مفكر حر وأنه من أولئك الذين كرهوا رجال الدين وحملوا عليهم فى كل مكان، ولكن عندما يكون الأمر أمر إسلام ونصرانية فإن دوزى يهاجم الإسلام بروح متعصب ملىء بالحقد والكراهة، وهذا الرجل الذى اتهم المرابطين بالضعف والتخاذل امتدح المعتمد به عباد وهو نموذج الضعف والتخاذل والتدهور الأخلاقى، والسبب فى ذلك أن كل ما يضعف الإسلام والعرب يسر دوزى ويعجبه، وكل ما ينفع الإسلام وأهله يضايقه ويسوؤه، ومن أسف أن بعض مؤرخينا اليوم ما زالوا يرددون كلام دوزى غير متفطنين إلى ما وراء الكلام وما يقصد إليه، والفطنة هى أولى ملكات المؤرخ.

ويندر فى حوليات الإسلام أن نجد دولة خدمت أمته كما خدمها المرابطون ثم لقيت الجزاء السيئ على ما قدمت إلى المسلمين، فقد تخلى الأندلسيون عن المرابطين وتركوهم يصلون نيران المعارك وحدهم، بل حملوا عليهم وهاجموهم وأهانوهم وأنكروا فضلهم، وبلغ من قصر نظرهم أن ثاروا عليهم فسهلوا للعدو بذلك مهمة القضاء على أمتهم ودينهم وحضارتهم.

ولا يعلل قيام محمد بن تومرت على المرابطين إلا بأنه نزوع المصامدة إلى إنشاء دولة خاصة بهم يسودون بها المغرب وأهله، لأن القبائل الصنهاجية التى أقامت دولة المرابطين كانت فرعا صغيرا من صنهاجة، أما ثقل صنهاجة وقوتها الحقيقية فكانت فى قبائل المصامدة، وكان من المعقول أن يرث المصامدة الصنهاجيين المرابطين، ولكن قيامتهم عليهم سبقت أوانها، ولو تأخرت دولة الموحدين خمسين سنة لجاءت فى وقتها وحلت محل سابقتها بصورة طبيعية ولكن الحظ السيئ أراد أن يقوم محمد بن تومرت بدعوته ودولة المرابطين فى أوجها، فوقفت حركتان إسلاميتان جليلتان إحداهما أمام الأخرى فكان فى ذلك مزيد من الضعف للإسلام وأهله.

لقد حكم المرابطون المغرب نحو قرن من الزمن، فقد دخلوا أغمات سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٨م وسقطت مراكش فى يد الموحدين سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، ويمكننا اعتبار هاتين السنتين بداية ونهاية دولة المرابطين فى المغرب، أما الأندلس فقد دخلوه سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م فكأنهم حكموا ما تيسر لهم منه ٦٠ سنة.

فأما فى المغرب فإن المرابطين هم الذين صنعوا وحدة المغرب الأقصى على النحو الذى ثبتت به فى التاريخ، فقد ظل المغرب من ذلك الحين إلى الآن يشمل البلاد الممتدة من ساحل البحر الأبيض إلى وادى درعة، وامتد شرقا من المحيط الأطلسى إلى نهر ملوية، أما ما يلى هذه الحدود جنوبا وشرقا، فقد دخلت فى المغرب الأقصى حينا وخرجت عن سلطانه حينا آخر، ففى العصر المرابطى مثلا كان الجناح الجنوبى من المرابطين يعمل بنشاط فى إفريقية الغربية الموارية، ولكنه كان قد انفصل عن كتلة المرابطين العاملة فى الشمال وأصبح دولة أخرى ذات طابع آخر واتجاه تاريخى آخر؛ إفريقى فى طبيعته وروحه وإن كان إسلاميا، ولم يعد المغرب إلى الامتداد جنوبا إلا أيام السلاطين الشرفاء السعديين، ولكن ذلك كان اتساعا سياسيا وليس تغييرا للحدود التاريخية للمغرب.

وحد المرابطون هذا المغرب الأقصى سياسيا ثم دينيا، فقد قضوا على بقايا المذاهب المنحرفة من برغواطية وغمارية وما إليها وقطعوا دابر المذهب الإباضى والعنوى فيما سادوه من بلاد المغرب الأوسط وإقليم سجلماسة، وإلى المرابطين يرجع الفضل فى الوحدة العقائدية السنية التى تميز المغرب الأقصى.

وقام المرابطون بإتمام وحدة المغرب الأقصى الثقافية أيضا، فقد كان رافع لواء الحركة فقيه مغربى استعرب أهل بيته من زمن طويل هو عبد الله ياسين، وقد قام بحركته الدينية كفقيه عربى يعمل على نشر الإسلام وشرعه والقرآن ولغة القرآن وثقافة هذه اللغة.

وبعد أن تحولت الحركة إلى حركة سياسية على يد عمر بن إبراهيم بن طوغرت، وقد ظل الاتجاه الثقافى العربى للحركة كلها مستمرا، ويتمثل هذا فيما يسمى بسيادة الفقهاء فى دولة المرابطين، فقد كان لهم دائما مكان ممتاز فى الدولة، وفى بعض الأحيان أخذ هذا المكان صورة سياسية، وقد وجه نقد كثير إلى المرابطين وخاصة إلى على بن يوسف بسبب سلطان الفقهاء فى الدولة، ولكن هذا الاتهام مفتعل ومبالغ فيه، فلم يكن الفقهاء فى دولة المرابطين من السلطان أكثر مما كان فى غيرهم من الدول، ولكن الذى لا شك فيه هو أن أولئك الفقهاء قاموا بعمل تعريبى واسع المدى فى أنحاء دولة المرابطين فساروا خطوة واسعة بما بدأه الأدارسة فى هذا الاتجاه.

وقد كان لأمراء المرابطين اهتمام كبير باللغة والأدب والنثر خاصة، ويعتبر العصر المرابطى العصر الذهبى للنثر الفنى فى المغرب والأندلس، ففى ذلك العصر ظهر فطاحل الناثرين وكتاب الرسائل من أمثال أبى بكر بن الجد وأبى محمد بن أبى الحفال وأخيه أبى مروان وأبى بكر بن القبطورنة.

وقد أكثر المرابطون من إنشاء المساجد فى بلادهم حتى قيل إن يوسف بن تاشفين خطب له على ٦٠٠ منبر، والمساجد كما تعلم مراكز للعلم العربى الإسلامى.

أما فى الأندلس فقد سبق أن ذكرنا كيف أنهم أوقفوا التقدم النصرانى بانتصارهم فى معركة الزلاقة سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٦م وكسروا معه الموجة التوسعية التى كان يقودها الفونسو السادس ملك قشتالة وارغون، ثم كسروا كذلك الموجة التى كان يقودها الفونسو الأول المحارب ملك أرغونة بانتصارهم عليه فى معركة أفراغة بعد ذلك بثمانية وأربعين سنة (٥٢٨هـ/ ١١٣٤م) ولم يكن الفونسو المحارب بأقل خطرا من الفونسو السادس، فكان عمل المرابطين بذلك عملا حاسما امتد أثره قرونا بعد ذلك، أضف إلى ذلك أن انتصار المرابطين فى مواقع أخرى مثل اقليش وتهديدهم المستمر لطليطلة ثم استعادتهم بلنسية فى شرق الأندلس، كل ذلك أدى إلى ثبات جبهة الإسلام فى الأندلس بعد أن كانت على وشك الانهيار قبيل دخولهم.

وإذا كان عمر الإسلام فى الأندلس قد امتد بعد ذلك نحو أربعة قرون فإن الفضل الأكبر يرجع إلى هذه الجماعة الباسلة من المجاهدين.

وخلال هذه القرون التى أضافها المرابطون إلى عمر الإسلام الأندلسى كتب أهل الأندلس صفحات زاهرة أخرى فى تاريخ الحضارة.

حكم عبد المؤمن بن على :

بعد هذه الوقفة القصيرة عند مكان المرابطين فى التاريخ نعود إلى استتمام ما استطردنا عنه من أعمال عبد المؤمن بن على أثناء حكمه.

بعد سقوط مراكش فى يد الموحدين وصل إلى ساحل البحر الأبيض، إذ إن المدن والقبائل فى المغرب كله، حتى طنجة وسبتة فى الشمال.

وكان نفر من رؤساء الأندلس قد انتهزوا فرصة انشغال المرابطين بحرب الموحدين فى المغرب فثاروا بهم وطردوا ولاتهم وأعلنوا أنفسهم حكاما مستبدين فى نواحيهم، وعاد الأندلس مرة أخرى موزعا بين أمراء محليين يحارب بعضهم بعضا، ولهذا تسمى فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين بعصر الطوائف الثانى، ويبدأ من سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م وهى السنة التى قتل فيها تاشفين بن على ثالث أمراء الموحدين عند وهران وتنتهى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م وهى السنة التى تمكن الموحدون فيها من استعادة المرية بعد سقوطها فى يد النصارى، وباستعادة المرية توحد ما بقى من الأندلس مرة أخرى تحت راية الموحدين.

خلال هذه الفترة ظهر من طلاب السلطان والأندلس نفر كبير مقالتهم الأساسية الجشع وقلة الإيمان وقصر النظر، وقد دخل بعضهم فى طاعة الموحدين دون حرب، ولكن بعضهم الآخر لم يستسلم فى سهولة.

وقد وجه الموحدون همهم ناحية غرب الأندلس لأول نزولهم الأندلس سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م وظل غرب الأندلس موضع اهتمامهم طوال مدة حكمهم فيه ككل، فقد كانت إشبيلية هى عاصمتهم هناك، وفى غرب الأندلس قاموا بمعاركهم الكبرى، ولم يتسع أمامهم الوقت للاهتمام بشرق الأندلس ووسطه، ولكن أعمالهم العسكرية الباهرة فى غرب الأندلس ثبتت جبهة الإسلام فيما بقى لها فى شبه الجزيرة كله نحو قرن من الزمان.

وكان أسوأ ما نجم عن أعمال أمراء طوائف ذلك العصر سقوط المرية فى يد الفونسو السابع بدريموندو المسمى عند مؤرخى المسلمين بالسليطين، وقد سموه بالسليطين لأنه تولى العرش صغيرا، وفاه أمه الأميرة اراكه Urraca ابنه الفونسو السادس.

وقد تولى العرش سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م وتوفى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م وكان استيلاؤه على المرية سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م.

وقد حاول الفونسو الدفاع عنها قدر ما استطاع، وكان يعاونه فى حرب الموحدين زعيم أندلسى ممن كان لهم أثر غير محمود فى أحداث هذه الفترة وهو محمد بن سعد بن مردانيش، وكان يقود الموحدين فى هجومهم على المرية السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن الذى ولاه أبوه إشبيلية، ولما رأى ابن مردانيش استبسال المسلمين فى استعادة المرية خجل من نفسه وانصرف عن حليفه النصرانى، ووجد الفونسو الأول المحارب ابن رذبير نفسه وحده أمام المسلمين فأسلم البلد وولى هاربا، ثم لم يلبث أن توفى من أثر ما لقى فى هذا القتال.

وهذا ثانى ملك من ملوك إسبانيا النصرانية يقضى عليه المسلمون فى حربهم الطويلة للمد الصليبى النصرانى فى إسبانيا، والأول هو الفونسو السادس جده، هذا خلا الأمير سانشو ابن هذا الأخير الذى قتل فى معركة أقليش.

وكان استعادة الموحدين للمرية فى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م.

باستعادة الموحدين المرية توحدت بقية الأندلس الإسلامى تحت سلطانهم، فجعل عبد المؤمن ابنه أبا سعيد عثمان واليا عليه كله.

وفى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م أمر عبد المؤمن ببناء حصن ومدينة على سفح جبل طارق الذى سمى بجبل الفتح، وكان الذى بناه المهندس الحاج يعيش وأشرف على البناء السيد أبو سعيد عثمان، وما زالت قطعة من هذا البناء باقية إلى اليوم فى جبل طارق وتعرف باسم الحصن العربى The Moorish Castilla ثم عبر عبد المؤمن بن على إلى الأندلس، وكان له فى جبل الفتح استقبال مشهود. وقد تمت له السيطرة على الأندلس سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦١م.

وقد تأخر وصول عبد المؤمن إلى الأندلس لأن أحوال إفريقية والمغرب الأوسط شغلته عقب دخوله مراكش، فقد ترامى إلى سمعة أن النورمان قد استولوا المهدية على ساحل إفريقية من أيدى أمراء بنى زيرى الصنهاجيين، وكان أمرهم قد ضعف عقب دخول عرب بنى هلال إلى إفريقية وتخريبهم مدائنها خلال النصف الأول من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى.

وعرب بنى هلال هؤلاء جماعة ضخمة من قبائل العرب كانوا مستقرين فى صعيد مصر، ثم إن بنى المعز بن تميم أمير بنى زيرى على إفريقية، وكان يحكم باسم الفاطميين قرر أن يرتد عن الشيعية ويعود إلى السنة، وفعلا تم له ذلك.

وأراد الفاطميون عقاب بنى زيرى فأقطعوا بنى هلال إفريقية والمغرب، فخرجوا إليها قبائل كثيره أهمها بنو سليم بن منصور والأقبيح والمعقل، فوقعت بينهم وبين بنى زيرى وقائع طويلة انتهت بزوال ملك بنى زيرى وانتقال أميرهم يحيى بن تميم إلى حصن المرية وسمى عاصمته المهدية وهى على البحر وانتقلت القوة إلى فرع من الصنهاجيين كان يملك قلعة بنى حماد وما حولها فيما بين مدينة الجزائر الحالية وتاهرت.

وكان بنو زيرى يقفون حائلا بين النورمان أصحاب صقلية منذ سنة ١٠٩١م وسواحل إفريقية، فلما زال ملكهم استولى النورمان على المهدية وانتقل أمير بنى زيرى الحسن بن على بن يحيى بن تميم إلى مدينة الجزائر وكانت تسمى إذ ذاك جزائر بنى مذخفا.

لهذا رأى عبد المؤمن بن على أن يسرع بالمسير إلى المغرب الأوسط وإفريقية ليخرج النورمان منه، وكان هذا عملا جليلا منه يدل على بعد نظر وإخلاص للإسلام.

وقد تمكن عبد المؤمن سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م من فتح المغرب الأوسط، فاحتل الجزائر وبجاية وقلعة بنى حماد بعد أن أزال ملك بنى حماد أبناء عم بنى زيرى منها، وولى على المغرب الأوسط ابنه عبد الله بن عبد المؤمن وعهد إليه فى مواصلة الفتوح شرقا وعاد هو إلى مراكش.

دخول العرب الهلالية المغرب: التغريبة:

بعد وصول عبد المؤمن إلى مراكش بلغه أن العرب الهلالية فى المغرب الأوسط ثاروا على ابنه عبد الله وقامت بالثورة منهم قبائل الأثيج ورياح وزغبة، فسار إليهم وكان بينهم وبينه قتال عنيف عند سطيف، وقد انتصر عليهم واضطرهم إلى الدخول فى طاعته، فدخلوا فى جنده.

ومن ذلك الحين نجد عرب بنى هلال عنصرا كبيرا من العناصر المحاربة فى صفوف الموحدين، وقد تولى عبد المؤمن إقرارهم فى نواحى المغرب الأوسط، فبدأوا يختلطون بأهلها ويندرجون فى بقية السكان، ثم أخذ منهم فيما بعد جماعة كبيرة إلى الأندلس سنة ٥٥٥هـ وأنزلهم فى غرب الأندلس، فيما بين إشبيلية وشريش، فكثروا هناك، وقد سار على طريقته ابنه أبو يعقوب يوسف وحفيده أبو يوسف يعقوب المنصور، فكثر العرب فى الأندلس من جديد.

وتسمى هجرة العرب الهلالية إلى المغرب بتغريبة بنى هلال أو التغريبة، وقد نشأ حولها قصص شعبى كثير هو المعروف بقصة الزير سالم والزناتى خليفة، وهى قصة شعبية نشأت فى مصر أو غرب

الدلتا بتعبير أصح، وتعتبر من معالم الأدب الشعبى العربى وإن كانت الأدبية قليلة نظرا إلى أن الدولة العباسية واستقلوا بها ، والنصوص القديمة التى نرجع إليها هنا قد تحرفت مع الزمن تحريفا شديدا بالنقل ومرور الزمن حتى أصبحت فى صورتها المطبوعة مجموعة غير متناسقة من أحاديث الخرافة ذات قيمة فنية قليلة.

وقد كثر تعليق المؤرخين على دخول الهلالية المغرب وأثرهم فى تاريخه، وغالبية المؤرخين يجمعون على أنهم أنزلوا بإفريقية والمغرب خرابا شاملا، حتى ليقال إن دخول بنى هلال هو خراب إفريقية الثانى، أما خرابها الأول فكان على يد الكاهنة على ما نعلم، ورائد المؤرخين فى هذا القول هو ابن خلدون، فقد أطال الكلام على ما فعله أولئك العرب فى إفريقية وما أنزلوه بها من الخراب، وذلك فى الجزء الرابع من تاريخه، وقد تأثر ابن خلدون بذلك فيما كتبه عن العرب وتخريبهم البلاد فى مقدمته المشهورة.

والحق أن أولئك العرب لم يبدأوا خراب إفريقية وإنما هم أكملوا هذا الخراب، فقد كانت البلاد تتخرب شيئا فشيئا من سنوات طويلة نتيجة للإهمال وسوء الإدارة من أواخر أيام الأغالبة، بل منذ العصر الذى سبق الأغالبة وهو عصر حروب وفتن حافل بتفاصيل الكثير منها، فلما جاء بنو هلال أكملوا التخريب فصارت إفريقية بعدهم فعلا بلادا مخربة فى حاجة إلى من يعيد إليها عمرانها ورونقها.

وقد بدأ الموحدون إعادة البناء ثم أتمه الحفصيون من بعدهم، والحفصيون - رغم ما أصاب إفريقية فى أيامهم من ثورات هم بناة إفريقية أى تونس على الصورة التى وصلت بها إلى العصور الحديثة.

ولكن هذه الغزوة هى حجر الأساس فى تعريب إفريقية والمغرب الأوسط، أى تونس والجزائر، وإذا

كانت عملية التعريب قد سارت سيرا حثيثا فى إفريقية منذ الفتح إلى أيام الأغالبة، ثم خطت خطوات واسعة فى ظل بنى الأغلب وبفضل فقهاء عصرهم وعلمائه، فإن بنى هلال عندما استقروا فى إفريقية أكملوا هذه العملية واختلطوا بطبقات الناس فى كل نواحى البلاد وعربوهم تعريبا شاملا عميقا، وإذا كنا نقول رب ضارة نافعة، فغزوة بنى هلال على ضررها لم تخل من نفع وفائدة.

وتتجلى هذه الناحية ممن نفع الغزوة وفائتها فى المغرب الأوسط، فهذه البلاد لم يكن قد استقر بها من العرب أعداد كافية لتعريب أهلها، وذلك بسبب قلة المدن فيها عندما دخلها العرب، والعرب كانوا فى العادة يجتمعون فى المدن ومنها ينساحون فى الأرياف، ومع أن الكثرين من العرب استقروا فى بجاية وتلمسان ووهران إلا أن امتدادهم كان قليلا، ولم يصلوا إلى معاقل البربر فى المغرب الأوسط ومنازل قبائله، فظلت بربرية فى الغالب رغم إسلامها.

هذه العملية قام بها عرب بنى هلال فى المغرب الأوسط وخاصة قبائل الأتيج والمعقل، فقد اندرج هؤلاء مع البربر وصاهروهم واختلطوا بهم فى كثير من المواقع فبدأت عملية التعريب تسير سيرا حثيثا، وخلال العصر الموحدى قامت فتنة بنى غانية المسوقيين، وهم بقايا المرابطين واشترك فيها العرب وسارت جماعاتهم مع جماعات البربر مقاتلة من الساحل إلى مشارق الصحراء ومن إفريقية إلى حدود المغرب، فكان لذلك أبعد الأثر فى تعريب قطر الجزائر، ونجد تفاصيل هذه العملية فيما يقصه ابن خلدون فى تاريخه.

المهم لدينا أن العرب أصبحوا من الآن عنصرا قويا ذا أثر بعيد فى تاريخ المغرب وفى تكوين القوة العسكرية للموحدين، وسيكون لهم دور فى المعارك الكبرى التى يخوضونها فى الأندلس خاصة، فكان لهم نصيب كبير فى انتصار الدرك الذى سنتحدث عنه، وكانوا كذلك مسئولين عن جانب كبير من هزيمة معركة العقاب، لأن العرب كما نعرف يتوقف نوع العمل الذى يقومون به على القيادة التى تقسم لهم، فإن كانت صالحة صلح أثرهم وإن عزت عليهم القيادة الصالحة لم يتأت منهم خير كثير.

وفى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م تمرد الهلاليون فى تونس وانضموا إلى ثائر يسمى عبد الله بن خراسان، وهزموا السيد عبد الله بن عبد المؤمن، فقرر عبد المؤمن أن يضع حدا لعصيان أولئك العرب، فخرج فى سنة ٥٥٤هـ/١١٥٨م فى جيش جرار يقال إنه أكبر جيش موحدى قاده عبد المؤمن، وتمكن من احتلال تونس، ثم تقدم نحو المهدية، وكانت بيد النورسان فحاصرها حتى سلمت المدينة فى سنة ٥٥٤هـ وكانت بعض بطون الهلالية مثل بنى كامل وبنى رياح وبنى المورد قد استعيدوا ببعض بلاد تونس مثل فقصه وقابس وتصالحوا من النورمان، فأرسل عبد المؤمن ابنه عبد الله فى حملات إلى هذه النواحى فأدخلتها فى دولته وخرج هو فى حملات أخرى.

ولم تحل سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م حتى كان عبد المؤمن قد مد رواق الدولة الموحدية إلى حدود طرابلس، ولكن لسلطان الموحدين فيها، وبذلك تكون هذه السنة تاريخا فاصلا فى التاريخ المغربى كله، فهى السنة التى تحققت فيها وحدة المغرب السياسية، ودخل كله من حدود طرابلس إلى المحيط فى دولة واحدة يحكمها خليفة واحد فى مراكش.

وفى دلك الحين كانت تلك الخلافة الموحدية المغربية أقوى الدول الإسلامية وأوسعها سلطانا، فإن الدولة العباسية كانت قد هبطت إلى درك سحيق من الضعف، ولم تكن الدولة الأيوبية قد قامت بعد، وجدير بالذكر أن الاحتلال الصليبى لأراضى الشام كان إذ ذاك فى عنفوانه.

وفى أواخر أيام عبد المؤمن تمرد فى الأندلس ابن همشك وابن مردانيش ونفر من رؤساء الجند فى الأندلس، فعبر إلى ذلك البلد وقضى على حركات التمرد هناك وثبت أقدام دولته هناك، ثم عاد إلى المغرب، وعندما وصل سلا نزل به المرض، لم تزل العلة تثقل به حتى قضى نحبه فى ٢٧ جمادى الآخره ٥٥٨هـ/١١٦٣م يونيو.

حكم عبد المؤمن بن على أربعا وثلاثين سنة تعتبر فاتحة أزهى عصور التاريخ المغربى على الإطلاق، لقد ورث عبد المؤمن عن محمد بن تومرت قوة عسكرية وسياسية ضخمة عرفت كيف

يستخدمها في إنشاء أكبر دولة عرفها تاريخ المغرب، فقد امتدت من خط الوادى آنة في الأندلس إلى وادى درعة في جنوب المغرب، وترامت من المحيط إلى أحواز طرابلس، وقد أبدى الرجل نشاطا واسعا وذكاء كبيرا في انشاء هذه الدولة، حقا إن الرجال الذين تولوا قيادتهم كانوا من خيرة شعوب العالم الإسلامى وأقواها وأشدها إخلاصا للدين، ولكنها كانت أيضا تحتاج إلى يد قوية لضبطها والسيطرة عليها وتوجيهها التوجيه الصحيح، وقد يفسر ذلك لعبد المؤمن بمواهبه، وأهم هذه المواهب أنه عرف كيف يستفيد من مواهب زملائه من كبار أصحاب محمد بن تومرت من أمثال أبي حفص عمر ابنتى المعروف بالهنتاتى وأبى يحيى أبى بكر بن يجبت وأبى إبراهيم إسماعيل بن بسلالى الهزرجى المعروف بابجيح وعمر بن عبد الله المعروف بمور ازتاج وغيرهم، وكانوا جميعا رجالا ذوى ملكات وإخلاص، وقد اعتمد عليهم وعلى أبنائهم من بعدهم محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن على وخلفاؤه وإليهم يرجع جانب كبير من الفضل فيما وصلت إليه دولة الموحدين من قوة واتساع.

خلفاء عبد المؤمن بن علي
ابو يعقوب يوسف
٥٥٨هـ - ٥٨٠هـ/١١٦٣م - ١١٨٤م:

لم يكن يوسف بأكبر أبناء عبد المؤمن ولكنه كان أصلحهم بحسب ما رأى شيوخ الموحدين، وكان في حدود الثلاثين عندما تولى الأمر، وكان قد قضى سنوات طويلة في الأندلس عاملا على إشبيلية لأبيه فتدرب على قيادة الأمور، وكان ذا ثقافة واسعة وإيمان متين، ومع أن ملكاته لم تكن بالمستوى الذى كانت تتطلبه ظروف إمبراطورية واسعة كإمبراطورية الموحدين إلا أنه بذل أقصى جهده في القيام بأمرها وساس الأمور في حزم واجتهاد فوفق في المحافظة على التراث الضخم الذى سار إليه.

في دولة واسعة كدولة الموحدين تحكم أقاليم شاسعة لم يسبق دخولها تحت لواء واحد مثل

الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط وإفريقية تكون مهمة الحاكم الأولى هى المحافظة على الهدوء والطاعة فى نواحى البلاد، ولا تخلو سنة من قيام ثائر فى ناحية من نواحى الدولة ولا بد من الإسراع للقضاء على فتنته وإلا حذا آخرون حذوه.

قامت على يوسف ثورات كثيرة فى إفريقية، وكان قد وفد على طرابلس جماعة من الأيوبيين مع جندهم بقصد تمهيد هذه الناحية لصلاح الدين، فتحالف معهم عرب بنى هلال وأصبح هذا

الطرف القصى لدولة الموحدين مصدرا للقلاقل والاضطرابات، وقد بذل يوسف جهدا كبيرا فى القضاء على مبادئ الفتن التى قامت هناك.

وقامت كذلك فتن كثيرة فى الأندلس أثارها محمد بن سعد بن مردانيش كبير ثوار شرق الأندلس، وقد تولى حربه السيدان أبو سعيد وأبو حفص من أبناء عبد المؤمن، أى من أخوة يوسف، وقد تمكنا من إيقاف خطر ابن مردانيش فى سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م.

وتبين يوسف بن عبد المؤمن أن الأندلس فى حاجة إلى عمل حاسم يقضى على خطر ابن مردانيش ويوقف تقدم النصارى، وكان يتولى عرش ليون وقشتالة إذ ذاك الملك فرناندو الثانى، وكان يتوجس خيفة من إمارة البرتغال التى كانت تسير حثيثا نحو القوة فى ذلك الحين بقيادة أميرها الفونسو انريكى Alfonso Enrısu الذى كانوا ينطقونه إرّيكى ولهذا يكتبه مؤرخونا ابن البريق ويحرفه بعضهم إلى ابن الرنق.

لهذا تحالف فرناندو الثانى مع أبى يعقوب يوسف ووعد بمساعدته فتمكنت قوات الموحدين من القضاء على محمد بن سعد بن مردانيش صاحب مرسية وشرق الأندلس بعد حرب مضنية حافلة بالخسائر.

وبعد وفاة فرناندو الثانى تولى عرش ليون وقشتالة الفونسو الثامن، وكان رجلا نشيطا طموحا شديد الخوف من المسلمين، فبدأت العلاقات تسوء بين الجانبين وخشى أبو يعقوب يوسف من التقارب بين مملكة ليون وقشتاله وإمارة البرتغال، فقرر القيام بحملة كبيرة على غرب الأندلس هدفها إيقاف الخطر البرتغالى خاصة.

سار الجيش الموحدى نحو شنترين أكبر قواعد غرب الأندلس، وكان البرتغاليون قد استولوا عليها سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م وأحس الفونسو أريكى بقرب الخطر فحصن شنترين وشحنها بالمؤن والمعدات وأقبل الموحدون فحاصروها.

هنا نلاحظ ظاهرة تتكرر كثيرا فى التاريخ العسكرى للموحدين، وهى أن جيوشهم على ضخامتها كان ينقصها النظام وتعوزها القيادة، ولقد امتاز العصر المرابطى بعظماء القادة الذين عرفوا كيف ينزلون الهزائم بالأسبان، ولكن الموحدين لم يطلعوا قائدا واحدا ممتازا، والسبب فى ذلك ربما يرجع إلى أن الموحدين كانوا يصرون على أن يتولى القيادات أفراد من بينهم أو أفراد بيت أبى حفص عمر الهنتاتى، ومن سوء الحظ أن أمراء البيت الموحدى وكانوا يلقبون بالاشياخ كانت مواهبهم محدودة فى جملتهم، ولا يكاد يمتاز من بينهم إلا عبد المؤمن بن على وابنه أبو يعقوب يوسف وحفيده أبو يوسف يعقوب، ولهذا قلت انتصارات الموحدين بعد عصر أبى يوسف يعقوب.

هنا فى حصار شنترين نجد هذه الظاهرة بوضوح، فهذا الجيش الضخم الذى يقوده الخليفة بنفسه يعجز عن الاستيلاء على ذلك الحصن، وفى وقت ما أثناء الحصار نجد الخليفة يصدر أمرا برفع الحصار والانتقال إلى مدينة أخرى، صدر هذا الأمر فجأة ودون إبلاغه إلى الفرق بالطريق التى تقتضيها نظم العسكرية، ففوجئ الجنود بفساطيط الخليفة ورجاله ترفع على عجل فظنوا أنها هزيمة وتبادروا إلى الفرار، وانتهز العدو الفرصة فهجم على معسكر المسلمين وأصيب الخليفة بسهم يقال إنه كان مسموما، وهكذا ، وفى ساعات قليلة انفرط نظام هذا العسكر الضخم ونزلت به خسائر فادحة، وحمل الخليفة الجريح فى محفة، وعاد الجيش أدراجه، وبعد ليلتين من المسير مات الخليفة أبو يعقوب يوسف فى ٧ رجب ٥٨٠هـ/١١٨٤م.

وعلى أى حال فأبو يعقوب كان دائما رجلا مريضا، وفى تتبعنا لتاريخه نجده يصاب بالمرض المرة بعد المرة حتى لقد ظل مرة سنة كاملة مريضا طريح الفراش، ولهذا يذهب بعض المؤرخين إلى أنه مات إثر مرض أصابه أثناء الحصار.

توفى أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فى السابعة والأربعين من عمره، وكان رجلا شهما نشيطا بذل أقصى جهده فى القيام بواجبه، وقد سار بالدولة خطوات واسعة إلى الأمام، وهو يعد من كبار الخلفاء والسلاطين فى تاريخ المغرب الإسلامى.

أبـــو يوســـف يعقـــوب المنصـــور
الدولـــة الموحديـــة فى ذروتـــــها
٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤م - ١١٩٩م :

تعتبر السنوات الخمس عشرة التى حكمها أبو يوسف يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين العصر الذهبى للدولة الموحدية والذروة التى وصل إليها التطور السياسى فى المغرب نحو التوحد وإقامة الدول الكبرى، ولقد كان ذلك العصر الذهبى قصيرا لا يتناسب مع دولة ضخمة مترامية الأطراف غزيرة الثروة والموارد مثل الدولة الموحدية فإن خلفاء الموحدين حكموا بلادا تضاهى ما حكمه العباسيون فى أوج قوتهم، وكانت تحت إمرتهم حشود من الجند القوى القادر على كسب المعارك لم تتيسر لأى دولة أخرى فى التاريخ الإسلامى كله، فإن جيوش بنى أمية لا يمكن أن يزيدوا فى مجموعهم على مائة ألف موزعين بين الشرق والغرب، وجيوش بنى العباسى كانت أضخم ولكن معظمها كان من الجند المرتزق القليل الإخلاص الباهظ التكاليف (وإلى هذا يرجع السبب فى قلة ما حققته الدولة العباسية من الناحية العسكرية) أما الموحدون فكانت جيوشهم تعج بحشود من أبناء خيرة القبائل المغربية من المصامدة أولا ثم من بقية الصنهاجيين بل الزناتيين أيضا ممن اجتذبتهم الدولة الموحدية بقوتها وهيبتها، ثم أضيفت إلى هؤلاء حشود من العرب الهلاليين الذين انضموا تحت لواء الدولة الكبيرة المظفرة، ولم يخل الأمر من قوات أندلسية ذات قدرة ومهارة، لأنه إذا كان زعماء الأندلس قد انتابهم التدهور الخلقى والنفسى فإن شعب الأندلس نفسه ظل قويا مؤمنا صامدا رغم الكوارث المتوالية، ولو أتيح لهذا الشعب من يقوده ويوجهه لتمكن من تحقيق الشيء الكثير.

وكان يوسف بن تاشفين قد أتم بناء مراكش، وجعلها عاصمة إمبراطورية كبيرة.

أما دور يوسف بن تاشفين فى الأندلس فحاسم، فلولا تدخله وتمكنه من هزيمة النصارى فى موقعة الزلاقة وغيرها لضاع الأندلس الإسلامى فى أواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وقد امتد عمر الأندلس نتيجة للتدخل المرابطى أربعة قرون أخرى بين مد وجزر وزيادة ونقص وحرب وسلم ونصر وهزيمة.

وكان يوسف بن تاشفين رجلا شديد السمعة فارع الطول، وهو دون شك أول رجل من إفريقية المدارية السوداء يصل إلى الرياسة والملك ويقوم بدور كبير فى التاريخ العالمى وكل ذلك بفضل الإسلام الذى وصل إلى هذه النواحى وفتح أبوابها للإسلام وأدخلها هى وشعوب إفريقية بعد ذلك فى ميدان التاريخ العالمى.

علـــى بـــن يوســـف بـــن تاشفـــين
من ٥٠٠ هـ إلى ٥٣٣هـ/١١٠٧م - ١١٣٨م:

خلف يوسف بن تاشفين ابنه على، وكان شابا مكتمل التكوين فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره، وكان قد تدرب على شئون السلم والحرب وسياسة الدولة أيام أبيه، ولهذا فقد سار بأمور دولته سيرا حثيثا إلى الأمام، وسجل اسمه بين عظماء تاريخ المغرب الإسلامى.

وكان نجاح عبد الله بن ياسين فى إثارة حركة دينية إصلاحية واسعة النطاق فى المغرب والأندلس ثم تمهيده الطريق لقيام دولة صنهاجية استطاعت أن تخلص الصنهاجيين من استبداد الزناتيين حافزا لفقيه مغربى آخر من إحدى قبائل مصمودة على محاولة القيام بدعوة لحساب القبائل المصمودية - وهى الكتلة الكبرى من الصنهاجيين.

هذا الفقيه هو محمد بن تومرت الذى ولد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م على وجه التقريب فى

قبيلة مصمودية صغيرة تسمى إرغان أو هرغان التى عربت على هرغة، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن اسمه لم يكن محمدا بل اتخذه هو فيما بعد فإن محمدا اسم شائع، ولا نجد ما يدعو إلى هذا الفرض، أما لقبه وهو تومرت فإن المستشرق الفرنسى ليڤى بروفنسال قال إنه اسم جدته وإنه نسب إليها فقيل محمد بن تومرت، أما اسم اجليد على أنه اسم جده فهو لقب بربرى هو اجليد ومعناه الشيخ أو الزعيم، فهو على هذا ليس اسما ويلقب ابن تومرت بعد ذلك بأمغار ومعناه العالم أو الفقيه، وفى الكتاب الذى كتبه خادمه البيدق نجد ابن تومرت يوصف بأنه فقيه أمغاز سوسى أى فقيه السوسى.

درس ابن تومرت أول الأمر فى بلده ثم فى مراكش، وحوالى ٥٠٦هـ/ ١١٠٧م- ١١٠٨م يشرع فى رحلة دراسة طويلة إلى المشرق، وتفاصيل هذه الرحلة موضع شك كبير لأن ابن تومرت يقول إنه وصل فيها إلى بغداد ودرس على أبى حامد الغزالى بل يروى أحاديث دارت بينهما، وذلك مستبعد لأن الغزالى رحل سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م ولم يعد إلى بغداد أو دمشق ثانية، ثم توفى فى بلده سنة ٥٠٦هـ/١١٠٧م، فهو قطعا لم يلق الغزالى بل نشك كثيرا فى أن ابن تومرت وصل إلى بغداد أو الحجاز، وغاية ما يمكن قوله بصيغة التوكيد إنه وصل إلى الإسكندرية وربما إلى القاهرة وأطال المكوث فى مصر والقيروان حيث ألم بجانب كبير من العلم.

ولا شك فى أن ابن تومرت كان غير عادى الذكاء، ولكن ذكاءه كله كان منصرفا إلى السياسة، وطلب السلطان.

وعندما ندرس حياته نرى أنه وضع كل ما حصل من العلم فى خدمة طموحه السياسى، وهذا الطموح أيضا مشكلة، فهذا الرجل الذى تصدى لإنشاء كيان سياسى فريد فى نوعه هو حركة الموحدين ونظمه على طريقة مبتكرة تدل على ذهن منهجى مرتب، وتمكن من أن يسقط دولة كبرى ويقيم دولة هى أكبر منها، وهذا الرجل كان متقشفا زاهدا لا يتمسك بأى مظهر من مظاهر

السلطان، فقد كان حصورا، أى لا يقرب النساء، وهو لم يتزوج ولم ينجب ولم يجعل نفسه خليفة أو سلطانا، بل مهد الطريق لعبد المؤمن بن على لكى يبلغ الرياسة الدينية والسياسية ويتمتع هو وبنوه بالملك وما يتصل به فى حين مات ابن تومرت فقيرا.

وقد حرص عبد المؤمن بن على على القضاء على كل من تطلع إلى السلطان من أسرة ابن تومرت، ولم يكن هٰذا الأخير يجهل أن ذلك لا بد أن يحدث، ولكنه لم يفعل شيئا لتلافيه.

وإذن فشخصية محمد بن تومرت شخصية غريبة معقدة، وكلما قرأنا تاريخ حياته كما كتبها خادمه البيدق تكشفت لنا أمور أخرى تزيد شخصية هذا الرجل غموضا وتعقيدا.

ابن تومرت والدولة الموحدية :

وهذا الغموض يكتنف أيضا كتاباته التى كانت أساسا للتفكير الدينى فى الحركة الموحدية، وإذا قرأنا مثلا كتابه المسمى «أعز ما يطلب» وهو أحسن ما كتب وجدناه خليطا من أراء أهل السنة وأفكار الشيعة ما بين معتدلين ومتطرفين وفيه كذلك أفكار صوفية متطرفة لا يرضى عنها الإسلام السمح الواضح، وكلامه بعد ذلك فيه غموض متعمد وتكلف لأساليب الكهان وأهل السحر مما لا يزال إلى الآن يحيرنا فى أمر عقيدة ابن تومرت.

فمعلوماتنا الدقيقة بعض الشيء عن حياة محمد بن تومرت أثناء عودته من المشرق ويرويها لنا كاتبه وخادمه أبو بكر البيدق الصنهاجى وابن القطان فى كتابه «نظم الجمان» وعبد الواحد المراكشى فى كتابه المسمى «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» وهذه المعلومات كلها حكايات تدور كلها حول أعمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى تصدى لعملها، وهى حكايات لا يمكن قبول معظمها، ولكنها تعطينا الصورة التى دخل بها، وهى حكايات تتفق تماما مع خطته التى رسمها لنفسه، وهى اجتذاب الأنظار نحو نفسه والظهور بمظهر مصلح دينى وثائر على ما يقع فى المجتمع من مخالفات للدين.

لقاء ابن تومرت مع عبد المؤمن بن على :

وعندما يصل محمد بن تومرت إلى تلمسان يلتقى بعبد المؤمن بن على من قبيلة كومية الصنهاجية ومن ذلك الحين يرتبط الرجلان برباط صداقة وعمل فيصبح عبد المؤمن بن على خير تلاميذ فقيه السوس وكانوا قد أصبحوا جماعة كبيرة يسيرون معه وينقلون معه من مكان لمكان.

من تلمســان ســار ركب الفقــيه السوســى إلى وجــدة ثــم فاس، وهنا يأمر تلاميذه بتحطيم ما يجدون مں أدوات الموسيقى، ففعلوا ذلك فأمر عامل فاس بإخراجهم من البلد فذهبوا إلى مراكش.

تطور حركة الموحدين :

بالإضافة إلى ذلك أنشأ الموحدون قوة من الحرس الخاص للخليفة من العبيد ممن كانت الدول تشتريهم من بلاد السودان، ولهذا كانوا يسمون عبيد المخزن، وكان عبيد المخزن هؤلاء كانوا يسمون أيضا عبيد الدائرة، قوة عسكرية لها خطرها، وقد حاربت دائما فى قوة وحماس وإخلاص ودافعت عن الخلفاء فى استماتة.

ورغم هذه القوات كلها كانت القوة العسكرية الموحدية دائما مفككة تنقصها القيادة الحاكمة التى تفيض على الجيش صورة محكمة، وتوجه الأعمال وفق خطة واحدة مرسومة كما نرى فى جيوش العرب الأولى وفى جيوش صلاح الدين والمماليك والأتراك العثمانيين.

وكان أبو يوسف يعقوب المنصور من الموحدين القلائل الذين استطاعوا قيادة جيوشهم قيادة سليمة محكمة، وكان الرجل فى نفسه مؤمنا شديد الإيمان، فانتقل إيمانه إلى رجاله، وكسبت جيوش الموحدين فى أيامه قوة ضاربة كبرى.

ثورة بنى غانية المسوفيين :

ومن سوء الحظ أن دولة الموحدين ابتليت فى أيام أبى يوسف يعقوب هذا بمشكلة صغيرة فى حجمها وأهميتها، ولكن عجز الإدارة الموحدية عن معالجتها بالصورة الناجعة جعل منها مشكلة ضخمة استنزفت من دماء الدولة وجندها جانبا كبيرا، وأصبحت فى النهاية من أسباب سقوط الدولة كلها.

تلك هى مشكلة بنى غانية المسوفيين، وينبغى أن نقرأ الاسم بتشديد الياء، لأن مؤسسهم الموسفى ينسب إلى أمه وكانت من غانة فهى غانية وكانت النسبة إلى الأمهات شائعة فى المرابطين، فهناك أبو عبد الله ابن عائشة وأبو بكر ابن الصحراوية ومحمد ابن فنو (اسم امرأة) وهكذا، لأن الرجال كانوا يتزوجون كثيرا فتنسب الأولاد إلى أمهاتهم تمييزا لبعضهم عن بعض فى البيت الواحد.

أول من نسمع عنه من رجال هذا البيت أبو زكريا بن غانية الذى أقامه على بن يوسف على بعض أعمال قرطبة، وأثبت أنه قائد ماهر، وقد توفى أبو زكريا هذا سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م.

وقد تولى محمد أخوه محمد ابن غانية الجزائر الشرقية وهى البليار منذ سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م وظل يحكمها حتى سقطت دولة المرابطين نهائيا، وعندما عبر الموحدون إلى الأندلس وأدخلوه فى طاعتهم ظل محمد ابن غانية مباعدا لهم، ثم عمد إلى مداراتهم، وكان آمنا منهم طالما عاش محمد بن سعد بن مردانيش الذى كان يسيطر على شرق الأندلس، ولكن بعد موت هذا سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ووصول الموحدين إلى بلنسية ومرسية وشاطبة وبلاد الساحل الشرقى كان على بنى غانية أن يحددوا موقفهم من الدولة الجديدة.

وكان محمد ابن غانية قد توفى سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م وخلفه ابنه عبد الله ثم أخو هذا إسحاق بن محمد ابن غانية، وقد مال محمد إلى مصالحة الموحدين والدخول فى طاعتهم، ولكن إخوته الكثيرين رفضوا ذلك وخلعوه وولوا مكانه أخاه على ابن غانية، فأسرع هذا بإعلان الثورة على الموحدين، وقرر أن يخوض معهم معركة طويلة، خاصة وقد لجأ إليه كثيرون من بقايا المرابطين ممن قد امتلأت قلوبهم حقدا على الموحدين إذ خافوهم على أنفسهم.

وكان على ابن غانية رجلا جريئا مقداما مغامرا، ومن الغريب أن اقدام مسلمى عصور الانحطاط كان لا يظهر إلا إذا حاربوا إخوانهم العرب والمسلمين، أما إذا حاربوا أعداء ملتهم من النصارى فهنا لا نرى إقداما ولا بسالة.

فكر على ابن غانية فى أن يخرج بأسطوله ويغير على إفريقية، فيفتح بذلك جبهة جديدة أمام الموحدين، والحق أن تفكيره هذا كان شيطانيا، لأن إفريقية كانت بعيدة جدا عن قلب دولة الموحدين، ثم إن نواحيها كانت عامرة بالعرب الهلالية المستعدين دائما للاشتراك فى أى عمل يفتح لهم أبواب السلب والنهب وإطلاق العنان لما جبلوا عليه وأغرموا به من الغارة أو الغزوة والسلب والنهب.

وربما كان أحسن ما يعمله الموحدون فى هذا الظرف وهم فى مواجهة عدو خطر هو الاتجاه إلى إسبانيا النصرانية، هو أن يدعوا جانبا موضوع الجزائر الشرقية وبنى غانية فيها، ولا يشغلوا أنفسهم كثيرا بأمر إفريقية حتى يفرغوا من العدو النصرانى، ولكن الذى حدث هو أنهم لم يتخذوا هذه السياسة، بل اهتموا أشد الاهتمام بأمر المرابطين وحربهم والحلول محلهم، فمضوا يرسلون الحملات تلو الحملات ضد المرابطين وأنفقوا الملايين فى حرب خطيرة بلا نهاية لأن بنى غانية وأحلافهم من العرب جعلوا الصحراء ملجأ لهم، فكلما ضيق الموحدون عليهم وضيقوا الخناق فروا إلى الصحراء ثم

لا يلبثون أن يعودوا من جديد، واستمرت هذه المطاردات سنوات طويلة استنزفت جانبا كثيرا من قوة الدولة وثروتها.

وقد تصدى أبو يوسف يعقوب المنصور لبنى غانية فى حزم، وأنزل بهم هزيمة قاصمة فى شعبان ٥٨٣هـ/ أكتوبر ١١٨٧م وهرب على ابن غانية وحلفاؤه من العرب والترك إلى الصحراء، واستراح أبو يوسف يعقوب من شرهم إلى حين.

جهاد المنصور الموحدى فى الأندلس وانتصار الأرك العظيم :

انتهز أبو يوسف يعقوب المنصور فرصة الفراغ مؤقتا من أمر بنى غانية واتجه بقواه نحو الأندلس، وكان الموقف فيه قد عاد إلى السوء والتحرج إذ إن الضغط النصرانى على الأندلس كان قد أصبح كسيل متدفق جرف السدود ولم يعد ينفع فيه إلا عمل حاسم من أعمال الإنقاذ الكبرى كتلك التى قام بها نور الدين ثم صلاح الدين فى المشرق، وكان صلاح الدين معاصرا لأبى يوسف يعقوب المنصور.

توفى الفونسو انريكى ملك البرتغال فى أواخر ٥٨٠هـ/ أواخر ١١٥٨م وخلفه ابنه سانشو الثانى ملك البرتغال وقد عقد العزم على انتهاز فرصة انشغال الموحدين ببنى غانية ليستولى على بعض بلاد غرب الأندلس، وقد اشتد ساعده بحشود صليبية كان بعضها فى طريقه من غرب أوروبا إلى بلاد الشام، فكانت تنزل ببعض الموانى البرتغالية، وتمكن الفونسو من اقناع بعض رجال هذ الحملات فى معاونته للاستيلاء على شلب، وكانت من أفضل ما بقى من موانى الأندلس ف أيدى الموحدين.

وبالفعل تمكن سانشو والصليبيون، ومعظمهم من القلمنك فى هذه المناسبة من الاستيلاء على شلب فى رجب ٥٨٥هـ/ سبتمبر ١١٨٩م بعد أن دافع أهلها عنها دفاع الأبطال، وكان

سقوط شلب قد حرك أبا يوسف يعقوب يوسف المنصور إلى العمل فقرر القيام بغزوة كبرى على غرب الأندلس يعيد بها الأمور إلى نصابها

احتفل المنصور الموحدى احتفالا ضخما بغزوته تلك ، فاستنفر الناس فى نواحى بلاده، وأعد أحسن فرق جيشه ودعا العرب إلى الاشتراك معه فى الجهاد، ولا شك فى أن أخبار انتصار صلاح الدين على الصليبيين فى حطين كان عظيم الأثر فى نفس أبى يوسف يعقوب المنصور وحركه إلى غزو غرب الأندلس.

وفى نفس الوقت قام الفونسو التاسع ملك ليون وحليف المنصور بمهاجمة أراضى قشتاله واجتاحها، ومن الغريب أن المنصور لم يحاول فى أية عزوة قادمة الاستيلاء على طليطلة، ولو أراد لفعل ذلك فى غير مشقة كبيرة، ولا ندرى لماذا أحجم عن ذلك، وكان إحجامه سببا فى ضياع ثمرات نصر الأرك العظيم، فقد أتاح ذلك الفرصة لألفونسو الثانى ليستجمع قواه ويأخذ بثغره فى أيام محمد الناصر بن أبى يعقوب يوسف المنصور.

وقد عاد المنصور بعد ذلك مرة أخرى إلى غزو الأندلس، ولكنه لم يقم بأى عمل عسكرى عظيم، واكتفى بأعمال التنظيم والإدارة ومحاسبة العمال ورجال المال وما إلى ذلك.

وتوفى المنصور فى ٢٠ ربيع الأول ٥٩٥هـ/٢٢ يناير ١١٩٩م بعد أن أتم من عمره ٣٩ سنة ميلادية، فقد ولد فى أواخر ذى الحجة ٥٥٤هـ/ يناير ١١٦٠م وهذه الوفاة المبكرة لم تسمح له بأن يقوم بأكثر من ذلك.

ولا شك فى أنه كان مريضا، وكان عمره عند وفاته خمسين سنة تقريبا وهذا لا يستوقف نظرنا فإن الرجل كان مريضا، وابنه محمد عبد الله الناصر توفى فى الرابعة والثلاثين من عمره، فقد ولد فى أواخر ٥٧٦هـ وتولى فى ١٢ ربيع الأول ٥٩٥هـ/٢٢يناير ١١٩٩م وتوفى فى ١٠ شعبان

٦١٠هـ/ ديسمبر ١٢١٣م ولا أدرى إن كان لنا الحق فى أن نلاحظ أن هذا الخط من البيت الموحدى كان مصابا بمرض متوارث لا نعرفه، وليس من العادى أن يموت رجل وسنه ٤٧ سنة ويموت ابنه وسنه ٣٧ سنة ويموت حفيده وسنه ٣٤ سنة.

وقد خلد أبو يوسف يعقوب المنصور اسمه فى التاريخ بنصر الأرك العظيم، وإذا كنا نأخذ عليه أنه لم يحاول اجتناء ثمراتها وقد توفى فى زهرة العمر مما يسمح لنا بأن نقول إن هذا القعود عن اجتناء آثار ذلك يرجع إلى مرضه أو إلى شعوره بأنه مريض أو ضعيف، لولا ذلك لاستثمر هذا النصر ولقام بأعمال أخرى عظيمة خاصة وأن الرجل كان ذكيا قادرا متحمسا عارفا بشئون الحكم، ومن ثم فإننا لا نستطيع الحكم عليه حكما سليما بسبب المرض وقلة العمر.

أبو محمد عبد الله الناصر لدين الله
ابـــن المنصــــور الموحـــــدى
٥٩٥هـ - ٦١٠هـ / ١١٩٩م - ١٢١٣م:

خلف أبا يوسف يعقوب المنصور ابنه أبو محمد عبد الله الملقب بالناصر، وكان يوم ارتقى العرش فى الثامنة عشرة من عمره (ولد فى أواخر ٧٧٦هـ وكان شابا قليل الذكاء، وقد يتجلى غباؤه فى صورة استبداده بالأمر، ورفض خيول من رجاله وكان أبوه قد نصحه بألا يقطع أمرا دون مشاورة أبى حفص محمد بن أبى حفص، وكان رجلا بعيد النظر ولكن الناصر لم يكن له هم بعد أن تمكن فى العرش إلا مخالفة هذا الشيخ الفاضل العاقل العظيم.

بدأ الناصر حكمه بداية طيبة، فقد رأى أولا أن يفرغ من ثورة بنى غانية فى الجزائر الشرقية وانضمامها إلى إفريقية، وكان إسحاق بن على ابن غانية قد تمكن فى سنة ٥٩٥هـ/١١١٩م من الاستيلاء على تونس فزاد أمر الثورة خطورة، وبدأ أبو محمد الناصر بتوجيه حملة بحرية كبرى على

الجزائر الشرقية، فتم له ذلك فى ربيع الأول ٦٠٠هـ/ ديسمبر ١٢٠٣م وأقيم عليها عبد الله بن طاع الله الكومى، وبهذا يكون الموحدون قد قطعوا جذور بنى غانية فى الجزائر الشرقية (البليار، وهى جزائر ميورقة ومنورقة ديابسة) وبقى عليهم أن يقطعوا فروعها فى إفريقية والمغرب الأوسط، وبعد ذلك بسنتين (فى ربيع الأول ٦٠٢هـ/١٧ أكتوبر ١٢٠٥م أوقع الموحدون ببنى غانية وأحلافهم بقيادة يحيى بن إسحاق الميورقى هزيمة ساحقة فى تاجرا ببنى غانية، وأعقب ذلك دخول الموحدين تونس والمهدية والقضاء نهائيا على فتنة بنى غانية.

ميـــلاد الدولـــة الحفصيـــة

نهاية بنـى غانيـــة - الطوارق:

وقد قام أبو محمد عبد الله الناصر بتأمين النتائج التى وصل إليها فى إفريقية بقرار يعتبر أسلم وأحسن قرار اتخذه فى حكمه اختار لولاية إفريقية الموحدون بقيادة عبد المؤمن على أن يستولوا على مراكش ولكنهم ارتدوا عنها بخسارة كبيرة وكان الذى هزمهم الزبير بن على بن يوسف بن تاشفين.

ويقال إن اسم الموحدين أطلقه ابن تومرت على جماعته أثناء الاستعداد لهذه الغارة، إذ إنه كان يحسب أنهم سيستطيعون القضاء على المرابطين بسهولة فسماهم بالموحدين بصورة رسمية، وكذلك سمى جيشهم بجيش المؤمنين وعبد المؤمن بن على بأمير المؤمنين.

احتاج عبد المؤمن إلى وقت طويل ليثبت سلطانه، فإن ابن تومرت توفى فى سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م وأعلنت وفاته سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ولكننا لا نسمع بقيامه بعمل كبير إلا فى سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م عندما بدأ التصادم العسكرى مرة أخرى بينه وبين تاشفين بن على خليفة على بن يوسف، ويبدو أن عبد المؤمن شغل نفسه خلال هذه السنوات بالاستيلاء على حصون

مرابطية فى الطريق من السوس الأدنى إلى مراكش، ومد سلطانه كذلك على وادى درعة، واستولى من المرابطين على تارودانت وما حولها، واختار لولاية إفريقية أصلح رجل فى دولته وأكثرهم تجربة وهو أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى، وقد عارض أبو محمد فى قبول هذا العرض أولا، لأنه ظن أن المراد إبعاده عن مسرح الحوادث، وربما كان هذا هو ما رمى إليه الناصر، ثم قبل بشرط أن تطلق يده فى الولاية إطلاقا كاملا، فلا يتدخل فى شئونه أحد، وأن يختار من جيوش الدولة قوة كافية تؤيده، وأن يكون تعيينه لمدة ثلاث سنوات فقط، فقبل الناصر هذه الشروط.

وقد أثبت أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص كفايته من أول الأمر، فعندما حاول يحيى بن إسحاق الميورقى ابن غانية انتهاز فرصة عودة الخليفة إلى المغرب لتجديد غاراته أوقع به أبو محمد هزيمة قاصمة عند تبسّه فى إقليم الزاب فى ٣٠ ربيع الأول ٦٠٤هـ/ سبتمبر ١٢٠٧م وتعتبر هذه الواقعة النهاية الحقيقية لنشاط بنى غانية فى إفريقية، وتعتبر كذلك بداية لنجاح أبى محمد عبد الواحد فى عمله وتثبيت أقدامه فى الولاية الجديدة.

واتجه بنو غانية وحلفاؤهم من العرب الهلالية، وخاصة من رياح وزغبة وعوف ودباب ونعان والزواودة نحو المغرب الأوسط وهاجموا تلمسان، فسارع أبو محمد وأنزل بهم هزيمة قاصمة أخرى فى جبل نفوسة، وقد انجلت هذه المعركة عن وقوع معظم أموال بنى غانية وازوادهم ومخزون أسلحتهم فى أيدى الموحدين، وكان هذا هو السبب الرئيسى فى ضياع أمرهم بعد ذلك، لأنهم افتقروا إلى المال والسلاح، وفى هذه الموقعة أيضا قتل عدد كبير من رؤساء العرب الهلالية مما هبط بعد ذلك بقدرتهم على الشغب والغارات والسلب والنهب.

وظل أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص يحكم إفريقية فى كفاية وحزم حتى وفاته سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢٠م فخلفه ابنه أبو محمد عبد الله بن أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص حاكما

لإفريقية تحت إشراف أمير موحدى هو أبو العلا إدريس بن أبى يوسف يعقوب المنصور، ولكن السلطة كلها كانت فى أيدى أبى محمد الحفصى.

وفى ربيع الثانى ٦٢٣هـ/١٢١٥م أصبح أبو محمد والى إفريقية رسميا، وبعد ذلك بعشر سنوات أصدر الخليفة الموحدى أبو العلا المأمون أمرا بتعيين أبى محمد حاكما لإفريقية، فسار إليها مع أخويه أبى زكريا يحيى وأبى عبد الله اللحيانى، فدخلوها فى ذى القعدة ٦٣٣هـ/ يوليو١٢١٦م وقام أبو محمد بتوزيع ولايات إفريقية على أهل بيته، ومن ذلك الحين بدأ استقرار بنى حفص فى حكومة إفريقية نهائيا، ويمكننا اعتبار هذه السنة بداية للدولة الحفصية فى تونس.

وقد حاول يحيى ابن غانية بعد ذلك الإغارة على إفريقية، فلم يتيسر له الوصول إلى شىء، وتحول هو ومن معه من شذاذ البدو إلى لصوص يغيرون على البلاد ثم يفرون إلى الصحراء، وكانوا يغتصبون أحيانا فى تلمسان وأحيانا أخرى فى سجلماسة.

وفى سنة ٦٣١هـ أو ٦٣٣هـ/١٢٣٤م أو ١٢٣٦م توفى يحيى بن إسحاق ابن غانية فى مدينة مليانه على نهر شلف فى الجزائر بعد أن أرسل بناته إلى أبى زكريا يحيى الحفصى وأوصاه بتعهدهما، وقد بر بهن أبو زكريا الحفصى وأسكنهن فى بيت خاص، وعرض عليهن أن يزوجهن فرفضن وبقين عانسات حتى الموت، وتلك كانت نهاية هذا البيت من ثوار المرابطين الذين قضوا حياتهم فى معارك طاحنة مع الموحدين لم يدفع إليها إلا الحقد والرغبة فى الانتقام.

وقد أضعفت هذه الحركة قوات الموحدين بما امتصت من دمائهم نحو نصف قرن كامل دون أن تعود على بنى غانية بطائل، وهنا نجد مثلا ـ من مئات ـ على ما فعل المسلمون بعضهم ببعض بدافع الحقد وقصر النظر بينما العدو الأكبر - نصارى إسبانيا - يهددون المسلمين جميعا بالفناء.

أما بقايا جند بنى غانية فكان معظمهم قبائل مرابطية مثل مسوفة وجدالة وتارجا وكانت تارجا

من صغار قبائل المرابطين الصنهاجيين الصحراويين، ولكن منازلها كانت فى قلب الصحراء ولهذا كانت ملجأ قنون بنى غانية الأخير ونسبت بقاياهم وفلولهم التى تأبدت فى القفر بعد ذلك الحين إلى هذه القبيلة التى عرب اسمها إلى طارقه والنسبة إليها طارقى والجمع طوارق، وهذا هو أصل الطوارق أصحاب اللثام الأزرق وأدلاء الصحراء وسادتها إلى اليوم، إنما هم بقية المرابطين، هذه العصبة المجيدة من حماة الإسلام.

موقعة العقاب وانهيار الجبهة الإسلامية فى الأندلس:

اشتغل الخليفة الموحدى الرابع أبو محمد عبد الله الناصر بأمور إفريقية منذ بدء ولايته سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م ولم تعد الجيوش الموحدية الكبيرة تعبر إلى الأندلس، فتشجع الفونسو الثانى ملك قشتاله، وأخذ يعبر من جديد على أطراف الأندلس الإسلامى وقد أخذ فى ذلك بعد انتهاء هدنة كان قد عقدها مع المنصور الموحدى، وكانت نهاية الهدنة سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م وأراد الناصر أن يقوم بغزوة تضاهى غزوة أبيه المنصور فقرر العبور إلى الأندلس والإيقاع بقوات النصارى، فجمع حشودا هائلة وعبر إلى الأندلس فى نهاية ٦٠٧هـ/ يونيو ١٢١١م واستقر فى إشبيلية، وهناك تواترت الجموع تتوافد عليه حتى كان جيشه يعاود جيش أبيه الذى كسب موقعة الأرك ولكن بينما كان أبوه ذكيا حليما عرف كيف يستفيد من القوات التى كانت معه على خير وجه عجز هذا الشاب عن ذلك، فكانت النتيجة أن نفر منه الأندلسيون، وخاصة بعد أن قتل أكبر قوادهم أبا محمد ابن قادس قبيل المعركة قتله غدرا وظلما نتيجة لوشاية وصلت إليه.

وكان الفونسو الثامن ملك قشتاله قد عقد العزم على الأخذ بثأر هزيمته فى الأرك، فعقد هدنة مع ملكى ناقار وأرغون، واستنجد بالبابوية، وشيئا فشيئا توحدت الجبهة المسيحية الإسبانية وأتت امداد كثيرة من بقية أوروبا، أى إن الناصر الموحدى كان يواجه فى الواقع حملة صليبية كبرى.

وكانت خطة القتال التى رسمها الناصر لنفسه سليمة، فقد أسرع بالاستيلاء على خانق دسبنيا بيروس، وهو الباب المؤدى من قشتاله إلى مجرى الوادى الكبير، ويسميه العرب مطرد الكلب، فإذا تم له الاستيلاء على ذلك الممر حال دون النصارى ودخول الأندلس بقوات وتمكن من القضاء على من يدخل منهم.

وقد بدأت الحملة بداية طيبة، فتحرك الناصر بجيش جرار فى أوائل ٦٠٨ هـ/ أواخر يوليو ١٢١١م ودخل جيان وحصنها، ثم تركها ودخل مضيق مطرد الكلب، وعسكر فى السهل الواقع أمام مخرج المضيق، وهو سهل ملىء بالتلال الصخرية القليلة الارتفاع وتسمى العقاب جمع عقبة، وهى فى الإسبانية Navas جمع Nava وهى التل أو العقبة، ولما كان ذلك الموقع قريبًا من قرية صغيرة تسمى تولوسا، فإن معركة العقاب تسمى فى الإسبانية Los Novas de Toledo، وتمكن الناصر من الاستيلاء على حصن شلبطره Salvatierra القريب من أبذه Ubeda ، وكان معقل فرسان الداوية، ثم عاد الناصر إلى إشبيلية ليستكمل استعداده.

وفى محرم ٦٠٩ هـ/ يونيو ١٢١٢ م سار الناصر بجحافله نحو مطرد الكلب، وفى نفس الوقت اتجهت قوات النصارى كلها نحو موقع، ولم يسبق أن اجتمعت للنصرانية مثل هذه القوات لحرب المسلمين فكان فيها ملوك قشتالة وليون ونافار وأرغون ومعظم كبار فرسان إسبانيا النصرانية وقوات ألمانية وفرنسية وبرتغالية، وتمكنت تلك القوات من الاستيلاء على قلعة رباح التى كان يحميها القائد الأندلسى أبو الحجاج يوسف بن قادس ومن معه، فنفر منه الأندلسيون وقرروا أن يغدروا به فى المعركة.

وبالفعل غدروا به فى المعركة الفاصلة الهائلة التى وقعت يوم الاثنين ١٥ صفر ٦٠٩ هـ/ ١٦ يوليو ١٢١٢م، وكانت المعركة قد بدأت بمحاولة نصرانية لزحزحة القوات المتطوعة المعسكرة فى الجانب الغربى من الميدان، فحاولوا النفاذ من الناحية الشرقية التى كان يعسكر فيها الأندلسيون

والعرب، فهرب الأندلسيون وتبعهم العرب، واخترقت القوات النصرانية صفوف الجيش الموحدى فاضطرب نظامه ووصلت بعض الفرق إلى فسطاط الناصر نفسه، وبدأت مذبحة كبرى انتهت بتبديد ذلك الجيش الموحدى الضخم وتبدد كذلك الأمل فى تمكن المسلمين الثبات فى الأندلس.

وقد هلك فى هذه المعركة ألوف من خيرة محاربى المسلمين وعشرات الألوف من البربر، ولهذا تعتبر هذه الهزيمة النهاية الحقيقية لقوة المسلمين فى الأندلس، فكانت هزيمة ايذانًا بالنهاية، فقد تشجع ملوك النصارى ومضوا يستولون على الحصون الإسلامية دون مقاومة تقريبًا، ولكن بدء التصفية المحزنة كان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م عندما قام أبو العلا إدريس بن المنصور عامل إشبيلية، بالمناداة بنفسه خليفة للموحدين منافسًا لأبى زكريا يحيى بن الناصر الذى كان قد تلقب بالمأمون وجمع هذا المأمون كل من استطاع من القوات الإسلامية فى الأندلس، وترك البلاد عارية دون حماية وعبر إلى مراكش ليطلب الخلافة، فأخذت كبار العواصم الأندلسية تسقط، وانهار خط الوادى الكبير.

وفيما بين سنتى ٦٣٣هـ و ٦٤١هـ/ ١٢٣٦م و ١٢٤٣م سقطت فى يد النصارى قرطبة وإشبيلية وجيان ومرسية وبلنسية والجزائر الشرقية (البليار) كانت تصفية محزنة ومخجلة بالنسبة لرؤساء الأندلس الإسلامى، ويكفى أن نذكر أن قرطبة عاصمة الأندلس الإسلامى الزاهرة سقطت فى شوال ٦٣٣ هـ/ يونيو ١٢٣٦م فى يد فرناندو.

والحقيقة أن ذلك القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى يصور لنا الخلاف الشديد فى الزمن والمصير بين الشرق والغرب، فبينما كان ذلك القرن ـ كما رأينا – فترة ضعف وتدهور بالنسبة للأندلس، وهى قطعة هامة من الغرب الأوروبى كان يملكها المسلمون كان عصر نهوض لأوروبا كلها ففى هذا القرن الثالث عشر عصر نهوض عام، فقد كان يحكم إسبانيا الفونسو الثامن المنتصر الكبير فى موقعة العقاب وخلفه الملك اتريكى الأول وكان قصير العمر فى الحكم، ثم خلفه فرناندو الثالث وهم من عظماء ملوك إسبانيا، وكان يحكم فرنسا ملك عظيم هو لويس الملقب بالتقى وهو من عظماء ملوك فرنسا.

وقد كان فرناندو الثالث ملك إسبانيا رجلاً عالمًا عاقلاً نشيطًا فاضلاً متحمسًا للمسيحية حتى سمي بسان لويس القديس.

وفي هذا العصر ايضًا ظهر في إيطاليا سان توماس دى أكينو وظهر في إيطاليا دانتى اللجرنيو المفكر العالمى المشهور، وكان الملك فرناندو الثالث ملك إسبانيا شديد الحماس للمسيحية حتى سمى بالقديس فرناندو المقاتل San Fernando el Batallodor وفي أيامه تم اتحاد مملكة اشتووركاس بمملكة قشتالة وليون، ولم ينفصل البلدان بعد ذلك أبداً.

وفرناندو المقاتل هذا هو الذى أتم تصفية الأندلس الإسلامى، واستولى على إشبيلية وقرطبة وبلنسية وجيان، وفى نفس الوقت نهضت أرغون وملكها فرناندو الثالث وهو الذى تزوج إيزابيلا ملكة قشتالة وتحولت إسبانيا المتحدة إلى دولة من أكبر دول أوروبا، وهى التى قامت بنصيب الأسد فى فتح أمريكا الجنوبية وجنوب أمريكا الشمالية، أى إن الهبوط والتدهور فى الأندلس الإسلامى كان يقابله نهوض وعظمة فى الغرب الأوروبى.

ولا نزاع فى أن دولة الموحدين تعتبر من عظيمات الدول فى تاريخ الإسلام، لقد بلغت بتاريخ المغرب ذروته خلال العصور الوسطى، وتمكنت من تحقيق وحدته، وحكمته بالفعل لفترة طويلة من طرابلس إلى المحيط، ومن ساحل البحر المتوسط إلى مشارق افريقية المدارية، هذا بالإضافة إلى ملكهم فى الأندلس.

وفى هذه المساحة الشاسعة بلغت الحضارة المغربية الأندلسية أوجًا جديداً، فبلغت العمارة الإسلامية فى المغرب أرفع درجة وصلت إليها، وعلى الرغم من نشوء الموحدين وجهدهم فى كل العلوم التى لا تتصل مباشرة بالدين يعتبر عصرهم العصر الذهبى للفلاسفة الإسلامية فى المغرب والأندلس؛ فهو عصر ابن طفيل وابن رشد وهما من أعاظم الفلاسفة فى تاريخ الفكر الإنسانى، وفى ذلك العصر أيضاً ظهر محيى الدين بن عربى أعظم الصوفية والفلاسفة المسلمين.

جواز أمير المسلمين إلى الاندلس:

وفى هذه السنة (٤٦٨ هـ/ ١٠٩٣م أخذ أمير المسلمين فى الحركة من حضرته مراكش برسم الجواز إلى الأندلس... المرسوم بالأنوار الجليلة، فلما جاز... ثم صدر إلى غرناطة وعقد عليها للقائد على بن الحاج وجمع أعلام المرابطين والرؤساء الأندلسيين فى حال البيعة لابنه على، ووجه محمد بن هود المستعين بالله ابنه عبد الملك المدعو عماد الدولة من روطة إلى قرطبة بهدية جليلة (وانظر تفاصيل الهدية فى أعمال الأعلام، وفى الحلية ٢/ ٢٤٨) منها ١٤ ربعًا من آنية الفضية مطرزة باسم المقتدر ابن هود، فأمر يوسف بن تاشفين بضربها قراريط، وفرقها ليلة عيد النحر فى طبقات المرابطين.

وفى ذلك الوقت عقد البيعة لولده على بن يوسف، وحضر الفهد عبد الملك ابن المستعين بن هود وكتبه أبو بكر بن القصيرة (ويقول ابن الخطيب فى أعمال الأعلام إن الذى كتب هذا العهد الوزير الفقيه أبو محمد بن عبد الغفور).

وفى هذه السنة توفى ملك شنترية من ثغر الأندلس الملقب بذى الرياستين حسام الدولة، وكانت رياستهم فى هذا القطر سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م أولهم مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن ازحن (فى الحلة السيراء ابن خلف بن لب بن رزين) ثار فيها ودام ملكه فيها إلى أن مات، ثم قام فيها أخوه عبد الملك إلى أن مات [ثم ولى ابنه هذيل] ثم ثار بعده ابنه ذو الرياستين هذا حسام الدولة وتمادى بها ملكه بها إلى أن مات فى هذه السنة وولى بعد ابنه (لم يذكر الاسم ولكن ابن الابار سماه يحيى وقال: وعليه انقرض ملكهم) مدة يسيرة وصار أمره فيها إلى الأمير يوسف.

وفى سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م شرع يوسف بن تاشفين فى الحركة إلى حضرة مراكش من

بلاد الأندلس لما كمل أمر البيعة لابنه عليّ وضبط أحوالها وتقديم عمال للنظر فى اشغال التحرك، صار إلى العدوة، وأوعز إلى أبى الحسن على بن الحاج عامله على غرناطة فى النهوض إلى شرق الأندلس واستحثه فى السير فلحق به كتابه وهو على مقربة من الجزيرة الخضراء بامتثال أمره، ووصل على بن الحاج إلى بلنسية فى صفر... الأمير يوسف فى... رمضان، فوصله الخبر عن منازلة اذفونش بن فرذلند مدينة سالم، فتوجه بجملة وافرة من الخيل والرجال، فلما احتل بقلعة أيوب استمد القائد الأعلى أبا محمد عبد الله بن فاطمة فبادر إليه... تفاوض واستقر الرأى على عزو بلاد العدو، فلحقا مدينة طليطلة من... سرقسطة المحلة واتصل الحل والترحال، فوافوا مدينة طلبيرة فخرج منها... والحرب تدور على الدوام، وبأخرة أحلت الأمير على بن الحاج فيه طرف المعترك ميتًا بدرعه وسلاحه... ولا ضربة... إلى تطيلة فدفن فى قبلى جامعها وانصرف... قاهراً ومالاً وفيراً فاقتفى أثر أبيه وسلك سبيله فى عضد الحق وإنصاف المظلوم... الظالم وأمن الخائف وسد الثغور ونكاية العدو، فلم يرم السداد فى أعماله والتوفيق فى حسن أفعاله وكان أخص الناس به أبو محمد عبد الله بن أسباط، فجعله المترجم عن بيانه، وأقامه فى الأوصية مقام لسانه وناط به الآمال، وأوطأ عقبته جماهير الرجال.

وفى سنة ٤٩٨ هـ/ ١١٠٥م شاع الخبر بالأندلس بمرض الأمير يوسف واستيلاء الآلام عليه... واتصلت الأخبار بالطاغية اذفونش على غير صورتها، وصور عنده أن بلاد المسلمين خلت من الرجال وقد خلت من الحماة وذوى النجدة قد تفرغت، وظن أن حال المسلمين قد اضطربت، فخرج الأعداء فى زهاء ٣٥٠٠، فتوغلوا فى نظر إشبيلية حتى وصلوا إلى موضع يعرف بمقاطع، فغنم من تلك القرى الغنائم الموفورة والأسلاب الكثيرة، وخرج أبو محمد سير من إشبيلية وتحصن فى حصن هناك، وتلاحقت به أجناده وأمداده، وبقى هناك مرتقبًا لورود أبى عبد الله محمد بن الحاج بعسكر غرناطة إلى أن استوفت العساكر فهرب جميع الكفرة وولوا أمامهم فارين منهزمين،

وبلغ المسلمون الشفاء من القتل فيهم، وكاد السيف يستأصلهم ويفنيهم، وصح بعد هذا الفتح الجليل أن الذى قتل منهم ١٥٠٠.

وفى هذه السنة تناهى القحط فى بلاد الأندلس والعدوة حتى ايقن الناس بالهلاك.

وفى هذه السنة (٤٩٩هـ/ ١١٠٥م - ١١٠٦م تزيدت بالأمير يوسف علته التى قبض منها.

وفيها صدر الأمير تميم عائداً من شرق الأندلس ووصل مراكش بسبب ذلك.

وفيها عزل موسى بن أبى الحاج عن غرناطة ووليها أبو بكر بن إبراهيم اللمتونى.

وفيها قرئ بإشبيلية كتاب نفذ من ولى العهد بتأخير القاضى ابن منظور.

وفى هذه السنة خرجت ٧٠ قطعة من البحر الغربى وقصدت بيت المقدس، فلما توسطت البحر هبت عليها ريح فرقتها وأغرقتها فلم يرجع شىء منها، وكفى الله المسلمين شرها.

وفيها ظهر نجم ابن منظور الضوء طويل الذؤابة كأنها طيرة المجرة تمادى نحو ثلاثة أشهر.

وفى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م استأثر الله بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، رحمه الله، وذلك يوم الاثنين مستهل شهر المحرم من السنة (وفى الحلل الموشية ص ٦٧: وقد مات فى شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٠هـ/ أكتوبر ١١٠٦م.

بعض اخبار يوسف بن تاشفين علي الجملة:

كان خائفًا لربه كتومًا لسره كثير الدعاء والاستخارة مقبلاً على الصلاة، يأكل من عمل يده... أكثر عقابه كان الاعتقال الطويل إلا من انتزى وشق العصا «فالسيف أحسم لانتشار الداء».

ديناره تبر، فى إحدى صفحتيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وتحت ذلك: «أمير المسلمين يوسف بن تاشفين» وفى الدايرة ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه**﴾ [آل عمران: ٨٥] وفى الناحية الأخرى اسم أمير المؤمنين العباسى، عنوان كتبه: من أمير المسلمين وناصر الدين

إلى فلان، وكان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف الأمور إليهم ويأخذ برأيهم، ويقضى على نفسه بفتياهم، وولى بالاقتصار فى ملبسه، وما زال إلى أن لقى الله مجافى الأمور، ملقناً للصواب فيها، مستصحباً حال الجد مؤدياً إلى الرعية حقها من الذب عنها والغلظة على عدوها، وإفاضة العدل والأمــن فيــها، ويـرى صـور الأمـور على حقيقتها وكان معظماً مهوباً لا يخلد إلى راتبه ولا يسكن إلى دعة.

نسبه: هو يوسف بن تاشفين بن ترجوت بن ورتانطق بن منصور بن مصالة بن أمينة بن وانمالى الصنهاجى.

وقد ذكر الهمذانى فى كتاب الإكليل أن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وايل بن حمير، واجتمعت الروايات على أن صنهاجة من حمير.

وقبض وهو على أوله فى الحزم والعزم لنصر الدين، وإظهار الكلمة وحضر الإسلام.

وقد امتدحه الشعراء فى كل حركاته، فأجزل لهم العطاء، ورثاه جمله منهم أبو بكر بن سوار (قصيدة ابن سوار: البيان ٤/ ٤٧).

ملك الملوك، ومــا تركت لعــامل
عمــلا من التقـوى يشـارك فيــه

وفى آخرها يقول:

ومــضى قـد استـرعى رعـيتــه ابنه
فـأقـام فيــهم حق مسـترعيــه
فـــإذا على كــان وارث ملـكه
فـالســهم ملقى فى يدى باريه

دولـــة الأميـــر على بـــن يوســـف :

وصى قبل موته لابنه على، فاضطلع أبرع اطلاع، وقام أحمد مقام، وألبسه الله المهابة، وقذف له فى القلوب المحبة فاجتمعت عليه الأمة، واجتمعت قبائل المرابطين والمصموديين وغيرهم من زعماء القبائل ورؤسائهم فنعياه إليهم، وجدد أبو الطاهر بيعة أخيه وأخذ الحاضرين بذلك فاستتب الأمر، وبادر الأمير أبو الطاهر إلى مكناسة بالجيش، والأمير يحيى بن أبى بكر بفاس، والأمير مزولى بتلمسان وكان الأمير سير بن أبى بكر فى طاعة إشبيلية ولحق الأمير أبو بكر بن إبراهيم بغرناطة فى ربيع الأول من السنة، وقصده زعماء الأقطار مهنئة، وامتدحته الشعراء فوهبهم الهبات.

وكان خروجه من غرناطة فى رجب العام المذكور.

حركة أمير المسلمين على بن يوسف من مراكش إلى الأندلس :

وتحرك أمير المسلمين على بن يوسف من حضرة مراكش مع جيوش المرابطين والمصموديين والحشود والجنود يوم الجواز إلى بلاد الأندلس لتفقد أهلها وسد خللها، وأغذ السير إلى أن وصل إلى مدينة سبتة وجاز البحر منها إلى الجزيرة الخضراء، فبادر إليه قضاة الأندلس وفقهاؤها وزعماؤها ورؤساؤها وأدباؤها وشعراؤها، وامتدحته الشعراء فاجزل لهم العطاء، وقضى لمن كان ذا أرب أربه وسنى لكل ذى مطلب مطلبه، فولى أخاه أبا الطاهر تميماً غرناطة وولى أبا عبد الله محمد بن أبى بكر اللمتونى قرطبة، وبقى محمد بن الحاج تحت الخمول(1) إلى أن ولاه بعد ذلك مدينة فاس، ثم نقله إلى بلنسية ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م.

---

(١) وصحح ابن الأبار فى معجم أخبار الصدفى أن محمد بن الحاج كان واليا على قرطبة، فلما ولى على بن يوسف الإمارة بعد وفاة أبيه، رام ابن الحاج القيام عليه، ودفع إمرته، ومالأه الملأ من أهل قرطبة ومشيختها =

وقال ابن الصيرفي: وجرت (ص ١٣٣) هذا العام أحداث، ذكر في كتاب تقصي الأنباء في سياسة الأمراء: وفي هذا العام انبرى أبو العلاء بن زهر إلى مطالبة القاضي ابن منظور بإشبيلية، وخبر ذلك أن ابن زهر اعتل، فذكر ذلك للقاضي فقال: وطبيب ماهر يمرض! فنقل ذلك إلى الوزير أبي العلاء ابن زهر فحرك منه وقال:

إن ابن منظور تعجب هازلا
لما مرضت فقال: يعثر من مشى
قد كان جالينوس يمرض دائمًا
فمن الفقيه المرتضى أكل الرشا

فأنفذ أمير المسلمين عليّ كتاب عزلته.

وجاز إلى الأندلس فانتظمت أمورها وعمت البيعة قاصيها ودانيها ثم عاد إلى سبته فمراكش.

وفي سنة ٥٠١هـ/١١١٠م ورد الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بغرناطة واليا عليها فاطمأنت النفوس، وواصل علي بن يوسف نشاطه وظهر جمال دولته، ونظر الأمير أبو الطاهر في أسباب الغزو وأحسن إلى الجند وخرج آخر شعبان المكرم ٥٠١هـ/ مارس ١١٠٨م فلما احتل الجيش مدينة جيان تلوم الأمير الطاهر بها أياما حتى وفدت عليه الجيوش والعساكر من قرطبة وغيرها وتوجه إلى حصن أقليش Ucles فحاصره طويلا حتى استولى عليه وامتنع أهله في قصبته والحروب حوله.

وفي خلال ذلك وصل إليه أذفونش ولد شانجة .. من زوج المأمون ابن ذي النون التي كانت تنصرت بنحو ٧٠٠٠ فارس فكانت بينه وبين المسلمين حروب يطول ذكرها كانت الدائرة فيها على الروم مات فيها شانجه بن أذفونش، ورجع الأمير أبو الطاهر إلى غرناطة.

= وفقهائها سنة ٥٠٠هـ، فقبض عليه ونكب وفسد تدبيره، ثم رضي عنه علي بن يوسف، وولاه مدينة فاس وأعمالها.

قال ابن الصيرفى : فكان ذلك دليل اليُمْنِ والبركة بولاية على بن يوسف وقد وقعت الواقعة فى شوال.

بعض اخبار الاذفونش ملك قشتالة :

قال الراوية : هلك طاغية الروم الأعظم أذفونش بن فرذلند بطليطلة فى شهر ذى الحجة ٥٠٢هـ/ يوليو ١١٠٠م وكان ملكه نيفا على ٥٠ سنة بأشهر، وهو أذفونش بن فرذلند بن غرسية ابن شانجه بركة Sancho Abarca وهو جد سانشوبلو.

وكان لغرسية بن سانشو بركة ٣ أولاد: غرسية وفرذلند وردمير.

قال أبو بكر بن عبد الرحمن، كان غرسية أشجع إخوته وقتله أخوه فرذلند فى حرب كانت بينهما، وترك ولدين قام أحدهما بالملك وهو شانجة، وخرج الآخر إلى بلاد الإسلام وهو الفنت الذى أحرق جامع البيرة وقتل بروطة، ويقولون فى اسم الفنت الهنت ومعناه عندهم ابن الملك El Conde كما عند الفرس سابور.

وهلك غرسية بن شانجة بركة وقد قسم البلاد بين بنيه، فلما قتله المقتدر بالله بن هود فى الحرب التى كانت بينهما، قام بالملك بعده شانجة وحده، فلما مات ترك ابنين : بطره وأذفونش المصروع على افراغة.

ولما أشرف فردلند على الهلكة أيضا قسم بلاده بين أولاده: شانجة وأذفونش وغرسية، فخص شانجة بملك برغوش Burgos وقشتاله وما حولها من المدن وخص أذفونش بليون وما حولها من المدن، وخص غرسية بغليسيا وبرتغال، ففسد ما بين شانجة وأذفونش، وكانت بينهما حرب أتت على أكبر رجالها، ثم ظفر شانجة بأخيه أذفونش وحبسه مصفدا عنده فى قشتالة مدة ثم حل اعتقاله

ونفاه عن بلاده فلحق بالمأمون بن ذى النون بطليطلة، وبقى عنده مدة كانت سببا لتطلعه على أحوالها حتى استولى بعد ذلك عليها، وقد تقدم ذكره فيه.

وكانت لشانجة وأذفونش أخت يقال لها أراكة Urraca تميل إلى أخيها أذفونش، فداخلت بعض رجال أخيها شانجة على قتله، وخرج شانجة بتصيد فى لمة من خيله، وفى جملته الداخل فى قتله، وتسابقت تلك الخيل الجرى، فأجرى ذلك الفارس وبيده رمح معدة، فلما قرب من شانجة طعنه فقتله، ومر على غلوائه إلى حصن سمورة، وبه أراكة أختهما فاعتصم بها ... الدعوة بالأذفونش وانفذ فيه فلحق فى الحال وانفرد بالملك، فلما استوسق أمره قتل قاتل أخيه، وقال بلغته : عمل جيد وعادة سوء.

ويذكر أن أذفونش بن فرذلند زنى بأخته أراكة، فجمع بين النصرانية والمجوسية، ثم طلب إلى أحبار دينه الغفرة مما واقعه، فحملوه على قصد الكنائس الفاضلة والتعبد.

ثم فسد ما بين أذفونش وغرسية فكانت بينهما حرب أسر فيها أذفونش أخاه غرسية، فحبسه، وانفرد فى مملكته إلى أن توفى فى هذه السنة المؤرخة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م).

وفى سنة ٥٠٣هـ/١١٠٦م تحرك أمير المسلمين على بن يوسف من مراكش إلى الأندلس برسم الغزو والجهاد وفتح مدينة طلبيرة.

تلخيـــص التعريـــف بتاريـــخ مـــن ملـــك سرقسطـــة وبعض اخبار الشرقية من بنى هود إلى هذه السنة :

كان استيلاء المستعين سليمان بن هود الجذامى على طاعة منذر بن يحيى وتغلبه على شرق الأندلس فى ذى الحجة من سنة ٤٣٦هـ/ يونيو١٠٤٥م وكان هذا المستعين صاحب مدينة لاردة وبلغسى Balaguer واجتمع هذا الثغر كلها بسرقسطة وتطيلة وقلعة أيوب ودروقه ووشقه وبربشترو

ولاردة وبلسغى ومدينة سالم ووادى الحجارة إلى أن توفى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م فولى ابنه المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود فى سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م المذكورة وتوفى سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١ المذكورة، وكانت مدة ولايته ٣٦ سنة، وولى ابنه المؤتمن سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م وتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م وكانت مدته أربعة أعوام، وولى بعده المستعين بن هود المقتول فى ملحمة يوم الاثنين مستهل رجب سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م المؤرخة وولى أحمد بن المستعين بالله بن هود الجذامى فى غرة رجب من ذى القعدة ودخلها، وأخرجه أهل سرقسطة كما تقدم ذكره، فى يوم السبت ١٠ ذى قعدة ودخلها عامل على بن يوسف.

وفى سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م استقر محمد بن الحاج بسرقسطة وابن ردمير يساجله الحرب والظهور عليه، وعبد الملك بن المستعين معه فى جيوش تعضل بها الأرض فنزل على نحو فرسخ من المدينة ومحمد بن الحاج يناوشه الحرب صباحا ومساء إلى أن لحق أبو عبد الله بن عائشة الوالى على مرسية من قِبَل أمير المسلمين على بن يوسف بعسكرية مرسية، والطاغية ابن ردمير صادر إلى بلاده والعساكر المسلمة فى أثره، ولم تزل بعد ذلك الحرب متصلة والمضارب مترددة وغزوات محمد ابن الحاج متوالية إلى أن توجه على بن كنفاط اللمتونى بعسكر من المرابطين فى جهة قلعة أيوب، فنازل حصنا من حصون ابن المستعين وضيق عليه وأخذ بمخنقه، فلما نال منهم الضغطة استصرخ أهله بابن المستعين صاحبهم، فوجه إليه مددا من الروم شفى أمره حتى دخل الحصن، وخرج منه ليلا على المحلة، والناس على طمأنينة فتغلب العدو على المحلة وأسر أميرهم ابن كنفاط، وصدر المدد الرومى به إلى روطة فبقى فى اعتقال ابن المستعين مدة ثم خلى سبيله فكانت مهادنة ثم كانت حرب.

وفى سنة ٥٠٥هـ/١١١١م ولى أمير المسلمين على بن يوسف الأمير مزدلى على مدينة قرطبة وغرناطة والمريه وما انتظم معها من الحصون والقرى.

وفى شهر صفر منها قام المنصور بن سير بن مسلمة المشهور بابن الأفطس من أرض النصارى إلى مدينة إشبيلية فصمم منها إلى أمير المسلمين فكانت له منزلة لطيفة ومكانة رفيعة.

وفيها خرج عماد الدولة من مدينة روضة برسم محاربة سرقسطة فخرج إليه واليها محمد بن الحاج منها بعسكره فحاربه ثم بعد عنه.

وفى سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م غززا الأمير مزدلى بعساكره ومن انضاف إليه وغزا قاعدة وادى الحجارة بأرض الروم واكتسح ما حولها عليها ثم صدر إلى قرطبة بغنائمه.

وفيها أغزى بالأمير مزدلى عند أمير المسلمين، فاقتضى نظره إيفاد مشيخته من المرابطين لثقاف... ما إلى نظر مزدلى من بلاد الأندلس، وكان لعلى ابن... حثيث المسعى والقدح المعلى واتصل النبأ به فبادر إلى أمير المسلمين، ولما اجتمع به جلا عن نفسه فارتفع الظن وحصحص الحق... إلى طاعته على أكرم حال وأتم آمال.

وفى سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م توفى الأمير سير بن أبى بكر الوالى على مدينة إشبيلية بتقديم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى شهر رجب ٤٨٤هـ/ أغسطس١٠٩١م وكانت وفاته فى شهر جمادى الأولى فى هذه السنة فى موضع يعرف بأغرقات على مقربة من إشبيلية خرج زافا لنفسه فاطمة إلى أمير المسلمين على بن يوسف ومشيعا لزوجه حواء بنت تاشفين، وكان هذا أخا تاشفين يوسف بن تاشفين لأمه وابن عمه، لأنه لما مات تاشفين والد يوسف دخل مكانه أخوه على، فخرجت حواء وأختها من إشبيلية فلم يعهد مثل هذا اليوم نعمة ولهواه كثرة، خرج فيه الجم الغفير إلى مضارب المحلة بعين الحلو، فلما جن الليل نزل بالأمير سير بن أبى بكر بن تاشفين مغص تزيد عليه حتى قضى، رحمه الله، عند انصداع الفجر، فشهد جنازته بشر عظيم.

وكانت هذه الحرة حواء أديبة شاعرة جليلة ماهرة، ذكر أبو عبد الله محمد بن سعيد الخزرجى

في كتابه، قال : حدثني عن شيخه محمد بن عبد الله بن زرقون، وكان شيخه مالك بن وهيب، قال: أمرت الحرة حواء اللمتونية بمراكش بمجلس الكتبة والشعراء كانت تحاضرهم فيه، وكانت ذات مباهة وخطر، فاجتمع يوميا في ذلك المجلس جماعة منهم ابن القصيرة وابن المرضى، وهذا لقب له لأنه يقال له فتور على فصاحته، وحضر غيرهما، فلما غص المجلس أقبلت الحرة تريدهم وهم يتحادثون ويأخذون في الشعر، وكان ابن المرضى قد قال نصف بيت وهو :

* أنــا لــلبـــــــــــــدر أخ *

ولم يجزه أحد منهم، إذ أقبلت الحرة فسلمت عليهم، وبادر ابن المرضى وقال لها : حياك الله يا قمري ويا زهري، فقالت : وصفتني والله بآفل وذابل ففرح بفطنتها، فقالت له : فيم كنتم؟ فقال لها : قد قلنا صدر بيت ولم يقدر أحد على عجزه، فقالت : أنشدنيه، فقال:

* أنــا لــلبـــــــــــــدر أخ *

فقالت على البديهة:

* عـــلـــى ذا ســــنـــخ *

فتعجب الحاضرون من براعتها.

وفي هذه السنة خرج الأمير مزدلي من حضرة مراكش إلى الأندلس، وولاه علي بن يوسف مدينة قرطبة وغرناطة، فأجاز البحر للأندلس إلى إشبيلية فاستهدى... الأمير زيري بن أبي بكر اللمتوني فأمده بعسكر ضخم من المرابطين والحشم وغيرهم، وانضم إليهم عسكر قرطبة وغرناطة ولمة من العدوة ولفيف من المطوعة خيلا ورجلا، فعظم الجيش، وأم الأمير مزدلي أرض طليطلة ودوخها واكتسح به أوديتها وأبلغ في نكايتها، وصدر إلى قرطبة ظافرا ظاهرا على عدوه.

وفى هذه السنة خرج لروم الأرض الكبيرة نحو ٥٠٠ قطعة تحمل ١٠٠٠٠٠ مقاتل فيهم ١٥٠٠ فارس و٥٠٠٠٠ من الرماة، فأرسل الله عليهم ريحا صرصرا عاتية أغرقتهم فلم تبق منهم باقية، وأتت مع ذلك مراكب الحجاج وجملة مشحونة بالأطعمة.

وفى هذه السنة (٥٠٥هـ/١١١١م) صُرف القاضى أبو مروان الناجى عن قضاء إشبيلية وقدم أبو عبد الله بن داود، ثم نقل إلى فارس، وولى القصاء أبو مروان الباجى، ثم صرف وولى أبو محمد عبد الله بن سمحون، فنقل إلى غرناطة وولى بعده أبو القاسم بن ورد، ثم صرف وولى بعده الفقيه الخطيب المقرئ أبو الحسن شريح بن شريح، ثم صرف، وولى الفقيه أبو بكر بن العربى، وكانت ولاية ابن العربى المتأخر منهم سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م.

قال ابن حماد: وكان يوسف بن تاشفين أمر القاضى محمد بن عيسى ببنيان جامع سبتة، وزاد فيه حتى أشرف على البحر، وكان بنيانه سنة ٤٩٨هـ/١٠٩٨م، وقبل بناء الجامع بأعوام ببناء سور الميناء السفلى بسبتة على يد القاضى إبراهيم بن أحمد.

وقام يوسف بن تاشفين فى هذه السنة رجل يعرف بابن الزنو بحارى وأدعى أنه ابن مضفر الزناتى الذى كان صاحب فاس ببلاد غمارة، فتوجه إليه يوسف، وقتل خلقا من أصحابه، ثم أعطى غمارة مالا فغدروه وأتوا إليه برأسه، وقام عليه أيضا ماخوخ الزناتى بناحية تلمسان واختط بلدا لنفسه فخرج إليه يوسف ففر أمامه وخرج عن بلاده.

حـــــرق كتـــــاب الإحيــــــاء

وما قال ابو حامد حين بلغه ذلك :

قال ابن القطان فى نظم الجمان... أمر على بن يوسف بإجماع قاضى قرطبة ابن حمدين وفقهائها على حرق كتاب الإحياء فأحرق على الباب الغربى من رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه

زيتا بمحضـــر جمـــاعة من أعيان الناس، ووجه إلى جميع بلاده بأمر إحراقه، وتوالى الإحراق على ما اشترى منه ببلاد الغرب فى ذلك الوقت.

وكان المتلقب بالمهدى فى بلاد المشرق يومئذ، فذكر ابن القطان فى السفر الثالث عشر من كتـاب «نظم الجمـان» ورحل المهـدى من بلاد أقصى المغـرب إلى الأندلس فى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م- ١١٠٧م فدخل قرطبة ثم وصل إلى المرية، فدخل فى مركب إلى الشرق فغاب فيه إلى أن وصل مراكش سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م.

وذكر ابن القطان أيضا عن عبد الله بن عبد الرحمن العراقى شيخ مسن من سكان فاس من أثبت فى مدرسة أبى حامد، فجاء رجل كث اللحية على رأسه كرزية صوف ودخل للمدرسة، وحياها بالركعتين(١) ، ثم دخل إلى الشيخ أبى حامد، فسلم عليه فقال: ممن الرجل؟ فقال: من أهل المغرب الأقصى، فقال له: دخلت قرطبة؟ قال: نعم، قال: فما فعل فقهاؤها قال: فى خير، فقال: هل انتهى إليهم كتاب الإحياء؟ قال: نعم، قال: فماذا قالوا فيه؟ فلزم الرجل الصمت حياء منه، فعزم عليه ليقولن ما طرأ فأخبره بإحراقه وبالقصة كما جرت، قال: فتغير وجه الشيخ أبى حامد ومد يده إلى الدعاء والطلبة يؤمنون فقال: لهم مزق ملكهم كما مزقوه وأذهب دولتهم كما أحرقوه، فقام المهدى وقال: أيها الإمام ادع الله تعالى أن يكون ذلك على يدى فتغافل عنه أبو حامد، فلما كان بعد وقت إذا بشيخ آخر على شكل الأول، فقال له أبو حامد، فأخبره بالخبر المتقدم فتغير ودعا بمثل دعائه الأول، فقال له المهدى: على يدى، فقال له على يديك، فقبل الله دعاءه.

(١) انظر ص ١٤ من كتاب نظم الجمان وما بعدها، وقصة حرق كتاب الإحياء وردت فى الحلل الموشية (لابن الخطيب) ص ٨٥. وهناك رسالة صادرة من تاشفين بن على بن الحاج والفقيه القاضى أبى محمد بن حجاج تاريخها ٥٣٨هـ/ وقد جاء فيها: ومتى عثرتم على كتاب بدعة وخاصة كتاب أبى حامد الغزالى فليتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها (مقال: نصوص سياسية بمجلة المعهد ١١٣/٣) ولكن وفاة ابن حمدين كانت سنة ٥٠٨، فإذا صح ذلك فلا بد أن يكون الأمر بالحرق قد صدر أولا أيام على بن يوسف.

وفى سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م توفى الأمير مزدلى الوالى على قرطبة فى شوال غازيا فى حصن سطاسه صرف به إلى قرطبة فوصل به يوم الأربعاء ثانى يوم وفاته، وصلى عليه إثر صلاة العصر الفقيه القاضى أبو القاسم بن حمدين.

نسبة: هو مزدلى بن بولنكان بن حسن بن محمد بن تورجوت.

قال ابن الصيرفى لم أزل أطلب نسب لمتونه حتى لم أجد منه إلا أن الجد الذى تفرعت منه ملوكهم وأفخاذهم ترجوت.

وفى هذه السنة توفى الكاتب الجليل أبو بكر بن القصيرة الذى اشتملت عليه الدول الثلاث العبادية المعتمدية والدولة اليوسفية وهذه الدولة العلوية بعد خطوب أصارته طريدا وقطعت من دريدا (انظر هذه العبارة فى ترجمة ابن القصيرة فى قلائد العقيان ١٠٤).

وفى هذه السنة اتصل الخبر بأمير المسلمين على بن يوسف وهو بحضرته مراكش بموت الأمير مزدلى فسد خللا من مصابه، ودفع رزء فقده بابنيه، فولى الأمير عبد الله بن مزدلى من مراكش وورد غرناطة آخر ذى القعدة، وتحرك الأمير محمد فاحتل أيضا بقرطبة فاستقر بها وضبط أمورها وأحوالها.

وفى سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م ضرب العدو على نظر قرطبة فخرج إليه محمد بن مزدلى بعسكره، وبادر فى الاستعجال لأثره ولحق بالعدو ونشبت الحرب وصبر المسلمون، فاستشهد محمد ابن مزدلى والأمير بن الحاج[1] والأمير أبو إسحاق بن دانيته والأمير أبو بكر واسينو ومات من الأمراء نحو الثمانين من وجوه المرابطين وجملة كبيرة من الحشم وأهل الأندلس، وذلك يوم الخميس مستهل صفر بن السنة المؤرخة (٥٠٩هـ/ ١١١٥م) فكان مصابا عظيما وخطبا جسيما.

---

(١) ذكر ابن الأبار (المعجم ١٣٤) أن محمد بن الحاج استشهد بالموضع المعروف بالبورت سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، فابن الأبار يعرفنا باسم الواقعة التى هلك فيها الكثير من المرابطين ولكنه يجمعها بجهة برشلونة.

واتصل الخبر بأمير المسلمين على (بن يوسف بن تاشفين) فولى قرطبة الأمير أبا بكر يحيى بن تاشفين، وهو ابن عمه شقيق أبيه لأمه، فنفذ إليها وقدم عليها، ولأيام من وصوله اكتسح العدد الأول صاحب الجولة على قرطبة فلحقه بجهة بياسة، ولحق الصريخ بالأمير عبد الله بن مزدلى صاحب غرناطة فبادر فى أثره، وتتابع الجيش مغذا فلحق به على مقربة، فكانت للروم أيضا واستشهد خلق من المسلمين وذلك يوم الأربعاء ٢٨ جمادى الآخرة من هذه السنة.

وفى هذه السنة توفى محمد بن الحاج صاحب سرقسطة شهيدا، واتصل الخبر بأمير المسلمين فأنفذ ولاية سرقسطة للأمير أبى بكر بن يحيى(١) فكان مقيما بها، فتولى الأمر فيه وأخذ بالعزم والحزم وثقف أمور المملكة ونظر فى مصالح الرعية.

وفى هذه السنة عوض عبد الله بن فاطمة عن ولاية فاس بولاية مدينة إشبيلية فاستقر بها أول السنة المؤرخة.

وفى سنة ٥١٠هـ/١١١٦م تحرك الأمير أبو بكر صاحب سرقسطة إلى الغزو فقصد حصن روطة فأحرق وبالغ فى النكاية، ثم تحرك إلى برجة وبها عماد الدولة بن المستعين بن هود فضيق عليها وبالغ فى نكايتها وحاصرها حتى صالحه أهلها ورجع عنها إلى مدينة سرقسطة.

وفى هذه السنة أمر صاحب المهدية على بن يحيى بن تميم بإعداد الأساطيل وعمارتها إلى جزيرة جرجة، فصاروا فى جمادى الأولى وحاصروها وأخذوا بمخنق أهلها إلى أن أقروا بالطاعة له وسلموا لأمره ونزلوا على حكمه، فانصرف الأسطول عنها وصلح أمر البحر فى هذه السنة.

حدثنا أبو الصلت قال: حدثنى الإمام أبو محمد عبد العزيز ابن الإمام، أحد خواص الإمام أبى

---

(١) هو المشهور بابن يتفلويت تزوج من أخت على بن يوسف، وولاه غرناطة أولا ثم سرقسطة، ولابن خفاجة فيه مدائح وكان وزيره، الحكم ابن باجة فى سرقسطة، وكان مثلا فى الجود والشجاعة، استسلم فى سرقسطة إلى ترف الملك وانهمك فى اللذات وتوفى سنة ٥١٠هـ/ ١١٠٦م (الاحاطة ١/٤١٢- ٤١٧).

القاسم محمد بن عباد قال: كنت فى عسكر الأمير أبى القاسم عندما توجه مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب الأقصى إلى لقاء أذفونش بن فرذلند ملك جليقية أول غزوة غزاها المرابطون بالأندلس، وكان الناس ينزلون بنزوله تقريبا ورعيا لمكانه من السن وعظم القدر ووفور العدد وجودة الرأى، قال: فسمعنا طبوله تضرب، وقيل: أمير المسلمين يتقدم إلى العدو فأمر الأمير أبو القاسم منجمه بتحقيق طالع الوقت والنظر فيه، فوجده أوفق طالع وأسعد نقيبة وأدلها على الظفر للمسلمين، والدايرة للمشركين حسب ما جرى الأمر عليه، قال: فتعجب من ذلك ومن قوة سعادة يوسف، وهذا من المصنوع لهم المعتنى بأمرهم، وكان للمرابطين النصر وخدمهم السعد.

وكتب أمير المسلمين على بن يوسف من مراكش فى هذه السنة إلى محمد بن يوسف كتابا يحض فيه على إقامة الحق والعدل، وهو يأمره فيه بتوطىء كنفه للمسلمين، ومن فرق فى أمر الرعية أو بدل حكما أو أخذ لنفسه درهما ظلما فاعزله عن عمله وعاقبه فى بدنه وألزمه برد ما أخذه بغيا حتى لا يقدم أحد منهم على مثل فعله، والزم طاعة الله فهو ولى تسديدك.

وفى سنة ٥١١هـ/١١١٧م تحرك أمير المسلمين على بن يوسف من حضرته مراكش إلى بلاد الأندلس فأجاز البحر فى أواخر محرم ويمم إشبيلية ريثما استتب أمر الغزو ولحقت العساكر العدوية وتأهبت العساكر الأندلسية ولحقت من قرطبة لمة من العلماء والفقهاء ولفيف من المجاهدين الزعماء، واستوفت مطوعة غرناطة ومرتبوها، ثم تحرك أمير المسلمين بجميع العساكر من إشبيلية ومشى عبد الله بن فاطمة لغزو قلمورية(١).

وأنفذ أمير المسلمين علىّ بولاية أبى الوليد بن رشد خطة القضاء بقرطبة، ومدح الشعراء أمير المسلمين، فمن ذلك لأبى العباس التطيلى، فى لجدانية Lusitania:

(١) فى الغالب قلموية وهى Coimbra وهى تعنى حينئذ مملكة البرتغال، ويقول صاحب الحلل الموشية إن على بن يوسف فتحها ولكن يفهم من المصادر الإسبانية أنه لم يستطع فتحها (تطوان ١٩٥٨هـ / ١٦٩٤).

اركـب إذا دارت رحــــاها وانـزل[1]

وقم إذا صـم صــــداها وافـــــعل

وفى هذه السنة ورد كتاب على بن يوسف بولاية موسى بن حماد قضاء غرناطة.

وفيها قدم بإشبيلية لخطة القضاء أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعينى عن اصفاق من أهل بلده.

وفيها ولى محمد بن سعيد قضاء المرية.

وفيها فسد ما بين الزهرى وابن زهر من الصداقة والصهر، وروى كل واحد منهما صاحبه بقاصمة الظهر، وبادر ابن زهر بمخاطبة على بن يوسف، فبادر إليه الزهير إثر ذلك بنفسه، فتكلم فى ابن زهر ملء فيه، فأمر الزهرى بسكنى مراكش، ثم ورد ابن زهر بعد ذلك إليها وقد أظلم له السير وصعب عليه اللين فتلقى من أمره ما أصدره، ولم يسمح له بالوصول، وكان قبل فى غاية الجاه والعزة والتمكين من الدولة، يولى من قبله حاكم يحكم من حاشيته، وصاحب المدينة من توليته وشهد البلد بحكمه، وأمر المستخلص، وأملاك السلطان جارية على نهيه وأمره بمدينة إشبيلية، والزهرى فى كل ذلك تلوه ومقتد به فما راعوا حق الحرية ولا أدوا شكر النعمة[2].

ولاية ابى حفص عمر بن يوسف بن تاشفين:

وفى هذه السنة حرض أمير المسلمين على بن يوسف الأمير أبا زكريا يحيى بن علىّ على إشبيلية وقدم أخاه أبا حفص واليا عليها، ولما وصل الأمير أبو حفص إلى إشبيلية برز إليه أهلها

(١) من تعليقات د. إحسان عباس هنا: وردت هذه الأرجوزة (لا القصيدة) فى ديوان الأعمى التطيلى: ١٤٧.

(٢) فى تعليقات د. إحسان عباس: أشار ابن عبد الملك إلى ما حدث لابن زهر عبد الملك أيام على بن يوسف إشارة مقتضبة فقال: وأدركته مطالبه عند أبى الحسن على بن يوسف بن تاشفين كانت سبب اعتقاله بسجن مراكش مدة. (الذيل ٥/١٦).

وخرج الأمير أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر، وكان أبوه أبو العلاء مستوطنا فاس بالأمر، فلما رآه أصغره وقصر به، وترجل صاحب المدينة خالصة ابن زهر فأخذ بيده مسلما عليه، فلما أعلم بها أمر عليه، فألقيت عمامته في عنقه وجر إلى السجن، فتقلقلت نفوس الحاشية واستشعروا الشر، وجلس الأمير أبو حفص عشيه ذلك اليوم في رحبة القصر فاستحضر من حاشية ابن زهر رجلين متلبسين بأمره فأمر بضرب عنقيهما وطريف برمحه على أسواق المدينة، وذهب أدب ابن نهية العتاب، وأقبل أدب الحجاج، فتشقف البلد وتمهد وسكن الإرجاف، وفر المريب وجاء البرىء، وأقيل الأمير أبو حفص على تتبع هذه الحاشية وجعل غرضه الانتقام والتشديد لهم.

وفى هده السة نفذ عزم أمير المسلمين إلى... محمد بن ميمون قائد الأسطول بتعمير جملته وغزو بلاد الروم بها، فعمر خمسة وعشرين... فيها، وامتنعت جملة من أهلها بقصيتها وهى وعرة المرتقى بارزة الذرى، فتعلقت.. وأشرفوا على استفتاحها فحماها الليل... دونها، وصدر المسلمون إلى الأسطول وعدها... وخمسون رأسا من السبى وكثير... وانصرف عنها القائد إلى المرية.

وقال أبو بكر ونهض على بن يوسف إلى مدينة إشبيلية... فى الاقبال وثبت ابن رواده ريثما يلحق بقرطبة، فلما تمهدت مدينة قرطبة واستتب أمره أخذ فى الصدر عنها فلقى أبا الطاهر بمدينة طريف مقبلا وصادرا ولحق أبو الطاهر غرناطة فى رمضان المعظم(١).

وفى هذه السنة ولى مرسية أبو زكريا ابن غانية اللمتونى.

---

(١) كان الأمير أبو يحيى رواده (رواد فى الحلل) قد ولى قرطبة، فحدث بينه وبين أهلها ما أوجب قيامهم عليه، وكانت فتنة اضطرت على بن يوسف بمخاطبتهم أولا بالتقريع والتهديد، فلما لم يؤثر فيهم التهديد نهض إليهم سة ٥١٥هـ/ ١١٢١م وهذا هو جوازه الرابع وطال مقامه على قرطبة وتردد عليه أعيانها بسألونه الصلح، فوقع الاتفاق على أن يؤدوا إليه مالا عوضا عما نهب من المرابطين (الحلل ٧٠- ٧١ وابن القطان ٣٢. وفى طريف التقى الأخوان على وتميم.

وفيها ولى قضاء المرية أبو الحسن بن أضحى.

وفيها نهض يناله إلى شرق الأندلس فلم يزل به إلى جمادى الأولى من العام المقبل.

وفى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م أغزى عبد الله محمد بن ميمون قائد الأسطول على بن يوسف من عمل رجار صاحب صقلية ففتحها وسبى نساءها وأطفالها فيها... وكان على بن يحيى صاحب المهدية كتب كتابا إلى رجار عندما وقع بينهما وحشة يضمن تهديك فيه بإدخال الملثمين والعرب إلى صقلية، فلما كان من غزو أبى عبد الله ما كان لم يشك رجار صاحب صقلية أن السبب الباعث على ذلك والمحرك له صاحب المهدية فاستنفر أهل بلاد الروم قاطبة وأكثر الاستنصار واستجاش وحشد كأنما فى ذلك كله لأمره، فمنع السفر إلى سواحل المسلمين، والتأم له ما لم يحدث مثله(١) .

وفى سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م صرف الأمير تميم عن ولاية إشبيلية، ووليها أبو بكر على بن يوسف.

وفيها حاصر صاحب أسطول صاحب صقلية مدينة المهدية ونزل عليها فى جمادى الأولى فى نحو ٣٠٠ مركب حمل على ظهورها ثلاثين ألف راكب وزهاء ألف فارس فأرسل الله عليهم ريحا صيرت جميعهم إلى الانتشار وأصلتهم مع برد الشتاء حر النار، فلما عاينوا ما نزل بهم أنزلوا عن ظهور مراكبهم ما كان الدائرة عليهم، لا لهم، وأقلع جميع الأسطول خاسرين إلى بلادهم، وبعد ذلك لم تجلب صقلية على المهدية بخيل إلى أن استولى بعد ذلك وأخرج الروم منها الموحدين، كما سنرى.

(١) يحدثنا ابن الأثير أن على بن يحيى صاحب المهدية كتب إلى أمير المسلمين على بن يوسف ليجتمعا على قصد صقلية، ولكن عليا توفى سنة ٥١٦هـ/ ١٠٢٢م ففتح نقوطره بساحل قلورية Calabria وهذا أدى رجار إلى جمع أسطول كثيف قيل هنا إن فيه ٣٠٠ قطعة وجهها لغزو صاحب إفريقية سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م (انظر المكتبة الصقلية ٢٨٢- ٢٨٣) .

وفي سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م تسمى محمد محمد بن تومرت السوسى بالمهدى، وكان لما اشتهر صيته في قبائل الجبال ووصلوا إليه رحل معهم إلى جبل أيجليز لهرغة، فلما صار في منعة الجبل وحماية عشيرته خاطب القبائل ومد يده للبيعة، وذلك سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م.

قال اليسع بن عيسى الغافقي: ولما صعد الأمير بالجبل أمر بتحصين موضعه وذلك أنه ما كان له طريق واحد، وهذا الطريق لا يمشى فيه إلا راكب بعد راكب من كثرة توعره، وأخذ يعرض أصحابه على قتال المجسمين والبرابر المفسدين والفقهاء المكارين.

قال ابن القطان، ولما التقى جبل أيجليز أقام فيه ثلاثة أعوام من ٥١٥هـ إلى سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٢ و ١١٢٨م.

وفي سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٩م أمر المهدى بتمييز الموحدين ونودى في جبل المصامدة من هرغة وجنفيسة من كان مطيعا لله ولرسوله وللمهدى وكانوا يعرضون إلى أبي محمد البشير فيخرج قوما عن يمينه وقوما عن يساره فكل من يخرجه عن يمينه يزعم أنه من أهل الجنة وكل من أخرجه على يساره يزعم أنه من أهل النار، ولا يخرج على اليسار إلا من كان شاكا في أن الإمام هو المهدى المعلوم.. وكان ممن خرج على اليسار آلافا، ذكر ذلك ابن القطان وغيره، وأخبرني أبو على صالح قال: لما قتل محمد بن تومرت هزميرة يتنمل قال الفقيه الإفريقي أحد عشيرته: كيف تقتل أقواما بايعوك ودخلوا في طاعتك وتقسم أموالهم؟ فأمر به فقتل وصلب لأنه كان شك في عصمته.

وكان قتله لهزميرة تينملل سنة ثماني عشرة هـ/ ١١٢٨م، جمع المهدى عليهم أهل تلك الجبال فقام بهم وقتل منهم فيما ذكروا خمسة عشر ألفا فلما استأصلهم وسبى أموالهم بنى حصن تينملل.

فلما ملك المهدى تلك الجبال وما حولها ضاق الأمر على عليّ بن يوسف، فبعث إليها عسكرا فهزم.

وفى هذه السنة[1] خاطب أهل نظر غرناطة من جبل دور والبشارات لابن رذمير وتوالت عليه كتبهم وتوالت رسلهم ملحة عليه فى الاستدعاء مطمعة له بدخول غرناطة ووجهوا له زماما يشتمل على اثنى عشر ألفا من مقاتلتهم، وأعلموه أن هؤلاء من شهدت أعينهم لقرب مواضعهم وبالبعد من يخفى أمره ويظهر عند ورودك شخصة، وهذه الجملة كافية وعورات البلاد بادية، وعندنا نظر ورتب نخرج لك منها بالمسانيد فاستزاد طمعه وابتعث جشعه واستفزوه بأوصاف غرناطة وما لها من الفطل على سائر البلاد بشخصيتها وكثرة عيونها وأنهارها ومنعة قصبتها وانطباع رعيتها، وأنها المباركة التى يملك منها غيرها وهى المسماة سنام الأندلس عند الملوك فى تواريخها وأشخصوا بكتابهم وزمامهم كهولا منهم تكلموا بين يديه ملء أفواههم، ورموا على ذلك الغرض، حتى عزم وجد فى الحشد وانتخب من محتشده ٥٠٠٠ فارس و ١٥٠٠ راجل.

وتحرك بهم أول شعبان وقد أخفى مذهبه وكتم أربه إلى أن وصل بلنسية فى يوم الثلاثاء الموفى عشرين من رمضان، فضرب محلته، ومشى فى أهبة فمر عليها وزاحمها، ثم رحل عنها من موضع إلى موضع إلى أن وصل مدينة وادى آش Guadix، فاضطرب محلته فى موضع يعرف بالقصر Al-cazar إلى الجنوبى الشرقى من غرناطة، من باديتها على فرسخ منها، وذلك لعشر بقين من شوال وظهر ما كان مكتوما فى نفوسهم، وافتضح سرهم فى اجتلابهم، وبدأ الأمير أبو الطاهر بجمعهم وثقافهم فأعياه ذلك لكثرتهم وبعد أقطارهم وأقبلوا يتسللون إلى ابن رذمير على كل طريق ومن كل فج عميق، فكثرت رجاله وضخمت جملته، وضايق مدينة وادى آش بالحرب من جهة القبلة، فجد فى حربها من الغد وتوالت عليهم السهم، وأقام بمضطرب محلته نحو النهر وأهل وادى آش فى حصار صعب.

ولما اتصل الأمر بأمير المسلمين نبأ ابن رذمير أنفذ أمره إلى أقطار العدوة بإرسال الجيوش إلى

(١) قارن بما جاء فى الحلل الموشية ٧٥- ٨٠ والإحاطة ١/١١٤.

الأندلس فأجازت البحر وجدت في السير حتى أحدقت بأغرناطة، وأقبلت عسكرية مرسية وبلنسية، وتحرك ابن رذمير من وادى آش وأخذ على عند قرية دجمة Diezma يوم النحر، فصلى الناس بالمصلى صلاة الخوف وهم في الأسلحة، وتحرك الأمير أبو الطاهر من غرناطة للقاء العدو، فمشى ساقة أميال ثم صدر إلى المدينة، وظهرت أخبية العدو في غد صدوره إليها على فرسخين منها، وانقطعت السابلة والواردة وقلت المرافق وتزاحم الناس في المدينة، وسكنت المساجد والمصاطب وزاد الخراب وكثر الجزع وتوالت الأمطار وسالت الطرق، وضاقت النفوس أشد ضيق.

وأقام ابن ردمير بمضطرب محلته بضع عشرة ليلة، لم تسرح له سارحة ولا شنت غزوة، ولا انفصل بعض جيشه عن بعض، والمعاهدة بختلب إليه الأقوات والعلوقات، وخيل المسلمين تراوحه وتغاديه دون ماوشة وفي خلال ذلك سفر إلى رأس من رؤوس المعاهدة رجل يعرف بابن الفلاس، وأقبلت الجيوش من كل جهة.

وقال ابن رذمير لأحد رجاله: قد أوبقتنا وأوقعتنا في الهلكة إلى المسلمين، وتحرك ابن رذمير إلى الجبل الذى بجوفي قبرة فبدأت للمسلمين جملة محلته، وكانت قبل ذلك خافية عليهم، وأقام ابن رذمير بجبل قبرة أياما، ثم تحرك منه وعساكر المسلمين تتبعه إلى حصن ارنيسول Arnazwl، واشتدت الحرب بين المسلمين والنصارى، فلما طلعت الشمس أمر الأمير تميم من وهذة كان فيها إلى ربوة عالية ، فاحتل الأمر وانتكثت تعبئة الجيوش، وأخذ الناس في الفرار وجعلوا أوجههم إلى الساقة، فلم تستفر حال ابن رذمير إلا بعد هدأة من الليل، ثم أخذ إلى جهة الساحل، وأخذ المدد في الإجازة إلى العدوة، ثم أغزى الأمير أبو الطاهر بن يوسف بن تاشفين أرض طليطلة في جيشه وجيش قرطبة فغنمهما، وصدر منها غالبا ظافرا إلى غرناطة.

ذكـــــر التعتـيـب بالأندلـــس
وبنـاء الأسـوار فى هـذه السنة :

وقع الاتفاق على التعتيب بالأندلس من قاضى القطر أبى القاسم بن ورد، ومن صاحب المستخلص أبى على بن هدبة وقدم لقبض المعتب رجل من بنى نجية لم يكن من الحزمة ولا من الخدمة فمزق المال كل ممزق، وعاث فيه كل ممخرق، وذم يناله كل البنائين وشدد على الناس فى جمع المال فكانت الآلات متمكنة والموردة متصلة وتهيب يناله فكان الناس يخافونه لشدته وكمل السور فى أقرب وقت، وكان حاطب ليل، وبعض البنائين غثاء سيل، لا وفوا التأسيس ولا قوموا الترصيف فأهلك جملة لا تحصى، وكثر الدعاء على بانيه ومموليه.

وتولى النظر فى أسوار المرية رجل منهم يعرف بابن العجمى من أصحاب ابن ميمون، فأخذ بالحزم واستكثر بالسياسة والعزم، ولم ينفق شيئا من المال إلا فى موضعه، ولا استعان إلا بمن جد فى نصحه، ورأى الناس ذلك فتساهلوا فى الأداء، وتواصلوا حمل تلك الأعباء، فكمل السور على واجبه من التحصين والتحسين، بيسير من المؤنة دون ضرب ولا سجن، وتولى أهل قرطبة رم أسوارها على سالف عادتهم، فعزم أهل كل مسجد على إقامة ما يليهم، وكذلك أهل إشبيلية، بوسط الحال دون إسراف ولا إجحاف.

وفى ليلة أحد ١١ ذى الحجة توفى بقرطبة الفقيه القاضى محمد بن أحمد بن رشد، وله «شرح المستخرجة» تأليف لم يسبق أحد من العلماء إلى مثله ينيف على المائة جزء، هكذا ذكر صاحب كتاب «الأنوار الجلية فى محاسن الدولة المرابطية» وله مقدمات فى الفقه فسر فيها مذهب مالك بأبلغ حجة وأوضح معنى، إلى غير ذلك من التواليف، وصلى عليه ابنه، ودفن بمقبرة بنى العباسى.

وفى سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م- ١١٢٧م قال ابن حماد: قام رجل فى ريف سبتة فى كركال وادعى أنه الحصر، فقبض عليه فى العشر الأواخر من جمادى الآخرة ووصل إلى سبتة يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الآخرة ، فحمل منها إلى حضرة مراكش فقتل وصلب.

وفى هذه السنة تواترات أخبار المدى بمراكش، وطاعت له الجبال كلها، فأكمل البشير الونشريسى المير فى العام الفارط أمره المهدى بالتقدم على الباقين فغزا بهم فى هذه السنة كيك ووصل إلى أغمات وحوز مراكش، ورجع إلى الجبل، فأخذ الأمير على بن يوسف وبنى المراصد بقرب مراكش ويسد الفرق التى ينزل منها أتباع المهدى إلى الأوطبة.

وذكروا أنه فى هذه السنة كان وصول ابن رشد إلى مراكش ووفاته بقرطبة.

وفى هذه السنة نهض ينالة اللمتونى الوالى على أغرناطة إلى شرقى الأندلس فلم يزل به إلى أن عزل عن أغرناطة فى جمادى الأولى سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٧م فكانت ولايته سنة وتسعة أشهر. وكان أبو عمر ينالة استدعى فقهاء وعلماء من أهل جيان، فلما حضروه أمر بسجنهم ظلما واعتداء، ثم نهض للغزو إلى الشرق، فلم يزل فى تلك الوجهة وهم فى العقلة إلى أن عزل بالأمير أبى حفص بن عمر ابن أمير المسلمين علىّ بن يوسف فلما وصل إلى غرناطة بادر بإخراجهم وإصدارهم إلى بلدهم على غاية الميرة، وفرج الله بعزله عن الأندلس الغمة وانفرجت الضيقة بالأندلس.

وفى سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٦م قال ابن القطان، وجمع الإمام المهدى فى هذه السنة نحو ٤٠٠٠٠ من الرجالة ونحو ٤٠٠ فارس فنزلوا على مراكش وخرج إليهم لمتونة فى أكثر من عددهم مع أميرهم علىّ بن يوسف، فهزموه وطال حصار مراكش نحو ٤٠ يوما يلتقون فيه ويتقاتلون، وخرج علىّ بن يوسف أيضا بعساكره، وانهزم ومات من عسكره خلق كثير بالزحام عند

باب دكالة إلى وادى أم ربيع، فلما رجعوا بعد ذلك إلى المدينة أمر على بن يوسف بحلق لحاهم، ومثل بهم.

ولما مكث أصحاب المهدى بحشودهم فى البحيرة المدة المذكورة وصلت الحشود والعساكر من كل مكان إلى علىّ بن يوسف، فخرج بهم إلى مراكش فهزموا أيضا، فمات فى تلك الوقيعة نحو ١٢٠٠٠، وتوجه عبد المؤمن مع خمسين رجلا إلى ينتملل ووجد المهدى، فقال لهم «بقى الأمر»(١) إن عبد المؤمن رجع حيا من المعركة.

وفى سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٧م ولى أمير المسلمين ولده عمر فى مدينة غرناطة واحتلها فى شهر جمادى الأولى، وكان فى جملته رجل فى زى التلثيم نشأ بمدينة طنجة وتأدب بإشبيلية يعرف بموسى بن مفروح وكان له خط بارع وأدب صالح ونفوذ فى الحساب، وكانت له نفس ذكية وهمة عالية ألقى إليه الأمير أبو حفص جميع الأعمال وأوطأه عقب الرجال فاستبد بالأمر واستقل... فدس إليه رجلا يهوديا ينتحل الطب، سقاه يوم أربعاء ودفن يوم جمعة.

ولحق الأمير أبو بكر والى إشبيلية بغرناطة متوجها إلى شرق الأندلس، فسار إليه الأمير أبو حفص أخوه، فدخلوا المدينة فى أجمل هيئة وأتقن زينة والتقى بأبى بكر فى المصلى فتلوم أياما ثم تحرك إلى وجهته، فقصد حصنا كان الروم قد تملكوه غدرا، فنصب عليه الحرب ودخله عنوة، وامتلأت أيدى المسلمين بكثير من الأسلحة والآلات والزى والمتاع، وثقف الأمير أبو بكر الحصن بالرجال والرماة وصدر فبرز له بغرناطة أحفل تبريز ثم أغز السيد إلى أشبيلية.

وقد نفذ كتاب أمير المسلمين إلى ولده صاحب أغرناطة بوصوله إليه، وأقام وأجدى ابن سير

(١) انظر تفصيل وقعة البحيرة فى البيذق ٨٧- ٨١ ويعنى المهدى بقوله: بقى الأمر، يقول راوى الخبر: فأسرعت حتى وصلت المعصوم (أى المهدى» فأعلمته فقال لى: عبد المؤمن فى الحياة؟ قلت له نعم، قال لى الحمد لله رب العالمين، بقى أمركم.

مع أخيه عمر وعلى إشبيلية وعبد الرحمن بن أبى بكر والى قرطبة، وصدر أبو عمر يناله عن الشرق إلى غرناطة، ثم توجه إلى الجزيرة وجاوز البحر، فلما وصل إلى حضرة أمير المسلمين على بن يوسف أشار بذكره إليه معاهدة غرناطة، فأمر بمحضره معهم فى مجلس نظره، فأدلوا بحجج فى ظلمه فسجنه لهم حتى أنصفهم من ظلامتهم، ثم بعد ذلك، أصابه طاعون كان سبب حتفه.

وكان هذا يناله إذا عاقب الجانى اعتدى عليه، وإذ أوتى بالبرىء لم يسمع منه، وكان له كاتب يهودى الأعراق والأخلاق يبغض الناس ويبغضونه أشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به، فبدأ بشؤمه أميره ينالة، فجر إليه العزل وأودعه السجن وأداه إلى الهلكة، وغدا شؤمه عليه، فأستوصل ماله ونهب داره وطلب ليوقع به ففر وهلك بعد ذلك، وكان أشقر أزرق دميم الخلق فى وجهه خال.

وفى رمضان من هذه السنة صرف الأمير أبو حفص عمر ابن أمير المسلمين علىّ بن يوسف عهد غرناطة، وكانت ولايته بها أربعة أشهر ووليها عبد الله بن أبى بكر اللمتونى، وكان فى شرق الأندلس بجيش العدوة فلما وصلته الولاية أورد كتابا على أبى يحيى بن روادة يستنيبه فى الأمور المختلفة فتولى ذلك.

وفى هذه السنة استمرت عزمة على بن يوسف الاقتداء بأبيه فى إشارتهم من يقوم بالأمر بعده، فاستدعى من نواب القبائل من وثق بدينه ونظره وفاوضهم فى مذهبه، فكل شيخ ورد على تهممه وأشار بالأمير أبى محمد سير ابنه فأمر كتبته بإنشاء البيعة له، فنزع كل سهمه إلى غرض طيعه وعمه، فلما وقف عليه أعرض عنه، وأمر بنقل البيعة المتعهدة فى قرطبة باسمه فأسلم نفسه ما التزم وقلده ما تقلده وأنفذ الكتب إلى عماله وقضاته بالأندلس حتى أخذ البيعة فى كل بلدة، فانعقدت فى كل قاعدة بيعة يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الأولى... أمير أبى حفص، ثم دنا بهما واستدعى الزعماء والأعيان من جميع جهات غرناطة، فلما اجتمعوا فيها أنفذ إلى أمير المسلمين بها، وتساجل فى هذا الشأن أهل البلاد، هكذا ذكر الصيرفى فى كتابه.

قال الوراق فى المقياس: لما عزم على بن يوسف على أن يخلع عهده إلى ابنه على ابنه سير الذى من أمته قمر وجه إلى عقد ذلك... أهل العقد والحل الفقهاء والقضاة وجمع لذلك بنى عمه الأمير تماما أميره وأخاه إبراهيم صغيرة المشتهر باسم ابن تاغيشت وهى أمة سوداء، فسلم الأمر لابنه سير وشهد الشهود عليه بذلك الشهود، وكملت البدعة له، وأرسل بذلك إلى سائر الأقطار والأنظار، فاستقرت البيعة للمذكور، والتزم قبولها، واستقل بالأمر، ونظر فى سائر ما تدعوه الضرورة من أمور الجيوش والأحكام والولايات والعزل ورد المظالم، وقعد للناس قعودا فخما، وكان تام الخلقة حسن الخلق كامل الأدوات من الفروسية وغيرها جميل الحليفة، ولم يكن له ولد لأنه كان عقيما، ولم تطل مدته فهلك فى حجر أبيه وتكلم الناس فى سبب موته بأحاديث شفيقة.

ولاية تاشفين بن على بن يوسف الاندلس ونبذ من اخباره :

لما ولى عليّ بن يوسف ابنه سير ولاية عهده، وجعل له الأمر من بعده رأى أن يولى ابنه تاشفين الأندلس فولاه إمارة غرناطة والمرية إلى أن عزل عن قرطبة ابن عمه عبد الله بن جنونة (جنون) فولاه ولاية قرطبة مضافة إلى ما بيده لما حسن بنايه وذلك بعد سنتين من ولايته فدخل قرطبة سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م- ١١٣٠م.

واستقر بها ونظر فى مصالح أمورها، وكان بطلا شجاعا حسن الركية والهيئة لولا بخل أخل به ، وكان يسلك طريق ناموس الشريعة، ويميل إلى طريقة المستقيمين وقراءة كتب المريدين وقيل إنه لم يشرب قط مسكرا ولا استمع إلى قينة، ولا انشغل بلذة صيد إلى غير ذلك مما يلهو به الملوك من سائر اللهو، وظهرت له بارقة فى النصر على النصارى الضارين ببلاد الأندلس فإنه كان يؤثر فيهم، ويهزمهم فى أكثر الأوقات، فأحبه أهل قرطبة خواصها وعوامها، فبعد صيته وعلا ذكره وساس أهل الأندلس سياسة طار بها ذكره من الاستقامة واتباع لأمور الشريعة[1].

(١) انظر وصف تاشفين فى الإحاطة ١/٤٥٤.

ولما بعد صيت تاشفين[1] في أمر الغزو والجهاد، وشاع ذكره في سائر البلاد، كبر ذلك على أخيه ولي عهد أبيه، وفاوض أباه في ذلك، وقال له: إن الأمر الذى أهلتنى له لا يحسن لى مع تاشفين، فإنه قد حمل الذكر والثناء دوني، وغطى على اسمى وأمال إليه جميع المملكة، فليس لى اسم معه ولا ذكر، فحينئذ عزله أبوه عن الأندلس وأمره بالوصول إلى حضرته، فوصل تاشفين إلى مراكش، وصار في جملة من يتصرف بين يدى أخيه سير، فكان يحضر مجلسه في جملة كبار لمتونة، ويقف على بابه، ولم تطل المدة إلى أن جرى من أمر سير ما جرى، ومات في سنة ٥٢٣هـ/١٨٢٩م، هكذا ذكره الوراق.

وكانت ولايته بالأندلس سنة ٥٢٣هـ/ ١٠٢٩م قال أبو بكر الأنصارى: ولى غرناطة الأمير تاشفين، فوافاها في السابع والعشرين لذى الحجة ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م فقوى الحصون وسد الثغور وأذكى العيون على العدو، وآثر الجند، ولم يكبر إلا الجد، ولم تنل عنده جارية إلا بالغناء والنجدة، ولهذا حمل على الخل وقلد الأسلحة، وأوسع الأرزاق واستكثر من الرماة، وأركبهم وأقام هممهم، وعنى بالغزو ومباشـرة الحـرب، فهزم الجيوش وفتح الحصون، وتهيبه العدو، ولم ينهض إلا ظاهرا، ولا صدر إلا ظافرا، ومهد الملك بالحزم وتملك نفوس الرعية بالعدل وملك قلوب الجند بالنصفة.

قال أبو بكر الأنصارى ولولا الاختصار لاوردنا من خلاله السنية ما يضيق عند الرحب ولا تسعه الكتب.

وفي هذه السنة وهي سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م أغزى واجدىّ بن عمر بن سير اللمتونى على طلبيرة بجيش إشبيلية فاكتسح ما بها وبالغ في النكاية، وصدر بالسيمة، فتبعه زهاء ٥٠ فارسا للعدو فحض على صرف عدد يصيبه منهم أو يشردهم فتهاون بهم، ولحقه عدد آخر فقيل له بددهم قبل تجمعهم، فتهاون لهم فلحقهم عدد آخر فقيل له بددهم قبل تجمعهم، فأعرض عن ذلك حتى

(١) الإحاطة ١/٤٥٤.

تكامل للعدو زهاء ٣٠٠ فارس حمل على جيش المسلمين، فانهزم لهم وأصابوا من المرابطين جملة وافرة وأسروا عدة وكبر على عليّ بن يوسف فألزم واجدى من أسر وأنفذ عزلته وولاية الأمير أبى زكريا يحيى بن على بن الحاج وابن حموز، وكانت ولاية عبد الله بن تينغمر مدينة قرطبة فى السنة الفارطة عن هذه وهو ابن أخت على بن يوسف.

وفى سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م استصرخ صاحب قرطبة الأمير تاشفين والعدو ميمم نحوها فبادر إليها فارتدع العدو عنها ورجع عودة على بدئه، فلم تكن له نكاية، فثنى الأمير تاشفين المنته إلى مدينة جيان وأقام يستطلع الأنباء ثم رجع إلى غرناطة.

وفى هذه السنة توفى صاحب بلنسية محمد بن يوسف يدر وتولاها ينتان بن على اللمتونى، فقرن الله بذلك نصره وظهر بالروم غشتون Gaston dél Bearne إلى غرناطة فى شهر بالروم، وسيق رأس زعيمهم غشتون إلى غرناطة فى شهر جمادى الآخرة، فنصب على ذروة رمح وطيف به الأسواق والسكك، وشهر بضرب الطبول واغتر به البشير وأخذه إلى أمير المسلمين على بن يوسف وهو بمراكش، فأنشد الأمير تاشفين أبو بكر شعرا ارتجالا وأوله :

بسعدك شبت في الأعادى لظى الحرب

فجاءك ما تهوى من الشرق

ولما وردت رسل الروم راغبة فى السلم أحسن إليها وصرف الروم إلى ملكهم وأمر بتشييعهم إلى مأمنهم، ثم أخذ فى الحزم والعزم ونظر فى حسم العلل، وحد لهم التأهب وأمر الأدلة بالفحص.

وفى هذه السنة تيمم فاس القاضى ابن الملجوم، كتب أمير المسلمين على بن يوسف إلى أهل مدينة فاس ينبئهم بذم قاضيهم ابن الملجوم وعزله عنهم، وتحقق لدينا أن الجهول ابن الملجوم أجهل بأحكام القضاء من العلجوم، وأنه أظهر أحكاما فيهم يترحم من مثلها على سدوم، فقد وليناه خطة الملوم، ونبذناه بالعراء وهو مذموم وجعلنا شهب العزلة لشياطينه كالرجوم.

وفى هذه السنة ولى قضاء إشبيلية أبو بكر بن العربى، ووصل كتاب ولايته من مراكش إلى إشبيلية عن على بن يوسف بتاريخ يوم الخميس منسلخ جمادى الآخرة سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣-١١٣٤م.

وفى هذه السنة خرج العدو ابن رذمير بشرق الأندلس فكسره جيش ابن غانية، صاحب مرسية، ولم يسلم منه إلا بشر يسير.

وخرج ابن غانية ظافرا بالغنائم، وأما الطاغية فبقى أياما ومات من مرض أصابه.

وفى سنة ٥٣٠هـ/ يونيو ١١٩٢م أغزى تاشفين بن يوسف الروم فى شعبان بعدما استحضر زعماء المرابطين ونظر ما عندهم فى لقاء عدوهم فقالوا: الدولة لنا، فإما تركها أو حمايتها لا يتقدمنا أحد إلى لقاء عدونا فإذا استشهدنا فالأمر لمن شاء الله بعدنا، ثم دعا العرب فقالوا: ارم العدو بنا ولا تشرك أحدا معنا، وسيرى الله عملنا، ثم استدعى زناتة والحشم فقالوا لا جواب إلا الفعل وشرطنا أن تتولى أيتامنا فجزى كلا خيرا وأجازهم بما أطاب نفسهم وكر إلى الأمير تاشفين من أعلمه أن الروم مالت إلى التحصن فى جبل القصر، فأخذ إلى الجبل فتعلقت الخيل به ترهقه وتصيب منه، وقد شرع القتل فى الروم، فهالهم الأمر وترددوا أخذا فى كل طريق، وأخذ الروم الضرب إلى عدة أميال فأتى على جلهم للقتل، وأفلت النزر وامتلأت أيدى المسلمين من دوابهم وأسلحتهم، وفكت أغلال الأسارى، وصرفت الأغنام إلى البلاد النازحة والأقطار الشاسعة وكاد هذا يربى على ما تقدم من نظرائه لاستئصال هذه الشوكة المؤلفة والحية القاتلة وأقبل عيد الفطر فأنشدته الشعراء.

وفى هذه السنة أغزى الروم سعد بن مردانيش صاحب إفراغة وابن غانية صاحب مرسية وبلنسية وذلك أنه أحس بنفاد القوت فى مكناسة أحد حصون شرق الأندلس استدعى من طرطوشة ولاردة والحصون المجاورة لهم فى توصيل القوت إلى مكناسة، فلما شارفوهم دب الرعب فى قلوبهم فتركوا الميرة وفروا بأنفسهم، ولحق أبو زكريا يحيى بن على ابن غانية ففرق من بمكناسة وتشوف صاحبها

لنهته وحماية الأمان ونزل عنها فوفى له أبو زكريا وأصحبهم شيعة إلى مأمنهم وانتقل من فوره إلى تلك الحصون المجاورة لمكناسة فافتتحها بفعل أهل مكناسة، وانقضت غزوته بفتح عدة حصون منيعة المعاقل.

ولاية العهد لتاشفين ابن أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين:

ولما مات سير بن على ولى عهد أبيه طلب أشياخ المرابطين من على بن يوسف فى أن يولى ولى عهد لهم فقال لهم: اجتمعوا واختاروا لأنفسكم واتفقوا على من ترضونه، وقصد بذلك التوثيق فى أمر تاشفين، فلما اجتمع الناس فى المسجد الجامع الكبير بالسقاية فى مراكش خاصة وعامة وتشاوروا فى من يختارونه ومن عليه يجتمعون فقالوا كلهم بصوت واحدة تاشفين تاشفين، وكتب إلى العدوة والأندلس وبلاد المغرب فى بيعته فبايعوه، ووصلت البيعات من كل الجهات مؤرخة برجب عام ٥٣٣هـ/ أبريل ١١٣٩م.

وفى سنة ٥٣٤هـ/ أبريل ١١٥٠م خرج تاشفين بعسكر كبير من لمتونة والحسم وزناتة لقتال الموحدين ومعه جمع من النصارى مع قائدهم الربتير Reverter وانجلت الحرب على قتلى من الفريقين، وقال ابن حماد: يوم الأربعاء لثمان خلون من شوال التقى تاشفين مع الموحدين وقتل له خلق كثيرا وحينئذ رجع إلى مراكش.

وفى سنة ٥٣٥هـ/ ١١٥١م خرج جيش اللمتونيين من مراكش مع الحشم والروم فالتقى مع الموحدين على جبل جذميرة فهزمهم واتبعهم حتى وصل فج طرودنت، فالتقى الجمعان وتحارب الفريقان فكانت للموحدين على اللمتونيين ورجعوا إلى مراكش خاسرين وقائد الروم مجروح ورجع الموحدون مع عبد المؤمن إلى تينملل ثم خرج جيش اللمتونيين مع قائد الروم المذكور فالتقى مع

الموحدين فحاربهم ودخل الموحدون إلى السوس فبنوا اسنجرو بالحجر والطين، ورجع عنه جيش اللمتونيين وغنم الموحدون بعض بلاد السوس ورجعوا إلى تينملل.

وفى هذه السنة انجلى أهل المغرب انجلاء عظيما إلى الأندلس، ذكر ذلك ابن حماد، وذكروا أيضا أن محاربة اللمتونيين مع الموحدين إنما كانت فى سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩.

وفيها تحرك عبد المؤمن من بلاد المصامدة إلى المغرب، وطالت غيبته إلى سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م.

وفى سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م قال ابن حماد: وصل الموحدون إلى ريف سبتة ثم إلى تيطاون ثم رجعوا إلى غمارة.

وفى هذه السنة خرج تاشفين بعساكره لتتبع الموحدين، قال البيذق وغيره: رحل عبد المؤمن ابن على من تينملل برسم التوجه إلى بلاد الغرب سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م وقيل فى أواخر أربع، فما زال يرحل من موضع إلى موضع، والقوم ترد عليه والقبائل من كل جهة تصل إليه إلى أن وصل تاجررت بنى وابوط سنة ست وثلاثين.

قال (البيذق ص ٩١) فعرف الإمام ابن زجو بجيشه فغنم صفردى فى منتصف محرم سنة ست وثلاثين.

قال (البيذق ص ٩١) أكل وادى فاس باب السلسلة وفتقت جزيرة مليلة وأكل البحر طنجة إلى الجامع الكبير، وأكل وادى سبو أخبية لمتونة، وكان عبد المؤمن إذ ذاك فى غيّاثة، وبلغ الشعير فى ذلك ثلاثة دنانير للسطل، وكان تاشفين فى محلته بفاس.

الصـــراع بيـــن المرابطيـــن والموحـــديـــن :

قال أبو مروان الوراق[1] : وقد كان أمير المسلمين على بن يوسف أمل فى ابنه تاشفين ما لم تكن الأقدار تساعده، وجاءت الأيام بخلاف ما أمل فيه، فتشاءم به وعزم على خلفه، وصرف عهده إلى ولده الأصغر إسحاق، ووجه إلى عامله على إشبيلية عمر أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه ومدبر أمره فأخذ فى العزم على ذلك إلى أن وصل إليه خبر أمضه وأقلقه ولم يمهله إلى أن يستتم تدبيره، فأمر عند ذلك تاشفين أن ينزعج لذلك فانزعج على غير أهبة للضرورة واتبعه والده بمدده وما لم يمكن الخروج به من عجلته، وذلك فى السنة المؤرخة، ولم يصل تاشفين فى حركته هذه إلى فاس ضرب محلته بظاهرها، وكان وصوله إليها فى أول سنة المشتى فروت الأرض بنزول الغيث وتوالت الأمطار والغيوم.

وحملت الوديان واشتد البرد إلى أن هلك كثير من عساكر تاشفين بردا وجوعا لانقطاع الطرق عنهم، وكانت إقامة تاشفين بظاهر فاس أياما، ثم رحل عنها ونظر بالنواظر من ناحية تازا، وانتهى حال عسكر تاشفين حتى أحرقوا السرج وصحاف العود، ولم تتمسك أوتاد الأخبية لرخاوة الأرض، وغرقت الدواب فى مرابطها إلى بطنها، وكثر الموتى فى الضعفاء، فكانت شرائط الأخبية مربوطة فى جيف الموتى، وتوالى عليها المطر نحو ١٥ يوما بلياليها، ثم رفع الله ذلك عنهم بعد يأس من الدنيا، ولم يزل تاشفين ينتقل فى أرض المغرب من موضع إلى موضع آخر فى هذه السنة.

وقال البيذق: دخل عبد المؤمن مدينة المزمة فأخذه بها المطر ثمانية أيام فسماها تاغروت (أن) والوط[2] فقلعنا منها إلى جبل تسامان (البيذق: تمس آمان) فخرج ابن زحو بالعسكر فأخذ مليلة

(١) انظر هذا النص فى الإحاطة ٤٥٥/١ .

(٢) كذلك عند البيذق ٩٣ .

وأخذ فيها مائة بكر، فقسمها عبد المؤمن على الموحدين، وكانت فيهم بنت ماكش بن المعز صاحب مليلة وفاطمة بنت يوسف، فأخذ عبد المؤمن بنت ماكس، وأخذ إبراهيم فاطمة فعملوا آسماس (عند البيذق: فاكلنا آسماس) ورحلوا إلى ندرومة بلاد كومية ورحل إلى موضع تاجرا، وميز بها عسكره وهو قد تقوى أمره وعظم شأنه وذكره، فبعث ابن زجو إلى جهة الساحل فأتى بعساكر وهران، وترادفت الفتوحات من كل مكان، ووصل إلى عبد المؤمن زيرى بن ماخوخ الزناتى مطيعا فبعثه إلى غيّائه، فقبض عليه بنو ملوك وقتلوه وحزوا رأسه وحملوه إلى فاس وعلقوه على باب السلسلة.

وفى سنة ٥٣٧هـ/ فبراير ١١٧١م توفى أمير المسلمين على بن يوسف، رحمه الله، باتفاق، قيل توفى لسبع خلون من رجب، ولا أشهر لموته إلا لخمس خلون من شوال فكانت مدته من يوم قدمه أبوه ٣٧ سنة و٧ أشهر، وقيل لتسعة أشهر بتقريب على خلاف فى ذلك، أما حقيقة مدته بعد وفاة أبيه فستة وثلاثون سنة والأشهر المذكورة، وكان مولده ليوم الخميس فكانت مدته ٦١ سنة تقريبا.

أمه رومية وهى فاض الحسن وقيل قمر وتكنى أم الحسن.

صفته: معتدل القامة أسيل الوجه.

وقال أبو مروان الوراق: كان مهلك على بن يوسف فى مراكش سنة ٥٣٧هـ/ أغسطس ١١٣١م بعدما بلغته أخبار أمرضته وأورثته غما وهما أثر فى جسمه فالتزم فراشه.

ولما يئس من نفسه أمر عند ذلك ابنه أبا بكر من مراكش، وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها لأنه خاف من خوضه فى أمور، فأصاب أبا بكر فى سفره مرض فكان الرجال يحملونه على

أعناقهم، ووصل المذكور إلى الجزيرة وسجن بها، ولم تطل مدته في حبسه هذا إلى أن هلك[١].

ولما اشتد ألم علي بن يوسف وزادت علته أمر أن يدفن مع قبور عامة المسلمين فدفن بها في جملتهم، وجددت البيعات لولي عهده تاشفين وهو في أمره المتقدم ذكره ومتابعته لعبد المؤمن.

وفي سنة ٥٣٨هـ/ ١١٣٣م- ١١٣٤م، وصلت قراقر المجوس في ١٥٠ مركبا بين كبار وصغار إلى سبتة، فخرجت إليه أجفانها، فتقاتلوا وقتل من الفريقين خلق كثير.

وفيها دخل الموحدون وجدة وانتقل تاشفين بمحلته إلى تلمسان ونزل عبد المؤمن بمحلته بين الصخرتين بمقربة منه، وكانت بينهم حروب كثيرة يطول ذكرها.

وبعث عبد المؤمن يوسف بن وانودين بعسكر إلى مديونة، فتلاقى مع جيش لمتونة، خرج عليه من تلمسان أبو بكر بن الجوهر، ومحمد بن يحيى بن خانو فتلاقى العسكران بوادي الزيتون، وتقابل الجمعان فقتل من الفريقين خلق كثير.

وفي أثناء ذلك وصلت محلة من بجاية لنصر تاشفين وذلك في سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م- ١١٤٥م برسم قتال الموحدين وقائدها ميمون بن المنتصر فهزمهم الموحدون من الصخرتين إلى باب تلمسان، وبعث القائد المذكور إلى عبد المؤمن يعلمه بتوحيده سرا ويعلمه بفتح إفريقية إذا فتح المغرب (البيذق ٩٧).

وفي سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م خرج قائد الروم الربريتز بعسكره ومعه عسكر لمتونة والحشم، فهزمهم الموحدون وقتل القائد المذكور وتبدد عسكره (انظر البيذق ٩٦).

وكان تاشفين بمحلته في سطيف، فزادت الحرب بينه وبين الموحدين مدة شهرين إلى أن وصل ابن المنتصر من بجاية كما ذكرنا وهزمه الموحدون ووعد سرا ووحد بفتح بجاية.

(١) كان أبو بكر هذا أكبر أبناء أبيه عليّ بن يوسف، وقد حول أبوه عنه أولا إلى سير فسخط ذلك وتذمر، ثم إلى تاشفين فاستاء أيضا ومن أجل ذلك فقد حبسه.

وفى هذه السنة قتل ابن زجو ورحل ابن تاشفين من سطيف ونزل على وهران فهرب بينجماز (البيذق أفكمار) اللمتونى بجمع إلى الصحراء وهرب ابن زنجى (البيذق ونكى) إلى الغرب، وبقى تاشفين بعسكر مشتت والقائد ابن ميمون فى الأسطول بالبحر، وخرج عسكر من الموحدين وأتباعهم لقتال تاشفين، قود عليه عبد المؤمن أبا حفص يريد الدخول فى القطايع، فبينما هو سائر على فرسه فى الليل إذ صادف حافة حاف فيها ومات، فلما أصبح وجده الموحدون ميتا فى تلك الحافة فقطعوا رأسه وبعثوه إلى عبد المؤمن فوجهه وأرسله إلى تينملل، وقتل من أصحاب تاشفين خلق كثير وفر منهم جمع كبير ولم يبق منهم بعد ذلك إلا سيد الملوك السدراتى.... تقدم له وعفا عنه.

انتصـــار المـوحـــديـــن :

ثم ولى إسحاق بن على بن يوسف، وذلك أنه لما مات تاشفين، على ما ذكر بعض المؤرخين، بويع لابنه إبراهيم بن تاشفين(١) فطلع عليه إسحاق إلى مراكش فتأخرت بيعته ودعا لنفسه، ووقع الخلاف والتدابر بينهم إلى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم على ما أذكره إن شاء الله ملخص فى موضعه.

وفى هذه السنة دخلت الأندلس دعوة الموحدين وظهرت، فأول من قام بدعوتهم فيها أهل مارتله Mertola على نهر وادى آنه فى السابع عشر من ربيع الأول، ثم خالفت بعد ذلك طليطلة على المرابطين ودخلت فى دعوة الموحدين.

---

(١) عهد تاشفين إلى ابنه إبراهيم وهو مقيم بوهران ووجهه إلى مراكش قبل وفاته بشهر فبويع فيها، ولكن عمه إسماعيل بن على خالف عليه ونقض بيعته، ولما حاصر عبد المؤمن مدينة مراكش سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م اشتد الحصار على أهلها كثيرا حتى استسلمت الفرقة الرومية لعبد المؤمن وامتنع فى القصبة إبراهيم مع المرابطين، واستمر القتل وأخذ إبراهيم ومن معه أسرى فقتلوا، وبموته انقرضت دولة الملثمين. (الحلل الموشية ١١٠- ١١٥).

تلخيص التعريف بتواريخ من ولى إشبيلية من مشاهير اللمتونيين المرابطين من حين استيلائهم عليها[١]:

فأول من وليها بعد خلع المعتمد عنها بتقديم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الأمير سير فوليها فى رجب من سنة ٤٨٤هـ/ سبتمبر ١٠٩١م، وتوفى على مقربة من إشبيلية وهو زاف بنته فاطمة ومشيعا لزوجه حواء بنت تاشفين، وقد تقدم ذكرها فى السنة المذكورة، فكانت وفاته فجأة فى ذى القعدة فى سنة ٥٠٧هـ/ مارس ١٠٩١م فكانت مدة ولايته بها ٢٣ سنة.

ثم وليها يحيى بن سير بن أبى بكر فى ذى الحجة ٥٠٧هـ/ أبريل ١٠٩١م وعزل عنها فى ذى الحجة أيضا سنة ٥٠٨هـ/ مارس ١٠٩١م فكانت ولايته سنة واحدة.

وثم وليها عبد الله ابن فاطمة[٢] الشهير بالنيولان منذ سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م - ١١٠٢م حين اشترك فى استنقاذ بلنسية وتوفى بها فى رمضان المعظم من عام ٥١١هـ/ ديسمبر ١١١١م .

ثم وليها إبراهيم بن يوسف بن تاشفين بعد ولايته سبتة، وليها فى شوال ٥١١هـ/ يناير ١١١٨م فكانت ولايته لها أربعة[٣] أعوام وتسعة أشهر.

ثم وليها تميم بن يوسف بن تاشفين بعد ولايته غرناطة فى جمادى الثانية ٥١٦هـ/ ١١١٩م وعزل عنها فى ذى الحجة ٥١٧هـ/ ١١٢٠م، فكانت ولايته إلى أن عزل سنة واحدة وأربعة أشهر.

---

(١) قارن بالجدول الذى أورده صاحب مفاخر البربر ص ٨١، فهناك اختلاف واضح عما أورده ابن عذارى.

(٢) لعبد الله ابن فاطمة دور كبير فى تاريخ المرابطين فى الأندلس.

(٣) ويبدو أنه ظل فى الأندلس بعد سنة ٥١١هـ أن يقول ابن الأبار أن عليا أخاه نكبه سنة ٥١٥هـ/ ١١١٩م بعد تقصير له جر إلى وقيعة كتنده فى السنة السابقة، وكان له دور فى الحروب ضد الموحدين، وفيها قتل على طريق سجلماسة، وكان معتنيا بالعلوم والآداب، ومن مداحه ابن خفاجة والفتح بن خاقان الذى ألف له كتاب قلائد العقيان.

ثم وليها أبو بكر بن على، فكانت ولايته إلى أن عزل ٤ أعوام و٥ أشهر، أولها محرم ٥١٨هـ/ فبراير ١١٢٤م وآخرها رجب ٥٢٢هـ/ يونيو ١١٢٨م.

ثم وليها عمر بن سير، فكانت ولايته إلى أن عزل ٥ أشهر، أولها شعبان وآخرها ذو الحجة ٥٢٢هـ/ يوليو ٩٣٣م.

ثم وليها يحيى بن مقوز، فكانت ولايته إلى أن عزل عاما واحدا وشهرين اثنين، أولها محرم عام ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م، وآخرها صفر ٥٢٤هـ/ ١٢٢٩م.

ثم وليها عمر بن مقوز فكانت ولايته إلى أن قتل عامين وثلاثة أشهر، أولها ربيع الأول ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م وآخرها رجب ٥٢٦هـ/ ١١٣١م.

ثم وليها عبد الله بن أبى بكر بن تاشفين فكانت ولايته إلى أن قبض عليه وحبس فى القصر شهرين اثنين أولها، شعبان وآخرها شعبان ٥٢٦هـ/ ١١٣١م.

ثم وليها الأمير تاشفين بن على بن يوسف فكانت ولايته إلى أن عزل سنة واحدة أولها شعبان ٥٢٦هـ/ ١١٣١م.

ثم وليها بنتان بن على الذى كان والى بلنسية، فكانت ولايته إلى أن عزل سنة واحدة وستة أشهر أولها شعبان ٥٢٧هـ/ يوليو ١١٣٢م.

ثم وليها أبو زكريا يحيى بن إسحاق فكانت ولايته إلى أن عزل تسعة أعوام وعشرة أشهر أولها ربيع الأول ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م وأخرى ذو حجة ٢٣٨هـ/ يونيو ١١٤٤م.

ثم وليها أبو بكر بن مزدلى فى شهر محرم ٥٣٩هـ/ ١١٣٥م، فظهرت فى الأندلس دعوة الموحدين فى العام المذكور، وقام بدعوة أهل مارتلة المهدى فى السابع عشر لربيع الأول ٥٣٩هـ/ ١١٣٦م وخالفت بعد ذلك طليطلة على المرابطين، وكذلك جميع بلاد إشبيلية الغرب إلى أن أصبحت أكثر بلاد الأندلس فى طاعة الموحدين.

وفى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٣٧م تغلب الموحدون على اللمتينيون المرابطين.

ثم فى سنة ٥٤١هـ/ ١١٣٨م وصل أبو محمد عبد المؤمن... ودخل أغمات دون قتال.

وفى تلك السنة دخل الموحدون مراكش وقتل إسحاق بن على بن يوسف ومن كان معه.

ابو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتونى اميـر المسلمين وملك الملثمين وهو الذى اختط مدينة مراكش[(١)]:

ذكر أصحاب التواريخ شعبا من أخباره فاخترت فى هذا الكتاب ما وجدته فى كتاب «المغرب عن سيرة ملوك المغرب» لأنه اوعب فى حديثه عن غيره ولكنه لم يذكر مؤلفه، غير أنه قال فى أول النسخة التى نقلت عنها هذا الفصل إنه كتبها فى سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م - ١٢٠٣م وخرج منها فى ذى القعدة من السنة.

وتلى ذلك ترجمة يوسف بن تاشفين وهى مطولة بكثرة التفاصيل التى تعنى المؤرخ، فرأيت أن أختار منها ما يلى:

كان بر المغاربة الجنوبى لقبيلة تسمى زناتة، فخرج عليهم من جنوبى المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثمون يقدمهم أبو بكر بن عمر منهم، وكان رجلا ساذجا خير الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية، وكانت ولاة المغرب ضعفاء لم يقاوموا الملثمين، فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط.

فلما حصلت البلاد لأبى بكر بن عمر بلغه أن امرأة ضاعت منها ناقة فقالت: ضيعنا أبو بكر

(١) ترجمة يوسف بن تاشفين فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ١١١/٦ وما بعدها.

ابن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب، فأثر ذلك فى نفسه، فاستخلف على بلاد المغرب رجلا يسمى يوسف بن تاشفين، ورجع إلى بلاده الجنوبية.

وكان يوسف بن تاشفين هذا رجلا شجاعا عادلا مقداما، اختط بالمغرب مدينة مراكش، وكان موضعها مكمنا للصوص وكانت ملكا لعجوز مصمودية، وتاقت نفسه إلى العبور إلى الأندلس، فلما علم ملوك الطوائف فى الأندلس برغبته تلك أعدوا له عدة من القوارب والمقاتلة، وكرهوا المامه بجزيرتهم، ولكن الفرنجة كانت تشد وطأتها عليهم فرغبوا فى عبوره مع جنوده إلى الأندلس على أن يعود إلى بلاده بعد أن يوقع بالنصارى.

فلما سمع ملوك الأندلس بأمره رغبوا فى الاتصال به، فكلموا المعتمد بن عباد فى ذلك، فلما علم يوسف بن تاشفين ذلك عزم على العبور إلى الأندلس لمحاربة الفرنجة، وكان الملثمون يستعملون فى الحرب الدرق اللمطية ولا يوجد مثلها فى الدنيا على ما يقال، فلما وصله كتاب أهل الأندلس قرر العبور إليهم.

وشجعه على ذلك أن الأذفونش بن فرذلند أخذ يهدد بلادهم بجيوشه واستقر رأى المعتمد على استدعاء المرابطين، وقال إنه خير له أن يسود الأندلس المرابطون فهم أحسن له من الإفرنج، وشرع فى العبور.

فلما تكاملت جيوش المرابطين ولأول مرة تعبر الجمال إلى الأندلس وكان الأذفونش بن فردلند قد ضرب معسكره عند الزلاقة بالقرب من بطليوس ووقع اللقاء وهلك معظم الفرنجة فلم ينج منهم إلا الأذفونش بن رذمير، وقد هرب الأذفونش إلى طليطلة مع ثلاثين من رجاله، وكان المعتمد قد اشترك فى المعركة.

تفاصيل قيمة عن معركة الزلاقة :

وقد قال مؤلف مجهول أورد صاحب البيان المغرب، الكتاب الذى أتى ابن عذارى بعض صفحاته فى الملحق الأول لكتاب البيان المغرب واسم الكتاب: المغرب عن سيرة ملوك المغرب، وهو يشكو من أن المؤلف لم يذكر شيئا عن نفسه، وأخبار المرابطين ترد فى ص ١١١ من كتاب البيان المغرب، قال ذلك الكتاب:

كان بر المغاربة الجنوبى لقبيلة تسمى زناتة فخرج عليهم من جنوبى المغرب من البلاد المتاخمة لبلد السودان الملثمون يقدمهم أبو بكر بن عمر منهم، وكان رجلا ساذجا خير الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية، وكانت ولاة المغرب من زناته ضعفاء لم يقاوموا الملثمين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط.

فلما حصلت البلاد لأبى بكر بن عمر المذكور سمع أن امرأة عجوزا من أهل بلاده ضاعت لها ناقة فى غداة فبكت وقالت: ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب، فحمله ذلك على أن يستخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع إلى بلاده الجنوبية.

وكان يوسف هذا رجلا عادلا مقداما اختط بالمغرب مدينة مراكش، وكان موضعها مكمنا للصوص، وكانت ملكا لعجوز مصمودية، فلما تمهدت له البلاد تاقت نفسه إلى العبور إلى جزيرة الأندلس وكانت محصنة بالبحر، فأنشأ شواني ومراكب، وأراد العبور إليها، فلما علم ملوك الطوائف بما يروم من ذلك أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة، وكرهوا المامه بجزيرتهم فيصبحون بين عدوين: الفرنجة من شمالهم، والملثمين، وكانت الفرنج تشد وطأتها عليهم إلا أن ملوك الأندلس

كانت ترهب الإفرنج، فظهرت موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين، وكان له اسم كبير لنقله دولة زناته وملك المغرب إليه فى أسرع وقت.

وكان قد ظهر لأبطال الملثمين فى المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس وطعنات تنظم الكلى، فكان لهم بذلك ناموس ورعب فى قلوب المنتدبين لقتالهم.

وكان ملوك الأندلس تفيئون إلى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرون على ملكهم بها إذا عبر إليهم وعاين بلادهم، فلما رأوا عزيمته مقدمة على العبور، أرسل بعضهم إلى بعض وكاتبوهم يستنجدون آراءهم فى أمره، وكان مفزعهم فى ذلك إلى المعتمد بن عباد لأنه كان أشجع القوم وأكبرهم مملكة، فوقع اتفاقهم على مكاتبته، وقد تحققوا أنه يقصدهم يسألونه الإعراض عنهم وأنهم تحت طاعته.

فلما وصلته كتبهم ومعها هدايا وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربى، ولكنه كان يجيد فهم المقاصد وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية، فقال له: أيها الملك، هذا الكتاب من ملوك الأندلس، يعظمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل طاعتك ويلتمسون ألا تجعلهم بمنزلة الأعادى، فهم مسلمون وهم من ذوى البيوتات فلا تغر بهم، وتقى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر، فأعرض عنهم إعراضك لمن أطاعك من ملوك المغرب.

فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه: فما ترى أنت؟ فقال له: أيها الملك، اعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذى لا يرد بأنه خليق بما فى يده من الملك أن يعفو إذا استعفى وأن يهب إذا استوهب، وكلما وهب جزيلا كان أعظم لقدره، فإذا عظم قدره تأصل ملكه، وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته، وإذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس ولم يتجشم المشقة، وكان وائق الملك من غير جهد، وأعلم أن بعض الملوك الأكابر والحكماء البصراء بطرق تحصيل الملك قال : من جاد ساد ومن ساد قاد، ومن قاد ملك البلاد.

فلما ألقى الكاتب هذا الكلام على يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعرف أنه صحيح، وقال للكاتب: أجب القوم واكتب بما يجب عليك، فكتب الكاتب، ومن بعض ما كتب: ... وإنكم بما فى أيديكم من الملك فى أوسع إباحة، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة، فاستديموا وفاءكم بوفائنا، واستصلحوا إخاءنا بإصلاح إخائكم.

فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين فاستحسنه، وقرن به يوسف بن تاشفين دركا لمطية مما لا يكون إلا فى بلاده.

واللمطية منسوبة إلى لمطة وهى بليدة عن السوس الأقصى بينها وبين سجلماسة ٢٠ يوما، قاله ابن حوقل فى كتابه المسالك وهى معدن الدرق اللمطية، ولا يوجد مثلها فى الدنيا على ما يقال.

فلما وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وخرجوا بما فيه، فتحصل ليوسف بن تاشفين برأى وزيره ما أراد من محبة أهل الأندلس له، وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج، وأزمعوا أنهم إذا رأوا ما يريبهم يجيزون إليه يوسف بن تاشفين ويكونون من أعوانه على ملك الإفرنج، وتحصل ليوسف بن تاشفين برأى وزيره ما أراده من محبة أهل الأندلس له، وكفاه الحرب معهم.

ثم إن الأذفونش بن فرذلند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار ويفتح بلاد الأندلس ويشتط على ملوكها بطلب البلاد منهم وخصوصا المعتمد بن عباد، فنظر المعتمد فى أمره فرأى أن الأذفونش قد داخله طمع فى بلاده، فأجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين إلى العبور إلى الأندلس وعلم أن مجاورة الجيش مؤذنة بالبوار، فأهون الأمرين أمر الملثمين، قالوا لأن يرعى أولادنا جمالهم أحب إلينا من أن يرعوا خنازير الفرنج.

فإن الأذفونش خرج فى بعض السنين يتخلل بلاد الأندلس بجمع كثير من الفرنج، فخافه ملوك الأندلس على البلاد، وأجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا إلى المعاقل، فكتب المعتمد

ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين : إن كنت مؤثرا للجهاد فهذا أوانه، فقد خرج الأذفونش إلى البلاد، فأسرع العبور إليه ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك.

وكان يوسف بن تاشفين على أتم أهبة فشرع فى عبور عساكره، فلما أبصر ملوك الأندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد، وقد كانوا وعدوا على مناجزته علم أنه عام نطاح، فاستنفر الفرنجة للخروج فخرجوا فى عدد لا يحصيه إلا الله تعالى، ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلا ورجلا من الفريقين، كل أناس قد التفوا على ملكهم.

فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر هو فى آخرها، فأمر بعبور الجمال، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملا ولا كانت خيلهم قد سمعت صوتها ولا سمعت أصواتها، وكانت تذعر منها وتقلق، وكان ليوسف بن تاشفين فى عبورها رأى مصيب، كان يحدق بها عسكره وكان يحضرها الحرب فكانت خيل الفرنج تحجم عنها.

فلما تكامل العساكر بالجزيرة قصدت الأذفونش، وكان نازلا بمكان أفيح من الأرض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس، قال البياسى : بين المكانين أربع فراسخ.

وقال البياسى أيضا إن يوسف بن تاشفين قدم بين يدى حربه كتابا على مقتضى السنة يعرض على الأذفونش الدخول فى الإسلام أو الحرب أو الجزية، وكان من كتابه : إنك دعوت فى الاجتماع إليك وتمنيت أن يكون لك فلك تعبر البحر عليها إلينا، فقد أجزناه إليك وتستبشر بعاقبة دعائك، وما بالدعاء نخرب الكافرين وما دعاؤهم إلا فى ضلال.

فلما سمع الأذفونش ما كتب إليه جاش بحر غيظه وزاد فى طغيانه، وأقسم أنه لا يبرح مكانه حتى يلقاه.

ثم إن يوسف بن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة، فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها، فاختار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولا، وأن يكون يوسف بن تاشفين بعسكره بين أيديهم.

قال البياسي، ولما عبر يوسف إلى بر العدوة أقام عسكره بجزيرة الأندلس إلى أن استراح، ثم تبع آثار الأذفونش فتوغل في بلاده.

ولما رجع الأذفونش إلى موضعه سأل عن أصحابه وشجعانه وأبطال عسكره فوجد أكثرهم قد قتل، ولم يسمع نواح الثكالى عليهم، فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هما وغما، ولم يخلف إلا بنتا جعل الأمر إليها، فتحصنت بمدينة طليطلة.

وأما عسكر ابن تاشفين فإنهم في غارتهم تلك كسبوا من الغنائم ما لا يحد ولا يوصف وأنفذوه ذلك إلى بر العدوة، واستأذن أميرهم سير بن أبي بكر يوسف بن تاشفين في المقام بجزيرة الأندلس، وأعلمه أنه قد استعد ورتب فيها رجالا ومستحفظين يغنون فيها، وأنه لا يجوز لهذه الجيوش أن تقيم بالثغور في ضنك من العدو تغاديه وتماسيه وتحظى ملوك الأندلس من الأزراق برغد من العيش، فكتب إليه ابن تاشفين يأمره بإخراج ملوك الأندلس من بلادهم وإلحاقهم بالعدوة، فمن استعصى عليك منهم فقاتله ولا ينفس عنه حتى يخرجه وليبدأ منهم بمجاوري الثغور، ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستول على البلاد ثم يولي تلك البلاد أمراء عساكره وأكابرهم، فابتدأ سير بن أبي بكر بملوك بني هود صهر ملوك الأندلس ليستنزلهم من معقلهم وهي روطة، وهي قلعة منيعة من عاصمات الذرى، ماؤها ينبع من أعلاها، وكان بها من الأقوات والذخائر المختلفات مالا كثيرا.

فلم يقدر ابن هود عليها ورحل عنها، ثم جند أجنادا على صور الفرنج، وأمرهم أن يقصدوا

هذه القلعة مغيرين عليها ويكمن هو وأصحابه بالقرب منها، ففعلوا ذلك فرآهم صاحب القلعة، فاستضعفهم وخرج في طلبهم فخرج سير بن أبي بكر وقبض عليه، ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس فسلموا إليه ولحقوا بالعدوة، ثم نازل بني صمادح بالمرية، وكانت قلعتهم حصينة إلا أنهم لم يكن عندهم أجناد ولا ايجاد من الرجال، فزحفوا عليهم فغلبوهم.

فلما علم المعتضد بن صمادح أنه مغلوب دخل قصره، فأدركه أسف قضى عليه فمات من ليلته، فاشتغل أهله به ثم أسلموا المدينة، ثم نازلوا المتوكل عمر بن الأفطس ببطليوس، وكان رجلا عظيم القدر كبير البيت، كان أبوه المظفر بالله أبو بكر بن عبد الله بن مسلمة التجيبي من فحول العلماء، وكان ملكا له تصانيف أعظمها وأشهرها كتابه المنسوب إليه وهو «المظفري» في التاريخ، وكانت مدينة بطليوس من أجمل البلاد، ولم يذعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال إلى أن خامر عليه أصحابه فقبضوا عليه باليد، وعلى ولدين له فقتلوا صبرا، وحمل أولاده الأصاغر إلى مراكش وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا إلى بر العدوة، إلا ما كان من المعتمد بن عباد، فإن سير بن أبي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة كتب إلى يوسف بن تاشفين أنه لم يبق بالجزيرة من ملوكها إلا المعتمد بن عباد فارسم في أمره بما تراه، فأمره بقصده ويعرض عليه التحول إلى بر العدوة بأهله وماله، فإن فعل فبها ونعمت، وإن أبى فنازله.

فلما عرض سير بن أبي بكر ذلك عليه لم يعطه جوابا فنازله وحاصره أشهرا، ثم دخل عليه البلد قهرا واستخرجه من قصره قسرا، فحمل إلى العدوة مقيدا، فأنزل بأغمات وبقي بها إلى أن مات، ولم يعتقل من ملوك الأندلس غيره، وتسلم سير بن أبي بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها، وكان يوسف بن تاشفين في التاريخ الآتي ذكره وأفضى الملك إلى ولده أبي الحسن علي بن يوسف وكان رجلا حليما وقورا، ولم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طال عليه مكروه.

ثم ولي بعده ابنه ولده تاشفين بن علي بن يوسف، وعلى يده انقرض ملكهم.

وقال صاحب الكتاب الذى نتابعه إن مراكش مدينة عظيمة، بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش، ومعناه امش مسرعا بلغة المصامدة كان ذلك الموضع مأمنا للصوص، وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة فعرف الموضوع بها.

وقال غير مؤلف هذا الكتاب: بنى يوسف بن تاشفين مدينة مراكش فى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٧١- ١٠٧٢م قاله أبو الخطاب بن دحية فى كتابه الذى سماه النيراس فى خلافة القائم بأمر الله قال: وكانت مزرعة لأهل نفيس، فاشتراها منهم بماله الذى خرج به من الصحراء.

ونفيس جبل مطل على مراكش .

قلت: وهى بنواحى أغمات فى المغرب الأقصى، وذلك أنه لما توطنت نفسه على الملك وأطاعته قبائل البربر، وذهب من يخالفه من لمتونة سمت نفسه إلى بناء هذه المدينة، وكان فى موضعها قرية صغيرة فى غابة من الشجر فيها قوم من البربر فاختطها يوسف وبنى فيها القصور والمساكن الأنيقة وهى فى مرج فسيح، وحولها جبال على فراسخ منها، وبالقرب منها جبل عليه الثلج دائما وهو الذى يعدل مزاجها وحرها.

وفى سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م- ١٠٧٢م نزل يوسف على مدينة فاس، وكانت إذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام، وضيق على أهلها ثم أخذها، فأقر العامة شأنه وتمكن بالمغرب الأقصى والأدنى سلطانه مع ما صار بيده من بلاد الأندلس، وكان حازما سائسا للأمور ضابطا لمصالح مملكته مؤثرا لأهل العلم والدين، كثير المشورة لهم.

وبلغنى أن الإمام أبا حامد الغزالى سار إلى الغرب للقائه، فلما وصل الإسكندرية بلغة أنه مات فعاد إلى بلاده.

وكان يوسف معتدل القامة، نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت وكان يخطب لبنى

العباس، وهو أول من تسمى بأمير المسلمين، ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه إلى أن توفى يوم الاثنين ٣ محرم سنة ٥٠٠هـ/ سبتمبر ١١٠٦م، وعاش ٩٠ سنة ملك منها ٥٠.

وأما ولده علىّ المذكور فإنه توفى يوم ٦ رجب ٤٩٦هـ/ مارس ١١٠٧م.

وتكلم عنه ابن الأثير فقال فيما قاله: ملك المغرب والأندلس، وكان فى السيرة خيرا عادلا يميل إلى أهل العلم والدين، يكرمهم ويحكمهم فى بلاده.

ولما خرج عبد المؤمن بن على قاصدا جهة البلاد المغربية ليأخذها من على بن يوسف بن تاشفين، وكان مسيره على طريق الجبال، فسير على بن يوسف ولده تاشفين ليكون فى قبالة عبد المؤمن ومعه جيش فساروا فى السهل وأقاموا على هذا مدة فتوفى على بن يوسف فى أثنائها فى التاريخ المذكور فقدم أصحابه ولده إسحاق بن على وجعلوه نائب أخيه تاشفين على مراكش وكان صبيا، وظهر بأمر عبد المؤمن ودانت له الجبال وفيها غمارة وتالده والمصامدة، وهم أمم لا تحصى، فخاف تاشفين بن على واستشعر القهر وتيقن أن دولتهم ستزول، فأتى مدينة وهران وهى على البحر، وقصد أن يجعلها مقره فإن غلب على الأمر ركب البحر وصار إلى بر الأندلس يقيم فيها، كما أقامت بنو أمية بالأندلس، عند انقراض دولتهم بالشام وغيرها من البلاد.

وفى ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب، وبأعلاها رباط يأوى إليه المتعبدون، وفى ليلة ٢٧ رمضان ٥٣٩هـ/ مارس ١١٤٤م صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم فى جماعة يسيرة من خواصه، وكان عبد المؤمن بجمعه فى تاجرة، وهى وطنه، واتفق أنه أرسل منسرا إلى وهران، فوصلوها فى اليوم السادس والعشرين من رمضان ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدى، فكمنوا عشية، وأعلموا بانفراد تاشفين فى ذلك الرباط فقصدوه، وأحاطوا به، وأحرقوا بابه فأيقن الذين كانوا فيه بالهلاك، فخرج تاشفين راكبا فرسه، وشد الركب عليه ليثب

الفرس النار فترامى الفرس متأثرا بروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من جهة هنالك إلى جهة البحـر على حجـارة فى وعـر، فتكـسر الفرس وهلك تاشفين فى الوقت، وقتل الخواص الذين كانوا معه.

وكان عسكره فى ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى فى الليل، وجاء الخبر بذلك إلى عبد المؤمن فوصل إلى وهران وسمى ذلك الموضع الذى فيه الرباط صلب الفتح، ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل إلى السهل، ثم توجه إلى تلمسان، وهى مدينتان قديمة وحديثة بينهما شوط فرس، ثم توجه إلى فاس وأخذها فى سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م.

وبذلك انقرضت دولة المرابطين.

قال المؤلف: وقد ذكرت فى ترجمة المعتمد بن عباد أن يوسف بن تاشفين عاد إلى الأندلس فى العام التالى لعام وقعة الزلاقة، وذكر هنا أنه لم يعد إليها، وإنما كان نوابه هم الذين أخذوا له الأندلس، وفى هذا تناقض، وهذا التناقض يرجع إلى الأصلين اللذين أخذت عنهما هذا وذاك.

ثم رأيت فى كتاب تذكير الكامل لأبى الحجاج يوسف العباسى أن يوسف بن تاشفين لما جاز البحر قصد إشبيلية فخرج ابن عباد إلى لقائه، ومعه الضيافة والإقامة، ثم خرج من إشبيلية بقضه وقضيضه قاصدا بطليوس، وجرت الوقعة المذكورة، ثم عاد ابن تاشفين إلى بلاده، وأن ابن عباد جاز البحر ومضى إليه فى سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م واستنجده على ما يجاوره من بلاده، واستعد العدو، ولحقه ابن تاشفين وأفهمه رجاله أن ملوك الأندلس يفرون منه، وعمل قولهم فى نفسه، فأخذ فى الحركة إلى البرية، وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائدا إلى بلاده، وقد وغر صدره على ملوك الأندلس، وتبين لهم تخوفه منهم فخافوه، فتسرعوا فى تحصين بلادهم وتحصيل الأقوات، وأرسل بعضهم إلى الأذفونش ليكون عونا له خوفا من ابن تاشفين، فأجابه الأذفونش بالإعانة والمساعدة،

وكان قد سير له هدايا وألطافا، فقبلها منه، وحلف له على كل ما التمسه منه، واتصل ذلك بابن تاشفين، فاستشاط غيظا.

ثم إن ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة، وقصد قرطبة وهى لابن عباد فوصلها فى جمادى الأولى سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، وقد سبقه إليها ابن عباد فخرج إليه بالضيافة، وجرى معه على عادته.

ثم إن ابن تاشفين أخذ غرناطة، وأن ابن تاشفين يعطيه إياها فعرض له بذلك، فأعرض عنه ابن تاشفين وخاف ابن عباد منه، وعمل على الخروج عنه، وقال له إنه جاءته كتب من إشبيلية، وهم خائفون من العدو المجاوز لهم، واستأذنه فى العود إليها فأذن له فعاد، ثم رجع ابن تاشفين إلى بلاده وجاز البحر فى سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م ثم عزم على العبور إلى الأندلس وأقام ببلاده إلى أن دخلت ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م ثم عزم على العبور إلى الأندلس لمنازلة ابن عباد، وبلغ ذلك ابن عباد فأخذ فى التأهب والاستعداد، ووصل ابن تاشفين إلى سبته، وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليها سير بن أبى بكر، فجاوزوا البحر وضايقوا ابن عباد، فاستصرخ بالأذفونش فلم يلتفت إليه، وكان ما ذكرناه.

ويتكلم عن أصل المرابطين فيذكر أنهم من حمير بن سبأ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاه يسكنون الصحارى الجنوبية، وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب، وبيوتهم من الشعر والوبر وأول من جمعهم وحرضهم على القتال وأطمعهم فى هذه البلاد عبد الله بن ياسين وقام مكانه أبو بكر بن عمر الصنهاجى المتقدم، ذكره، ومات فى حرب السودان.

وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه، وهو الذى سمى أصحابه بالمرابطين، وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم، وسبب ذلك ما قيل من أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد، تفعله الخواص منهم ثم صارت عامتهم تتلثم.

وقيل إن سبب ذلك التلثم أن بعض أعدائهم كانوا ينتهزون فرصة غيبتهم، فيطرقون الحى، فيأخذون المال والحريم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء فى زى الرجال ويقعدوا هم فى بيوتهم متلثمين فظنهم الأعداء نساء، فخرجوا إلى العدو وقتلوه، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة، فلا يعرف الشيخ من الشاب، ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا.

الزلاقة بطحاء من إقليم بطليوس فيها كانت الواقعة الشهيرة للمسلمين على النصارى الطاغية أذفونش بن فرذلند عهد المعتمد محمد بن عباد وكان ذلك فى ١٢ رجب ٤٧٩هـ/ يوليو ١٠٩١م.

وكان السبب فى ذلك فساد الصلح المنعقد بين الطاغية وبين المعتمد بن عباد وقد كان المعتمد اشتغل عن أقاليمه الغربية فى الوقت الذى صارت عادته أن يؤديها فيه، فتأخر لذلك عن أداء الأتارة فى وقتها بغزو ابن صمادح صاحب المرية، فاستشاط الطاغية غضبا، وتشطط فطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن فى التجنى فسأل فى دخول امرأته القمطيجة إلى جامع قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها، حيث أشار عليه القسيسون والأساقفة لمكان كنيسة كانت فى الجانب الغربى منه يعظمه عندهم، عمل عليها المسلمون الجامع الأعظم وسأل أن تنزل امرأته المذكورة بمدينة الزهراء غربى قرطبة، تنزل بها فتختلف منها إلى الجامع المذكور، حتى تكون الولادة بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة ذلك الموضع الموصوف من الجامع.

وذكر أن الأطباء أشاروا عليه بالولادة فى الزهراء كما أشار عليه القسيسون الجامع، وسفر فى ذلك بينهما يهودى وكان وزيرا لابن فرذلند، فتكلم بين يدى المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه، فأيأسه ابن عباد من جميع ذلك فأغلظ له اليهودى فى القول وشافهه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه فأنزلها على رأس اليهودى، فألقى دماغه فى حلقه، وأوصى به منكوسا بقرطبة.

واستفتى ابن عباد الفقهاء لما سكت عنه الغضب عن حكم ما فعله باليهودى، فبادر محمد بن الطلاع بالرخصة فى ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة إلى ما يستوجب له القتل إذ ليس له أن يفعل ما فعل، وقال للفقهاء حين خرجوا: إنما بادرت بالفتوى خوفا من أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة فرجا، عسى أن يجعل الله فى عزيمته فرجا للمسلمين.

وبلغ أذفونش ما صنع ابن عباد، فأقسم بآلهته ليغزونه فى إشبيلية، ويحصره فى قصره، فجرد جيشين جعل على رأس أحدهما عدد من مساعير كلابه وأمر أن يسير إلى كورة باجة من غرب الأندلس ويغير على تلك التخوم والجهات، ثم يمر من نبلة إلى إشبيلية، وجعل موعده وإياه طريانة للاجتماع معه، ثم زحف ابن فرذلند بنفسه فى جيش آخر عرمرم فسلك طريقا غير طريق صاحبه، وكلاهما عاث فى بلاد المسلمين وخرب ودمر حتى اجتمعا لموعدهما بضفة النهر الأعظم قبالة قصر ابن عباد.

وفى أيام مقامه هناك كتب إلى ابن عباد زاريا عليه وكثر بطول مقامى فى مجلس الزبان واشتد علىّ الحر، فألقنى من قصرك بمروحة أروح بها على وجهى وأطرد الذباب عنى، فوقع له ابن عباد بخطه فى ظهر الرقعة: قرأت كتابك وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك مراوح من الجلود المطية فى أيدى الجيوش المرابطية تروح منك لا تروح عليك، فلما ترجم لابن فرذلند كتاب ابن عباد فى الجواب أطرق إطراق من لم يخطر له ذلك على بال.

وفشا فى بلاد الأندلس توقيع ابن عباد، وما أظهر من العزيمة على إجازة الصحراويين والاستظهار بهم على عدوه فاستبشر الناس، وفتحت لهم أبواب الآمال، وانفرد ابن عباد بتدبير ما عزم عليه من مداخلة، فمنهم من كتب إليه ومنهم من شافهه، كلهم يحذره من سوء عاقبة ذلك، وقالوا له: الملك عقيم، والسيفان لا يجتمعان فى غمد واحد، فأجابه ابن عباد بكلمته السائرة مثلا:

رعي الجمال خير من رعي الخنازير، أي إن كونه لابن تاشفين أسيرا ومأكولا يرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا لابن فرذلند أسيرا يرعى خنازيره في قشتاله.

وكان مشهورا برزانة الاعتقاد، وقال لعذاله ولوامه: يا قوم أنا من أمرى على حالتين: حالة يقين وحالة شك، ولا بد لى من إحداهما، فأما حالة الشك فإنى إن استندت إلى ابن تاشفين أو ابن فرذلند فمن الممكن أن يفيا لى ويبقيا على، وممكن ألا يفعلا، وأما حالة اليقين فهى أننى إذا استندت إلى ابن فرذلند أسخطت الله، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة، فلأى شيء أدع ما يرضى الله وآتى ما يسخطه؟ فحينئذ أقصر أصحابه عن لومه.

فلما عزم خاطب جاريه المتوكل بن عمر بن محمد صاحب بطليوس وعبد الله بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي صاحب غرناطة، يسألهما أن يبعث كل منهما قاضي بلدته ففعلا ثم استحضر قاضي الجماعة بحضرته قرطبة أبا بكر عبيد الله بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه.

فلما اجتمع القضاة عنده بإشبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون، وعرفهم أنهم هم أربعتهم رسله إلى يوسف بن تاشفين، وأسند إلى القضاة ما لا بد منه في تلك السفارة من إبرام العقود السلطانية.

وكان ابن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود أهل الأندلس مستعطفين مجهشين في البكاء ناشدين الله والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيستمع إليهم ويصغى إلى قولتهم وترق نفسه لهم، فما عبرت رسل ابن عباد وتشوقه إلى نصرة أهل الإسلام بالأندلس، وسأله أن يخلى الجاز، فعقدوا عليه، فشكاه يوسف إلى الفقهاء فأفتوا أجمعين بما لا يسر صاحب سبتة.

ولما انتهت الرسل إلى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مثواهم، وجددوا الفتوى في حق صاحب سبتة، واتصل ذلك بابن عباد فانتظمت في سلك يوسف، ثم جرت بينه وبين الرسل مراوضات، ثم انصرفت إلى مرسلها، ثم عبر يوسف البحر عبورا هنيئا حتى أتى الجزيرة الخضراء فتحوا له وخرج إليه أهلها بما عندهم من الأقوات والضيافات وجعلوا سماطا أقاموا فيه سوقا جلبوا إليه من عندهم

من سائر المرافق، وأذنوا للغزاة في دخول البلد، فامتلأت المساجد والرحبات بضعفاء الموطعين تواصوا بهم خيرا.

فلما عبر يوسف وجميع الجيوش انزعج إلى إشبيلية على أحسن الهيئات جيشا بعد جيش، وأميرا بعد أمير، وقبيلا بعد قبيل وبعث المعتمد ابنه للقاء يوسف وأمر عمار البلاد أن يجلبوا الأقوات والضيافات، ورأى يوسف من ذلك ما سره ونشطه، وتواردث الجيوش مع أمرائها إلى إشبيلية، وخرج المتعمد للقاء يوسف والتقيا منفردين، وتصافحا وتعانقا وأظهر كل واحد منهما المودة والخلوص فشكروا نعم الله وتواصيا بالصبر والرحمة وبشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو الكفر وتضرعا إلى الله تعالى في أن يجعل ذلك خالصا لوجهه ومقربا إليه، وافترقا، فرجع يوسف لمحلته ورجع ابن عباد إلى جهته، ولحق بابن عباد ما كان أعد من هدايا وتحف وألطاف أوسع بها محلة ابن تاشفين، وباتوا تلك الليلة، فلما أصبح الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقديم إلى أشبيلية، ففعل وأعان وخرج وأخرج وخ بن فرذلند فوقف على الدروب ومال بجيوشه إلى الجهة الغربية من بلاد الأندلس وتقدم يوسف فقصده، وتأخر ابن عباد لبعض الأمر، ثم انزعج يقفو أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الأندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته، وجاءتهم الطلائع بخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم، وهو يوم الأربعاء، فأصبح المسلمون قد أخذوا مصافهم، فكع ابن فرذلند ورجع إلى إعمال الحيلة والخديعة، فبعث إلى ابن عباد يقول...

وعند ذلك بعث ابن عباد كاتبه ابن القصيرة إلى يوسف بن تاشفين فعرفه بجلية الأمر، فقال له: قل له إني سأقرب إليك إن شاء الله تعالى، وأمر يوسف بعض قواده أن يمضي بكتيبة رسمها له حتى يعزم محلة النصارى فيضرمها نارا ابن فرذلند مشتغلا مع ابن عباد.

وانصرف ابن القصيرة إلى المعتمد، فلم يصله إلا وقد غشيه جنود ابن فردلنذ، فصدمها ابن عباد صدمة قطعت آماله ولم ينكشف له، فحميت بينهما، ومال ابن فردلند على المعتمد بجيوشه،

وأحاطوا به كل جهة، واستمر القتال والقتل فيهم، وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لأحد واستبطأ يوسف وهو يلاحظ طريقه، وعضته الحرب، واشتهر البلاء وأبطأ عليه الصحراويون، وساءت ظنون أصحابه وانكشف بعضهم، وفيهم ابنه عبد الله، وأثخن ابن عباد جراحات، وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت إلى صدغيه، وجرحته جرحا كبيرا وطعن وأصابت الجراح أحد جانبيه وأصيب الكثير من رجاله، وعقرت تحته ثلاثة أفراس كلما هلك واحد قدم له آخر، وهو يقاسى حياض الموت، ويضرب يمينا وشمالا، وتذكر فى هذه الحالة ابنا له صغيرا كان مغرما به، تركه بإشبيلية عليلا اسمه العلاء وكنيته أبو هاشم فقال:

أبا هاشم هشـــمـــتنى الشـــفـــار
ولله صـــــبــــــرى لـذاك الأوار
ذكـــرت شـــخـــيـــصك تحت العـــجـــاج
فـلـم يـثـنـنـى ذكـــــره لـلـفـــــرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة، وكان بطلا شهما، فنفس بمجيئه عن ابن عباد، ثم أقبل يوسف بعد ذلك وطبوله تصدع الجو فلما أبصره ابن فردلند وجه أشكولته إليه وقصده بمعظم النهار، وأعد له جنوده، وقد كان عمل حساب ذلك من أول النهار، وأعد له هذه الأشكولة، وهى معظم جنوده، فبادر إليه يوسف بجمعه فردهم إلى مركزهم، وانتظم به شمل ابن عباد، ووجد ريح الظفر، وتباشر بالنصر، ثم صدقوا جميعا الحملة، فتزلزلت الأرض بحوافر خيولهم ، وأظلم النهار بالعجاج والغبار، وخاضت الخيل فى الدماء، وصبر الفريقان صبرا عظيما، ثم تراجع ابن عباد إلى يوسف، وحمل معه حملة نزل منها النصر وتراجع المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفئتين فصدقوا الحملة فانكشف الطاغية، وفر هاربا منهزما، وقد طُعن فى إحدى ركبتيه طعنة بقى أثرها إلى آخر عمره فكان يتألم منها، فلجأ إلى تل كان يلى محلته فى

مائة فارس كلهم مكلوم، وأباد القتل والأسر من عداهم من أصحابهم وعمل المسلمون بعد ذلك من رؤوسهم صوامع يؤذنون عليها، وابن فرذلند ينظر إلى موضع الوقيعة ومكان الهزيمة، فلا يرى إلا نكالا محيطا به وبأصحابه.

وأقبل ابن عباد على يوسف فصافحه وهنأه وشكره وأثنى عليه، وشكر يوسف مقامه وحسن بلائه وجميل صبره، وسأله عن حاله حين أسلمته رجاله بانهزامهم عنه فقال: هم هؤلاء قد حضروا بين يديك فاسألهم فليخبروك.

ولما انحاز الطاغية بشرذمته جعل ابن عباد يحرض على اتباع الطاغية وقطع دابره، فأبى ابن تاشفين واعتذر بأن قال: لو اتبعناه اليوم لقى فى طريقه أصحابنا المنهزمين راجعين إلينا منصرفين فيهلكهم، بل نصبر بقية يومنا حتى يرجع إلينا أصحابنا، ويجتمعوا بنا، ثم نرجع إليه فنحسم داءه، وابن عباد يرغب فى استعجال إهلاكه ويقول: إن فر أمامنا لقيه أصحابنا المنهزمون فلا يعجزون عنه، ويوسف مصر على الامتناع من ذلك.

ولما جاء الليل تسلل ابن فرذلند وهو لا يلوى على شيء وأصحابه يتساقطون فى الطريق واحدا بعد واحد من أثر جراحهم، فلم يدخل طليطلة إلا فى دون المائة.

وتكلم الناس فى اختلاف ابن عباد وابن تاشفين فقال شيع ابن عباد: لم يخف على يوسف أن ابن عباد أصاب وجه الصواب والرأى فى معاجلته ولكن خاف أن يهلك العدو الذى من أجله استدعاه، إنما أراد ابن عباد قطع حبال يوسف من العود إلى إلى جزيرة الأندلس، وقال آخرون: كلا الرجلين أسرحسوا فى اتغاء، وإن كان ابن عباد أحرى بالصواب.

ولما فرغ ابن عباد من وقيعة يوم الجمعة تواردت عليه أنباء من قبل السفن، فلم يجد معها بدا من سرعة الكرة، فانصرف إلى إشبيلية وأراح بخارجها ثلاثة أيام ورحل إلى بلاده، ومشى ابن عباد

معه يوما وليلة، فعزم عليه يوسف فى الرجوع، وكانت جراحاته تثعب وثورم يحلم رأسه فرجع وأمر ابنه بالمسير بين يديه إلى فرضة المجاز حتى يعبر البحر إلى بلده.

واستشهد فى ذلك اليوم جماعة من أعيان الناس كابن رميلة وقاضى مراكش أبى مروان عبد الملك المصمودى وغيرهما، وطار ذكر ابن عباد بهذه الوقيعة وشهد مجده ومالت إليه القلوب وسالمته ملوك الطوائف، وخاطبوه جميعا بالتهنئة، ولم يزل ملحوظا معظما، إلى أن كان من أمره مع يوسف ما كان.

الجواز الثانى ليوسف بن تاشفين(١):

كان جوازه الثانى سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، سببه: حدث الوزير أبو بكر بن عتاب قال: لما كان بعد وقعة الزلاقة بسنين وفدت على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بحضرة مراكش جملة من وجوه الأندلس من أهل بلنسية ومرسية ولورقة وبسطة فشكوا إليه ما حل بأهل بلنسية من أهل الانبيطور، وهو من ملوك الروم، قد لازم حصارها حتى دخلها، وشكوا له ما حل بأهل مرسية وأعمال لورقة وبسطة من شأن لبيط Aledo، وهو حصن حصين فى أعلا جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم بملكه العدو، وكانت سراياه تسير شرقا وغربا إذ كان فى موسطة بلاد المسلمين، فلم يزل وجوه الناس من أهل تلك البلاد يترددون عليه بالشكوى حتى وعد بالجواز إليهم إذا تمكن الفصل.

ثم إن ابن عباد تحرك من إشبيلية فى خاصته، وعبر البحر إلى يوسف بن تاشفين، فتلقاه بالدخلة إلى وادى سبو فتلقاه بوجه طلق وصدر رحب وإكرام جسم وقال له: ما السبب الذى دعاك إلى الجواز إلينا، وهلا كتبت بحاجتك؟ فقال له: جئتك وجهادا وامتعاضا للدين، وقد أجرى الله

(١) الحلل الموشية ٥٤- ٦٢ .

الخير على يديك، وقد اشتد ضرار النصارى المستولين على حصن لبيط وعظم أذاهم بالمسلمين لتوسطه فى بلادهم، ولا جهاد أعظم منه أجرا ولا أثقل فى الميزان وزنا.

فتلقى أمير المسلمين مقصده بالقبول ووعده بالحركة والجواز فاستحثه واستوثق منه وصار إلى حضرة إشبيلية وتقدم إلى كل طبقة من أهل مملكته وأكثر من أعمال السهام والمطارد، وعمل الرعادات وغير ذلك من الآلات، ولما رتب أشغاله ومهد أحواله من ذلك ما حوى له، اتصل به جواز أمير المسلمين وجوازه البحر واستقراره بالجزيرة الخضراء، فتلقاه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من الكرامات والمبرة.

وأنفذ أمير المسلمين كتبه إلى ملوك الأندلس يستدعيهم للجهاد معه والموعد حصن لبيط، فاجتاز على مالقة واستنصر قائدها المستنصر بالله تميم بن بلقين بن باديس صاحب غرناطة والمعتصم بن صمادح من المرية، وتوافى رؤساء الأندلس من شقورة وبسطة وجيان وكل مكان وجاءهم من مرسية البناؤون والنجارون والحدادون واضطربت المحلة محدقة بحصن لبيط، وكان بداخله من الروم ألف فارس واثنا عشر ألف راجل، واتصلت السابلة وكثر الوارد، واتصلت الحروب على الحصن ليلا ونهارا، وكل أمير من أمراء المسلمين يقاتل فى يومه بخيله ورجله مداولة بينهم، وتمادى ذلك شهرا.

واجتمع المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين وظهر لهما من حصانته ومنعته واستصعابه ما أيأسهم عنه ولو كان من غير سور لكان جفاء جرفه عاصما له وأنه لا يتأتى لهم أخذه إلا بالمطاولة وقطع مادة القوت عنهم.

وكان جملة من وصل من رؤساء الأندلس ابن رشيق صاحب مرسية المنتزى به على ابن عباد، فشكا المعتمد من ابن رشيق لأمير المسلمين وانتزاؤه عليه وأنه دفع جبايتها مصانعة للطاغية ابن

أذفونش فحضر ابن رشيق، فأمر ابن تاشفين بالقبض عليه وإسلامه فى يد ابن عباد ونهاه عن قتله فثقفه ابن عباد، فهرب للحين أصحاب ابن رشيق وقرابته وجميع محلته إلى مرسية وانتزوا بها ومنعوا الميرة عن المحلة، فاختلت أمورها ووقع الغلاء وارتفع السعر فيها، فضاقت بالناس الأحوال.

وفى أثنـاء ذلك استصـرخ أهـل الحصـن سلطانـهم فأخذ فى الحشد ويمم الحصن فى أمم لا تحصى، فاقتضى رأى يوسف بن تاشفين التوسعة عن الحصن وتأهب للقائه، فتأمر بمحلته إلى ترياسة وهى موضع الماء والثمر، وظهر له أن الأذفونش إذا وصل فغايته تخليص قومه وإخلاء الحصن ويزول ضرره وأن الصواب إخلاء الطريق له.

ولما وصله للحين وجد قوما جياعا لا يقدرون على إمساك الحصن فحرقه وخرج من فيه من قومه، فجرد يوسف من عسكره جيشا ينيف على ٤٠٠٠ فارس بعثه إلى بلنسية وأردف بعده عسكرا عظيما قدم عليه محمد بن تاشفين إلى جهة وانصرف إلى العدوة، فتحرك الجميع بحركته وعادوا إلى بلادهم.

وهذا هو تلخيص خبر جواز الثانى إلى الأندلس .

جواز يوسف بن تاشفين الثالث إلى الاندلس :

كان جوازه الثالث سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وسببه أنه لما كان على حصن لبيط نقل إليه عن ملوك الأندلس كلام أحفظه ووغر صدره عليهم، وهو الذى أزعجه إلى العدوة.

ولما تبين لهم تغيره عليهم وإعراضه عنهم نظر كل واحد منهم لنفسه بغاية حزمه، فأول من شهر ذلك وتظاهر به وجد فيه المظفر عبد الله بن بلقين بن زيرى بن باديس، واتصلت أنباؤه بيوسف ابن تاشفين فاستشهد غصبيه عليه، ولما احتل بالجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد، فتلقاه بعادته من التعظيم واحتفل فى التضبيف والتكريم، وتوالت عليه الأخبار من الأمير عبد الله بن بلقين بما يغيظه

ويحقده فاستنزل من مالقه أخاه المستنصر تميم بن بلقين ودخل معه البلاد وسلمه الأمر وقام ينظر في توطيد البلد وتنظيم الأمور، واحتمله هو وأخاه المستنصر تميما إلى العدوة وأسكنهما بأغمات.

وقد استوفى الكلام عن هذا الأمير عبد الله بن بلقين في الكتاب الذى ألفه في دولة قومه، وكان المعتمد بن عباد والمتوكل ابن الأفطس قد قدما عليه بغرناطة يهنآنه بما تهيأ له من ملك غرناطة ومالقة، فلم يقبل عليهما وأعرض عنهما، وانصرفا عنه إلى بلادهما، وأدرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، وقال لحليفه المتوكل بن الأفطس والله لا بد له من أن يسقينا من الكاس الذى أسقى به عبد الله بن بلقين.

ولما عاد ابن عباد إلى إشبيلية أخذ في بناء الأسوار وعمل القنطرة فقال له ابنه أبو الحسن على ابن الرشيد: ألم أقل لك يا أبت، يخرجنا هذا الصحراوى من بلادنا إن أنت أوردته علينا، قال: يا بنى لا ينجى حذر عن قدر.

ولما كان في سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١ تحرك يوسف بن تاشفين إلى سبتة لجواز عساكره اللمتونية إلى الأندلس لمنازلة ملوك الطوائف وحصار بلادهم، وفى أثناء مقامه بها أمر ببناء المسجد الجامع بسبتة، والزيادة فيه، فزاد حتى أشرف على البحر وبنى البلاط الأعظم منه، وأمر ببناء سور الميناء السفلى، وشرع في جوازهم، فقدم ابن عمه الأمير سير بن أبى بكر على عسكر، وأمره بمحصارة ابن عباد بإشبيلية، وأوعز له أنه إذا فرغ من شأنه فيتقدم لبلاد المتوكل ابن الأفطس، وقدم أبا عبد الله بن الحاج على عسكر كان معه وأمره بمنازلة الفتح الملقب بالمأمون ولد المعتمد بن عباد بقرطبة، وقدما أبا زكريا بن واسينو على عسكر ثالث وأمره بمحاجرة المعتصم محمد بن معن بن صمادح بالمرية، وقدم جروز الحشمى على عسكر رابع وأمره بمنازلة يزيد الراضى ولد المعتمد بن عباد برنده وجوز العساكر، وانصرف كل فريق إلى حيث أمرهم وأقام هو في سبتة مترقبا لأخبارهم،

ومتشوقا إلى ما يحدث عنهم، فكان منهم بالأندلس ما هو مشهور من الاستيلاء على بلادهم والغلبة على مملكتهم، وليس هذا موضع التقصى لأخباره، لما قصدنا من إيجاز القول واختصاره.

ولم يبق بالأندلس إلا ولاية ابن هود، لأن المستعين بالله أبا جعفر أحمد بن المؤتمن بالله أبا الحجاج يوسف بن المقتدر بالله أبى جعفر بن المستعين بالله سليمان بن محمد بن هود الجذامى أقام ببلاده بشرق الأندلس، وكان يومئذ بيده عمارة الثغر الأعلى وهى سرقسطة وتطيلة وقلعة أيوب ودروقة ووشقة وبريشترو ولاردة وأفراغة وإفراغه وبلغسى ومدينة سالم ووادى الحجارة وما والى ذلك كله بحصن بلاده وملك رعيته، فخاف أمره، ولم تدخل عليها بسببه داخلة.

وكان مع ذلك يهادى أمير المسلمين ويكاتبه، وقال له فى مكاتبته: نحن بينكم وبين العدو سد لا يصلكم منه ضرر وفينا عين تطرف، وقد قنعنا بمسالمتكم، فاقنعوا منا بها إلى ما نعينكم به من نفيس الذخائر، ووجه إليه ابنه عماد الدولة أبا مروان بن عبد الملك، فأجابه ابن تاشفين إلى شرفك ومآثر سلفك، ونحن نحمد الله بجميع المحامد ونستهديه أحسن الموارد، ونسأله أتم الفوائد وأنجح المقاصد ونصلى على رسول الله، وأما الذى عندنا أيدنا الله لجنابك الكريم ومجدك الصميم، ومحلك المعلوم وعقد فى ذات الله صحيح، ووردنا نشأة السيادة والنبل والنباهة والفضل أبو مروان بن عبد الملك ابنك ولادة وتنسبا وابننا ودادا وتقربا، زاد الله به عينيك قرة ونفسك مسرة، ومعه خاصتك الوزيران أبو الأصبع وأبا عامر أكرمهما الله بتقواه وكلا وفيناه حق نصابه وأتينا بره من بابه وأديا إلينا كتابك الجليل الخطير المقبول المبرور، فوقفنا منه على وجه شخوصهما، وأصغينا فى تفصيل جملته على توصيلهما فألقينا لهما مراجعة فى ذلك من لقنوه، وسفرنا لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه وجملته الوفاق وجماعة الانتظام فى سلك الله تعالى والاتساق إن شاء الله تعالى والسلام.

فأقام ابن هود رضى البال يهدد النصارى بالمسلمين ويهدد المسلمين بالروم بكونة حائلا بينهم وبين بلاد الإفرنج والأرومانيين، وقد كان الإفرنج قبل ذلك بأعوام قليلة خرجوا من الأرض الكبيرة

إلى الأندلس في جموع كثيرة ليس لها حد ولا يحصى عدد غير الله، وانتشروا على ثغور سرقسطة، وأثخنوا وسبوا وقتلوا وتغلبوا على مدينة بربشترو عنوة وقتلوا فيها نحو أربعين ألفا ما بين فارس وراجل وأسروا النساء والأولاد فاسترجعها من أيديهم المقتدر بالله بن هود، ودخل عليهم ولم ينج من أهلها إلا يسير، يذكر أنه تآلف عنده عند استفتاحها ٦٠٠٠ من الرماة بالقسى العقارة.

قال البراكي: دخل منها سرقسطة نحو خمسة آلاف من الخيل والدرع ما لا يحصى، فشاع لابن هود في هذا الذي تم على يده صيت بعيد، وكان يتحف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وجاد به مما تحصل بيده من نفيس الذخائر واليواقيت والجواهر، اتصل به ذلك من أقبال الدولة أبي الحسن على الموفق بالله أبي الحسن على بن مجاهد العامري صاحب دانية وعاملها ظفر بها لما تغلب على دانية، وذلك أن مصر كانت بها مجاعة كبيرة ومسغبة شديدة، وكانت دانية في شرق الأندلس كثيرة الخصب، فبعث ابن موسى بن دانية إلى الشام مركبا كبيرا محشوا بالزرع، فعاد إليه بكل ذخيره وتحفة خطيرة، فلما تغلب المقدر على عمالة الموفق تحصل بيده ما ذكر، واستولى عليه فتحصل له بذلك ما لم يكن عند غيره من ملوك الأندلس.

وهذا هو تفصيل الخبر عن الجواز الثالث والحمد لله.

ابن جحاف والسير:

ذكر دولة القاضي أبي جعفر أحمد بن جحاف بن عبد الله بن جعفر بن جحاف بن يُمن بن سعيد المعافري البلنسي وذكر سببه.

لما ملك القادر بلنسية أحدث فيها أحداثا وغير أحكاما، وأظهر منكرا كثيرا وصادق أذفونش وهادة وراسله، فخاف أهل بلنسية من أن يملكها بلنسية كما ملكه طليطلة، فاجتمعوا وعزموا على قتله وتقديم ابن جحاف، فدخل عليه وقتله ليلة الثلاثاء ٢٣ من رمضان كما تقدم وبويع ابن

جحاف فى صبيحتها وهو يوم الثلاثاء ٢٤ رمضان ٤٨٥هـ/ نوفمبر ١٠٩٢م، ودخل القصر فوجد فيه من الأموال والأثاث وذخائر الملوك شيئا كثيرا واحتوى على ذلك كله.

وكان الرجل قد تثقف بشاطبة على أبى عمر بن عبد البر، وسمع الحديث من أبى العباس العدوى وغيره إلى أن غزاه قمط من أقماط النصارى يقال له القنيطور El Cid Campeador ومعناه صاحب الفحص لذريق، فطمع فى أخذ بلنسية، فضايقها مضايقة شديدة وحصرها حصارا عظيما، وقطع عنها المرافق ونصب المجانيق ونقب الأسوار، وعدم الناس الطعام وأكلوا الفئران والكلاب والجيف إلى أن أكل الناسُ الناسَ، ومن مات منهم أكلوه، فبلغ الناس من الجهد ما لا يطيقون.

وقد ألف ابن علقمة كتابا فى أمر حصارها يبلى القارئ ويذهل العاقل.

ولما طال عليها البلاء وعدموا الصبر وكان المرابطون قد خرجوا من الأندلس إلى العدوة، ولم يجدوا ناصرا عزموا على تسليمها للقنيطور، فاستأمنوه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم، وفتح الباب ودخل القنيطور البلد ونزل فى القصر وتملك بلنسية وذلك فى سنة ٤٨٨هـ/ أكتوبر ١٠٩٥م، فكانت دولة ابن جحاف ٣ سنين و٤ أشهر و٧ أيام، وكان القنيطور قد قتل ابن جحاف، وكان سبب قتله أن القنيطور لما تسلم من ابن جحاف جميع ذخائر المقتدر، وكان ابن جحاف قد أمسك منها ذخيرة نفيسة، فوجدها عنده القنبيطور، فسأله عنها فأنكرها، فأمر بحلفه بحضرة الشهود وأعيان المسلمين وأعيان النصارى، فحلف أنها ما هى عنده ولا رآها ولا هى عنده فأخلى سبيله، ثم إنه عثر عليها بعد ذلك عنده.

وقال أبو العباس أحمد بن علقمة فى تاريخه وكان ممن شهد الموطن وكان فى فى الحصار أن القنبيطور طلبه فى الأموال، فأخرج له أسبابا كثيرة وأثاثا كثيرا، فقال القنيطور: ومن تكون عنده الأسباب فما يكون عنده مال؟ فغضب وأمر بتعذيبه عذابا شديدا، ثم أمر فجمع له حطب كثير،

وحفرت له حفرة وأقيم فيها، وصير الحطب حوله وأوقدت فيه النار، فكان يقم النار بيده إليه ليكون ذلك أسرع لخروج روحه.

ولم تزل بلنسية بيده حتى استخلصها منه مزدلى المرابط سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م.

مقتل القادر بن ذى النون فى بلنسية :

وانتقل حفيد ابن ذى النون إلى بلنسية بمشايعة ملك قشتالة، وأرسل معه جيشا أدخله واستقر بها فى رمضان ٤٨٥هـ/ أكتوبر ١٠٩٢م، وقد تملك ابن عائشة قائد ابن تاشفين مرسية فاستدعاه أهل بلنسية وعرضوا عليه مدينتهم فأقبل إليها قائده من اللمتونيين، وخرج القاضى ابن جحاف والفقهاء لتلقيه وإدخاله البلد ففر ابن ذنون من القصر، ولم يمكنه الخروج من المدينة، فاختفى ببعض الدور الخالية، فظهر عليه ليلة الجمعة من رمضان من السنة، وسيق إلى القاضى ابن جحاف فأمر بقتله، وتولى ذلك فتى من بنى الحديدى القتيل بطليطلة، وطيف برأسه واستولى ابن جحاف على ما كان له وطرحت جثته فى سنجة، فواراه رجل احتسابا وصدقة ودفن دون كفن.

ايام القاضى ابن جحاف رئيس بلنسية :

وكان (ابن جحاف) قاضى حضرة بلنسية، وله فيها الأصالة الماجدة الناطقة بالقيم الشاهدة، وكان قد سئم استضافة عدو الله القنيطور ببلنسية وسومه أهلها خطة الخسف وشم الذل، وضاق صدره بحفيد ابن ذى النون المنتقل إليه بعد تمكين النصارى من طليطلة، فتوى بمكان دولة اللمتونيين، وتمكن على أيديهم من كشف المحنة، والخروج من ذل القنيطور مستعبد أهل بلنسية وجالب ضروب جباياتها بصرامته، فاستعدى محمد بن عائشة قائد يوسف بن تاشفين، فوجه إليه جمعا من المرابطين، وبرز الناس للقائه، وفر لذلك حفيد ابن ذى النون من قصره، وثار البلد به، وعثر عليه فقتل بأمر القاضى ابن جحاف كما تقدم، وتمت له الاحجاف للرياسة فى البلد، فرتب

الأجناد والخدم واستشعر أبهة الملك، وحذا حذو ابن عباد بإشبيلية، فلم تساعده الأيام، وخاطبة القنيطور يهنئه على ما تهيأ، وفى قلبه من استظهاره بسلطان لمتونة النار المضرمة، وأخذ يعرض له بالحسنة التى اكتسبها فى شهر صومه من قتل سلطانه ويطالبه بالأطعمة التى كانت له بحصون بلنسية وانتهبا رجاله، فراجعه أن البلد لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين والأطعمة انتهت، فكاتبه القنيطور يقسم بمجرحات دينه ألا يبرح بلنسية حتى يظفر به ويأخذ ثأر ابن ذى النون، وخاطب من جاوره من أمراء الحصون يستمد الأقوات للمحلة.

ثم كاد القنيطور ابن جحاف وخدعه وداخله فى إقامة أوده وتوطيد ملكه إذا صرف اللمتونيين وأزعجهم (وقال) إنه يسوغ استبداده بالملك ويقيمه مقام ابن ذى النون، ويقاتل عنه من يريده، وعند ذلك استبصر فى التضييق عليه، فعظم الغلاء وتضاعف البلاء، واستصرخ بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فبعث إليهم جيشا عظيما انتصر عليه القنيطور، فأيقن الناس بالهلكة واشتد عليه كلب العدو إلى أن استأمنوه على أنفسهم، وخرج إليه ابن جحاف وأحكم معه العقد ودخل العدو المدينة فى جمادى الأولى ٤٨٧هـ/ يونيو ١٠٩١م وتجهزت إليه فما أغنت، ولما تمكن فيها سام أهلها سوء العذاب واستخلص أموالهم وأذاقهم وبال أمرهم بما هو معروف، واعتقل القاضى أبا المطرف أحمد بن جحاف، وعم بالنكبة جميع قرابته وأهله، فلما استصفى جميع ماله من ظاهر وباطن، أمر بإضرام النار وسيق القاضى ابن جحاف يرسف فى قيوده بين أهله وولده وقد حشر الناس من أهل الملتين، وقال للناس ما جزاء من قتل أميركم فى شرعكم؟ فصمت الناس، وتضرع الناس إليه فى ترك العيال والأطفال فتركهم، ثم حفرت حفرة أدخل فيها القاضى ابن جحاف إلى رقبته فاحترق، وكان ذلك فى أخريات السنة.

مملكة بنى نصر فى غرناطة

فى ذلك الحين منتصف القرن السابع الهجرى كان أبو محمد عبد الله بن نصر يعمل باجتهاد فى تأسيس مملكة له بغرناطة، ومراجعنا عن أحداث السنوات الأولى لهذه الدولة قليلة وإن كانت المعلومات عن بقية هذه الدولة التى استمرت إلى قرب نهاية القرن الخامس عشر كثيرة والحمد لله (من ٦٢٠هـ إلى ٨٠٧هـ/ ١٢٣١م إلى ١٤٩١م) وسنورد ما لدينا من التفاصيل فيما بعد، ولكن إليك أولا بيانا بأسماء ملوك هذه الدولة وتواريخ حكمهم:

١- أبو عبد الله محمد بن نصر الغالب بالله: ٦٢٩هـ- ٦٧١هـ/ ١٢٣٢م- ١٢٧٣م.

٢- أبو عبد الله محمد الثانى، ابنه الملقب بالفقيه ٦٧١هـ- ٧٠١هـ/ ١٢٧٣م- ١٣٠٢م.

٣- أبو عبد الله محمد الثالث الملقب بالمخلوع ٧٠١هـ- ٧٠٨هـ/ ١٣٠٢م- ١٣٠٩م.

٤- أبو الجيوش نصر ٧٠٨هـ- ٧١٣هـ/ ١٣٠٩م- ١٣٢٥م.

٥- أبو الوليد إسماعيل ٧١٣هـ- ٧٢٥هـ/ ١٣١٤م- ١٣٢٥م.

٦- أبو عبد الله محمد الرابع ٧٢٥هـ- ٧٣٣هـ/ ١٥٢٣م- ١٣٩٤م.

٧- أبو الحجاج يوسف المؤيد بالله ٧٣٣هـ- ٧٥٥هـ/ ١٣٣٣- ١٣٥٤م.

٨- أبو عبد الله محمد الخامس، الغنى بالله ٧٥٥هـ-٧٦٠هـ/ ١٣٥٤م- ١٣٥٩م، ثم ٧٣٣هـ- ٧٥٥هـ/ ١٣٦٠م- ١٣٦٢م.

٩- أبو الوليد إسماعيل الثانى ٧٦٠هـ- ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م- ١٣٦٠م.

١٠- أبو عبد الله محمد السادس ٧٦١هـ- ٧٦٣هـ/ ١٣٦٠م- ١٣٦٢م.

١١- أبو الحجاج يوسف الثانى، المستغنى بالله ٧٩٣هـ- ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م- ١٣٩٢م.

١٢- أبو عبد الله محمد السابع ٧٠٤هـ- ٧١٨هـ/ ٧٩٤هـ- ٨١٠هـ/ ١٣٩٢م- ١٤٠٥م.

١٣- أبو الحجاج يوسف الثالث، الناصر لدين الله ٨١٠هـ- ٨٢٠هـ/ ١٤٠٨م- ١٤١٧م.

١٤- أبو عبد الله محمد الثامن الأيسر ١٤١٧هـ- ١٤٢٧هـ/ ١٤٢٩م- ١٤٣٢م ثم من ١٤٣٢م- ١٤٤٥م.

١٥- أبو عبد الله محمد التاسع الصغير: ١٤٢٧م- ١٤٢٩م.

١٦- أبو الحجاج يوسف الرابع: ١٤٣٢م.

١٧- أبو عبد الله محمد العاشر، الأخنف: ١٤٤٥م- ١٤٥٥م.

١٨- أبو النصر سعد المستعين بالله: ١٤٥٥- ١٤٦٥م.

١٩- أبو الحسن على ١٤٥٥- ١٤٨٢م.

٢٠- أبو عبد الله محمد الحادى عشر: أبو عبد الله أولا من ٨٨٧- ٨٨٨هـ / ١٤٨٢- ١٤٨٣م.

٢١- أبو عبد الله محمد الثانى عشر الزغل: ٨٨٨- ٨٩٢هـ/ ١٤٨٣- ١٤٨٧م.

تأسيس مملكة غرناطة : عندما أخذت سلطة الموحدين فى التضعضع فى الأندلس ظهرت شخصيتان قويتان: بنو مردانيش فى بلنسية وبنو هود فى مرسية، وقد انتهز بنو هود فرصة الاضطراب فى الأندلس للسيطرة على شرق الأندلس فى نفس ذلك الوقت ظهر بنو الأحمر واجتهد مؤسس الأسرة فى إنشاء دولة فى شرق شبه الجزيرة وجد هذه الأسرة الذى عمل على إنشائها وهو من الخزرج من أبناء سعد بن عبادة، وكان اسمه محمد بن يوسف بن نصر، وقد اشتهر بلقب الشيخ.

وفى سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م وجد بعض الأنصار أولهم بنو أشقيلولة.

وفى العام التالى أعلنت بلاد جيان ووادى آش وبياسة فى تأييد دعوته إلى إنشاء دولة.

أما بنو نصر فهم من أرغونة قرب جيان، وقد جعل غرناطة أو حمراء غرناطة مركزا لدولته ثم ضم إلى نفسه مالقة والمرية، أما مدينة لورقة فلم تدخل فى سلطانه إلا فى سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤-١٢٦٥م، وللتغلب على المنافسات أعلن نفسه مطيعا لفرناندو الأول ملك قشتالة (١٢١٧م-١٢٥٢م) ودفع له إتاوة، واضطر فى نفس الوقت إلى تأييده فى الاستيلاء على إشبيلية فى سنة ١٢٤٨م، وأيده فى توسيع مجال سلطانه فى جنوب الأندلس.

وعندما توفى فرناندو الأول وخلفه ابنه الفونسو العاشر استمر فى تأييده وأداء الاتاوة له، وهنا أصبحت مملكته وهى غرناطة الدولة الإسلامية الوحيدة المستقلة فى جنوب الأندلس، وقد امتدت المملكة من جبل طارق إلى المرية وسيطرت على جبال رنده وجبال إلبيرة.

المملكة النصرية خلال القرن الرابع عشر الميلادى:

توفى محمد الأول منشئ المملكة سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م وخلفه ابنه محمد الثانى الملقب بالفقيه الذى رأى من أول توليه أن يسعى إلى الارتباط بروابط صداقة وتعاون مع بنى مرين أصحاب السلطان السياسى الأعلى فى المغرب فى ذلك الحين، وكان عليه أن يقاوم محاولات للثورة عليه، وكان بنو مرين قد تغلبوا على بقايا الموحدين فى المغرب الأقصى، وكان أقوى المنافسين له بنى أشقيلولة أصحاب مالقة ووادى آش.

وقد استطاع محمد الثانى الفقيه أن يتغلب على الثائرين عليه قرب انطكيرة Antequera بفضل المساعدة التى تلقاها من الأمير الدوق فيليب ومن الدوق نونيود لارا Nunode Lara ولم يلبث أن لاحظ أن ملك قشتالة يرى من صالحه أن يترك الدولة الإسلامية تهلك تحت وطأة

النزاعات الداخلية، وهذا هو الذى جعل محمد الثانى الفقيه يلتفت إلى دولة بنى مرين، ووافق سلطان فاس المرينى أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى الذى عبر إلى الأندلس وأنزل هزيمتن بقوات قشتالة واستولى على طريف التى كان يحكمها Alfonso Pérezdo Guzman المشهور باسم قزمان الطيب Guzman el Bieeno بعد أن استمر يدافع عنها إلى سنة ١٢٩٣م.

ومن ذلك الحين بدأ تدخل السلطان المرينى فى أعمال سلطنة غرناطة، وكان لذلك أثر طيب فى السلطة ولكنه كان يشجع الاضطراب فيها، وكان أولئك المرينيون يسمون فى الأندلس بالغزاة، والمفرد غاز.

ومات محمد الثانى الفقيه سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م وخلفه ابنه محمد الثالث المعروف بالمخلوع، وهذا هو الذى بدأ فى إنشاء الحمراء وكان عليه أن يواجه ثورات قامت عليه فى وادى آش والمرية ولكنه فى النهاية استسلم لأمير ثار عليه فى المملكة، نصر بن محمد الذى بدأ يحكم سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م واعتزل فى مدينة المنكب.

ولم يكن حكم خلفه بأطول كثيرا من حكمه ولكنه على أى حال بذل جهدا كبيرا فى محاربة ملك أرغون الذى حاجز الجزيرة الخضراء، واضطر فى النهاية بل ترك مدينة وادى آش، وهى بلده الأصلى سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٤م، واعتزل فى هذه المدينة إلى أن مات سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م.

وكان الإمام الخامس لهذه الدولة أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر وكان من أكابر رجال هذه الأسرة، وقد أظهر لأول توليه عزما وحزما واسترجع بلاد الجزيرة وطرف ورندة وكانت بيد بنى مرين.

وفى سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م كان عليه أن يواجه هجوما قشتاليا وقد أعانه على ذلك شيخ الغزاة المرينى وانتصر على القشتاليين فى حصون فى Plrcun وفى جبال البيرة.

وبعد مدة قصيرة استطاع إسماعيل أن يقيم قوته، وفى هذا الصراع هلك أميران قشتاليان هما الدوق خوان والدوق بدور وكانا من أكبر مساعدى ملك قشتالة الملك الفونسو الحادى عشر، وبعد قليل استعاد الملك إسماعيل قلاع وشقر Huescar واورسى orce وجاليرا Galera ثم بياسة Baze وفى العام التالى استولى على مارتوش Martos.

وفى العام التالى ٧١٥هـ/ ١٣٢٥م مات قتيلا فى قصره، وقد عادته أسرة بنى أبى العلا وفقد بلاد رنده والجزيرة الخضراء ومربلة وجبل طارق، ثم مات قتيلا فى قصره سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م.

وخلفه أخوه أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل الذى حكم مدة طويلة، وأول ما عمل هو الانتقام لقتل أخيه وذلك بأن طرد من الأندلس بنى أبى العلا المرينى وكان بلده ومركز سلطانه تونس، واستعان فى ذلك بأمير مرينى آخر هو يحيى بن عمر بن رحو.

واستمر صراعه مع النصارى مستعينا بأمير مرينى آخر هو أبو الحسن المرينى سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م الذى عبر إلى شبه الجزيرة وقام بحملة على النصارى انتهت بكارثة، وذلك أن ملك قشتالة الفونسو الحادى عشر الذى انتهز فرصة الاضطراب فى مملكة غرناطة واستولى على بلاد Al-calá la Rweal (الفحص و Priego أفراعة) و Benamejà.

نهـايـة دولـة بنـى نصـر :

وخلفه على عرش غرناطة أبو عبد الله محمد الرابع وذلك فى يوم الفطره ٩٥٥هـ أكتوبر ١٣٥٤هـ بعد أن بنى فى غرناطة كثيرا من المنشآت، فهو الذى بنى فى غرناطة باب الشريعة الذى سمى بباب العدل Puerta Judicare وأنشأ مدرسة غرناطة سنة ٩٥٠هـ/ ١٣٤٩م.

وخلفه ابنه محمد الخامس الملقب بالغنى بالله الذى ترك السلطة كلها بيد وزير أبيه القديم رضوان وكانت علاقته طيبة بقشتالة، ولكن بعض أمراء البيت الغرناطى كانوا غاضبين عليه، وقد

اضطر إلى ترك الحكم والعبور إلى حيث استقبله أستقبالا طيبا السلطان أبو سالم المرينى ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م.

وأقيم على عرش غرناطة إسماعيل الثانى ابن يوسف أخا محمد الخامس ولم تكن له شخصية قوية ولا عزم، ولم يدم حكمه إلا شهورا ثم قتل فى سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م وذلك بتأييد الأمير الغرناطى محمد السادس وبنى نصر وقد انتصر على النصارى فى معركة وادى آش.

وعاد إلى العرش محمد الخامس وقد طال حكمه هذه المرة، وكان الذى أعانة على الحصول على العرش ملك قشتالة.

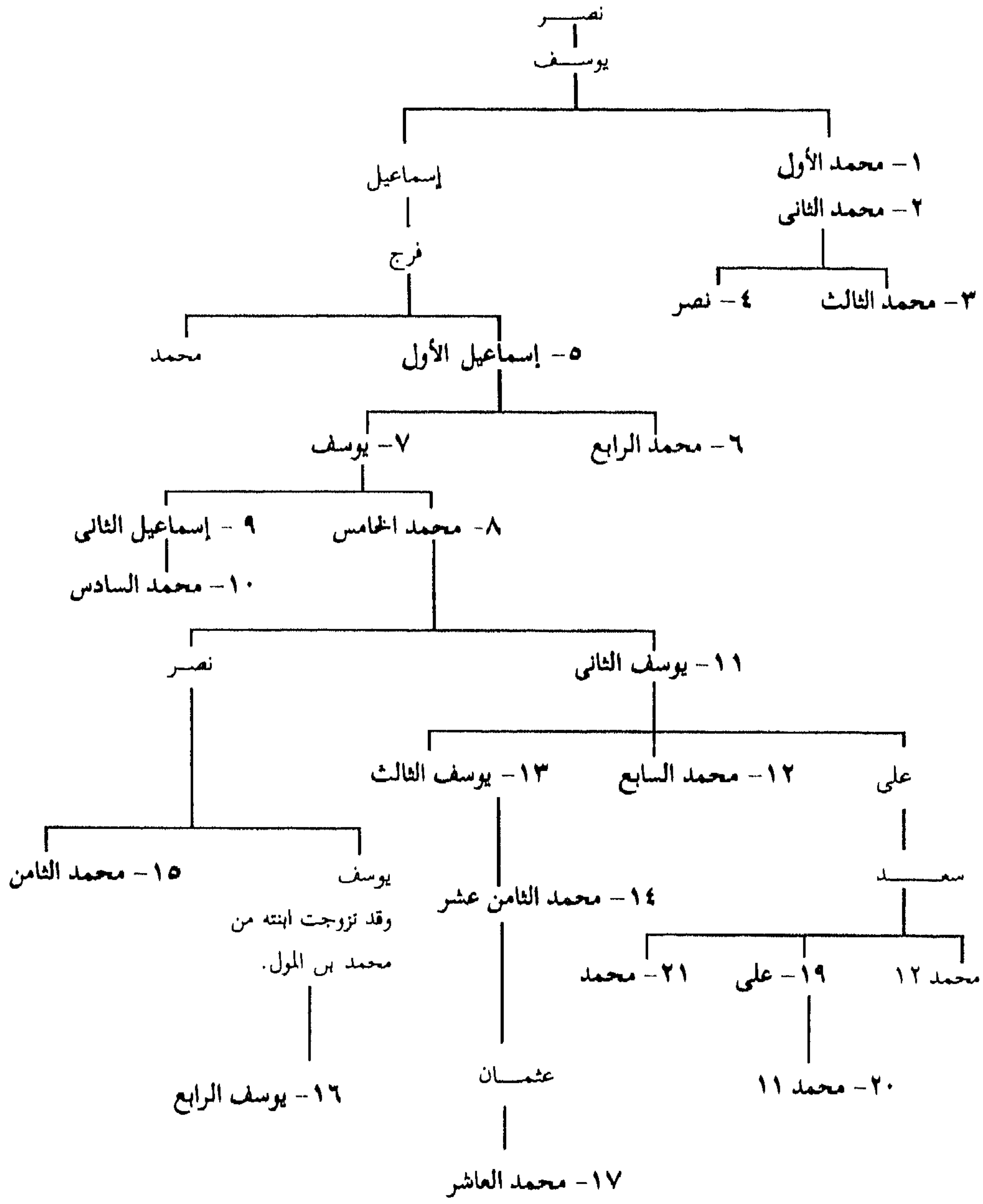
وفى أثناء حكم محمد الخامس الغنى بالله ظهر لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون، واستمرت العلاقات الطيبة بين الملك الغرناطى والمسيحيين.

ولم يطل حكم أبى الحجاج يوسف فقد مات سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م وجاء بعده ابنه محمد الثامن المعروف بالأيسر، وفى أيامه ظهر بيتان من أعداء بنى نصر وكان لهما أثر بعبد فى نهاية هذه الدولة وهما بنو سراج المعروفين فى النصوص الإسبانية باسم Los Zegris وبنو سراج Los Abel-erages وقد اعتزل محمد الثامن ولجأ إلى تونس حيث مات.

وجاء بعده محمد التاسع الملقب بالصغير، وقد اشتهر حكمه بمعركة أقروبلة Higwervela قرب غرناطة وحاقت هذه الهزيمة المسلمين بخسائر فادحة وكان الذى انتصر على المسلمين فيها يومنا الثانى ملك قشتالة.

وقد حكم بعده يوسف الرابع الملقب بالمول وقد سقطت فى أيامه خيمينا ووشقر Huescar فى يد النصارى سنة ١٤٦٢، وكان الذى انتصر على المسلمين القمطان لذريق يونتى Roderigs Ponce ودوق مدينة شذونة Archizona.

وخلفه منطقة اليشارات L'Alpuparra ومدن لموشة (سنة ١٤٨٠م) ويلش مالقة والمرية سنة ١٤٨٧م وبياسة سنة ١٤٨٩م والواقع أنه بعد أن تزوجت إيزابيلا ملكة ليون من فرناندو ملك أرغون أصبح من الواضح قرب نهاية دولة غرناطة وقد حدث ذلك فعلا فى ٢ ربيع الأول ٨٩٧هـ/ ٢ يناير ١٤٩٢ وانتهى أمر مملكة غرناطة واعتزل محمد التاسع فى مراكش وعاش بها بقية أيامه.


نصـــر
يوســـف
إسماعيل
١ - محمد الأول
٢ - محمد الثانى
فرج
٣- محمد الثالث
٤- نصر
محمد
٥- إسماعيل الأول
٦- محمد الرابع
٧- يوسف
٨- محمد الخامس
٩ - إسماعيل الثانى
١٠- محمد السادس
١١- يوسف الثانى
نصـــر
على
١٢- محمد السابع
١٣- يوسف الثالث
سعـــــد
١٤- محمد الثامن عشر
يوسف
وقد تزوجت ابنته من
محمد بن المول.
١٥- محمد الثامن
محمد ١٢
١٩- على
٢١- محمد
عثمـــان
٢٠- محمد ١١
١٦- يوسف الرابع
١٧- محمد العاشر

مــراجع تاريخ بنــى نصر اصحــاب غـرنـاطـة

ابن الخطيب، الإحاطة فى تاريخ غرناطة طبعة القاهرة: مركز الإحاطة، مجلد ١ و ٢ وهما كل ما صدر من هذا الكتاب، ومخطوطة باريس كتاب اللمحة البدرية فى تاريخ الدولة النصرية لمحب الدين الخطيب وترجمته الفرنسية التى قام بها دى سلان De Slané, Histoire des Berbéres نفح الطبيب للمقرى، والترجمة الفرنسية التى قام لها P. de Gayangos, the Muhamman Dynastees in Syair تحفة العصر فى انقضاء على دولـة بنى نصر، ترجمة ألمانية قام بها Muller بعنوان Die Letzten zeitenvon Granada miinich 1863.

الترجمة العربية لكتاب:

Chateaubrian d, Le Dernier des Abencerases ونشره فى القاهرة شكيب أرسلان: Gasfar Remirs, ultimad Actosy correpandia, le Caire 1343/ 1930 Müller, Beitraege zur Geschichte der weathischen Araber, Münechen 1866 F. Fagnan, Ex-traits شكيب أرسلان Relatifs au Maghreb, Alger 1925 Simonet, Descrifcian del Reins de. Granda Madnptions anabes del Peins de Granada Mudrid 1860 Gaspar Remiro, vltianos pactes y latolicon y el Reins de Grandam parus Espanolaa, Madrif, 1879 G. Leer della Vida, El Reins de Granada enel, 1465 neiricor diun inagers. Gieicuo .

نشر فى المجلد الأولى من مجلة الأندلس

Léui Provencal, Inácrifcions srobes A. ganzàlez Palencia, Historia de la Espàna Musulmana 2 edition Barcelone 1920.

تـراث الأنـدلـس

الأندلس هو البلد الوحيد الذى بدأ وانتهى تحت أبصارنا، فقد فتحة المسلمون، وهم أيضاً الذين ضيعوه، وكل ذلك تحت أبصارنا، فإن الذى كتبـه الأندلسيـون عن أنفسهـم كثير جدا، وكذلك ما كتبناه نحن، وكل ذلك طريف وجميل وجدير بالقراءة والعلم، وقد رأينا بأنفسنا فيما مضى من هذا الكتاب كيف تم فتح الأندلس بضربة واحدة قادها معلم مغربى أسلم واستعرب وكان يخدم موسى بن نصير، فأقامه موسى على سجلماسة وهى جنوب المغرب الأقصى، ثم نقله حاكما لسبتة، ومن هناك تطلع إلى شبه الجزيرة الأندلسية ومولقت نفسه بفتحها، واستأذن موسى بن نصير فى ذلك فأذن له، وقد عرف الرجل كيف يفتح الأندلس على طريقة جيل العرب الأول الذى أنشأه الرسول ﷺ، وهى طريقة الفتح المباشر الرأسى، وكان معظم جيشه مثله مغاربة أسلموا واستعربوا، وقد تحول المغرب كله على أيديهم إلى بلد عربى مسلم.

وقد استطاع هذا الرجل ومن معه فتح الأندلس فتحا عبقريا، فقد نزلوا فى جبل طارق، ثم ساروا إلى قرطبة ثم إلى الجزيرة الخضراء ثم شذونة، وفى شذونة أو منطقة شذونه انتظر طارق لذريق القوطى ملك شبه الجزيرة، ثم هزمه واتجه رأسا إلى الشمال قاصدا طليطلة، وفى الطريق أرسل مغيثا الرومى ففتح قرطبة، أما هو فقد اتجه شمالا وأتم القضاء على المقاومة القوطية وأقام فى طليطلة أميرا عربيا ولحق به موسى.

فقد حسد طارقا على ما أدرك من توفيق ولحق به، وكات بينهما صعوبات، ولكنهما اتفقا معا وإنما فتح شمال شبه الجزيرة.

وكان الخليفة الأموى فى دمشق وهو إذ ذاك عمر بن عبد العزيز يخاف على المسلمين من هذا

البلد الواسع الصعب وأراد أن يصرف المسلمين عنه، ولكن رجاله نصحوه ألا يفعل، فقد كثر المسلمون فى شبه الجزيرة الذى سماه المسلمون الأندلس، واستدعاه هو وموسى بن نصير، فمضيا وخلفا عبد العزيز بن موسى واليا عليه.

وكان عبد العزيز بن موسى عبقريا حقا، فقد اتم فتح شبه الجزيرة، وكان موسى قد تزوج ايلوتا امرأة لذريق وهى أم عبد العزيز، وأثبت أنه والٍ جدير بالأندلس، فقد فتح شرقه وغربه، وكان رجلا فاضلا عاقلا، ولكن أصحابه حسدوه وكادوا له ثم قتلوه بعد أن ثبّت الرجل اسمه فى تاريخ العرب والمسلمين.

وتولى أمر الأندلس أيوب بن حبيب اللخمى، وهو ابن أخت موسى بن نصير، وقد حكم الأندلس بعد عبد العزيز أربعة أشهر وخلفه أيوب بن أبى مسلم، وقد أقامه على إمارة الأندلس خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك وأصبح الأندلس فى أيامه ولاية إسلامية عربية قائمة بنفسها.

وقد سبق أن ذكرنا أنه كان يستطيع أن يجعل طليطلة عاصمة الأندلس على عادة الفاتحين فى تلك الأجيال المسلمة الأولى، ولو فعل لكان للأندلس تاريخ آخر، ولكن قرطبة بموقعها الفريد على ضفتى نهر الوادى الكبير دخلت مزاجهم وأصبحت عاصمة الأندلس.

ومن ذلك الحين أصبحت قرطبة نفسها مشكلة الأندلس الكبرى، فقد كانت متطرفة إلى الجنوب، ولا يسهل حكم شبه الجزيرة منها، ولكى يصل المسلمون إلى طليطلة كان عليهم أن يخترقوا طريقا جبليا وعرا وينفقوا فى ذلك نحو شهر، فلا يبقى أمامهم إلا نحو شهر لا بد أن يعودوا بعده إلى قرطبة، ولو كانت عاصمتهم طليطلة لتغير الأمر تماما، لأن منطقة طليطلة، وهى اليوم فى مدريد أو مجريط، فى إقليم طليطلة.

ولكن المسلمين على أى حال حكموا الأندلس بنجاح من قرطبة، وكانت طليطلة داخلة فى

طاعتهم وكذلك شمال شبه الجزيرة: منطقتا سرقسطة وابيط أو افييدو بل وصل المسلمون إلى خليج بسكاية ووصلوا خيخون شمالى سلسلة الجبال الكنتبرية، ولكن نشأة الأندلس الإسلامى العربى كانت على يد عبد الرحمن الداخل الذى أنشأ الدولة الأموية الأندلسية والأسرة التى تولت حكمها من بعده.

وقد مررنا بذلك كله ورأينا الجهد العظيم الذى بذله المسلمون لسيادة شبه الجزيرة، ولكن المشكلة الكبرى أنهم كانوا هنا فى الأندلس يواجهون غربى أوروبا كله، وكانت البابوية من روما تحرض النصارى على الأندلس، ومع البابوية أوروبا كلها، وقد رأينا ما فعله عبد الرحمن الناصر لتثبيت الإسلام والعروبة فى شبه الجزيرة، ولكن أوروبا كلها ومعها البابوية ما كانت تسمح لهم بذلك، وقد قامت فى إسبانيا النصرانية دول قوية هى جليقية وفيها ليون واشتورياس، ونيرة أو ناقار فى جبال البرت بين شبه الجزيرة وفرنسا، وكونتية قطلونية وفيها برشلونة، وقد استعانت كلها بأوروبا فى الصراع مع المسلمين وما كانوا ليهزموا أمام المسلمين، إذ إنهم لو انهزموا لضاع غرب أوروبا كله، ولكان له تاريخ آخر، وبينما كان هم المسلمين موجها إلى الدفاع عن أنفسهم فى شبه الجزيرة كان هم تلك الدول الثلاثة القضاء على المسلمين.

وإذا كنا نأسف لأن المسلمين فقدوا شبه الجزيرة فى النهاية فينبغى أن نذكر أن المسلمين أنفسهم بذلوا جهدا جبارا فى شبه الجزيرة، ولكن الغريب فى تاريخ الأندلس أن المسلمين فقدوها فى النهاية لأن الصراع كان عنيفا جدا، وأوربا هنا كانت تدافع عن نفسها ووجودها، وكانت كلها تقف إلى جانب إسبانيا.

وبعد سقوط خلافة قرطبة على يد ابن جهور بدا بوضوح أن الصراع لا بد أن ينتهى بضياع الأندلس لأن انقسام البلاد إلى إمارات إقليمية بعد ضياع الخلافة الأموية كان لا بد أن يؤدى إلى

ذلك، حقا إن محمد بن أبى عامر استطاع أن يقوم بأمر الدولة ويحكم ستا وعشرين سنة كلها نجاح، ولكن الأندلس كله كان بعيدا جدا عن مركز العالم الإسلامى.

والواقع أن الأندلس كله تراث بالنسبة للمسلمين، فهذا بلد أوروبى خالص أدخل فى عالم الإسلام، وكان لا بد من صراع مرير للاحتفاظ به جزءاً من أمة العرب والإسلام، وقد بذل المسلمون ذلك الصراع، وإذا كانت دولة بنى أمية الشرقية لم تعمر إلا حوالى ٧٥ سنة فإن دولة بنى أمية الأندلسية عمرت ما يزيد على ثلاثة قرون، فهى أطول الدول الإسلامية عمرا، وهى كذلك أوفرها جمالا.

وقد رأينا تاريخ هذه الدولة وما منحها الله من عظماء الخلفاء، حتى الثلاثة الذين حكموا بين عبد الرحمن الأوسط وعبد الرحمن الناصر وهم محمد والمنذر وعبد الله كانوا مجتهدين جدا فى المحافظة على دولتهم وإن لم يكونوا حاسمين، ولا وجه للمقارنة بينهم وبين عباد الرحمن الثلاثة الذين يعتبرون من أعاظم أمراء المسلمين فى الشرق والغرب على السواء.

ومعظمنا آسفون على ضياع الأندلس من أيدينا، ولكننا ينبغى أن نذكر أن الإسلام والعروبة وقفا هنا أمام أوروبا كلها، وفى كل المعارك الطاحنة التى قامت بين المسلمين والنصارى نجد أن النصارى كانوا يمثلون أوروبا كلها، ولم يكن هناك مفر من أن نفقد الأندلس فى النهاية، لأننا هنا بعيدون جدا عن مركز الدولة، وفى كل المعارك التى قامت بين الإسلام والنصرانية فى شبه الجزيرة كانت جيوش النصارى تضم مقاتلين من كل نواحى أوروبا، أى إن التحدى هنا كان خطيرا، وهو من أعظم الدلائل على قوة الإسلام وصلابته، حتى دولة غرناطة، وهى من أصغر الدول فى تاريخ الإسلام كانت دولة محترمة، وقد حكمت بلادها فوق القرنين ونصف، ومهما قيل فيها فهى دولة عظيمة، ولكنها كانت تواجه أوروبا نصرانية قوية جدا، وإن كانت قد عاشت تاريخها كلها تابعة لإسبانيا النصرانية.

وهنا نجد أن الشعب الغرناطى كان أقوى وأشهم من أمرائه، وقد ظل هذا الشعب يصارع حتى النهاية، وهذا هو موسى بن أبى الغسان آخر القواد فى تاريخ غرناطة لا يمكن إلا أن نقرر أنه كان من أشهم قواد الإسلام وكان الشعب الغرناطى يقاتل معه بشهامة وقوة وبطولة تؤيد أن الأندلس كله كان بطلا.

ونحن لا نفهم كيف أن رجلا مثل أبى الوليد بن جهور يلغى الأسرة الأموية، ماذا كسب بإلغائها، بل إن أسرته لم تعمر فى قرطبة إلا حوالى ستين سنة، وهل كان يتصور أن دولته فى قرطبة ستستطيع الانتصار على أوروبا كلها.

المهم أننا هنا أمام شعب إسلامى عربى شهم ظل فى ميدان القتال تاريخه كله، ولكن لم يكن له مفر فى النهاية من أن يخسر المعركة لأننا هنا فى قلب غرب أوروبا يحاربها كلها وكان لا بد أن ننهزم فى النهاية، وفى التاريخ أشياء ممكنة وأخرى غير ممكنة، والنصر فى النهاية لم يك من الممكن أن يكون لنا، ولكن تاريخ الأندلس كله تراث إسلامى عربى عظيم.

والمهم عندنا أن العرب المسلمين دخلوا أوروبا وأنشأوا دولتهم فيها، وواجهوا الصراع المر بشهامة وقوة، وقد كان المسلمون يهاجرون إلى الأندلس باستمرار لأن البلد كان واسعا وغنيا، وعلى الرغم من أن المسلمين باختيارهم قرطبة عاصمة لهم وبذلوا جهدا بالغا.

وأول ما يستلفت النظر أن المسلمين دخلوا الأندلس وثبتوا أقدامهم فيه ونشروا لغتهم وحضارتهم وكانوا بالنسبة لأوروبا كلها أعداء لا بد من الصراع معهم.

والجدير بالذكر هنا أن المسلمين نجحوا فى كسب جانب كبير من شبه الجزيرة لأنفسهم وحضارتهم، وقد درسنا تاريه الأندلس ورأينا الوقائع المريرة التى وقعت بين الإسلام والنصرانية فيها، ولكن الجيوش العربية الإسلامية التى دخلت شبه الجزيرة كانت جيشين اثنين: واحد مع طارق

وواحد مع موسى بن نصير، وبعد ذلك ليس لدينا إلا المهاجرون أى العرب المسلمون الذين هاجروا إلى الأندلس للعيش والصراع أيضا، ولا بد أن نقرر أن هذه الهجرات كانت كثيرة ومستمرة، ولم يكن المهاجر إلى الأندلس يهاجر للراحة أو كسب العيش فقط، بل كان يعرف أنه يدخل بلد صراع، وفى هذا الصراع أثبت المسلمون شهامة كبرى وواجهوا أوروبا كلها مواجهة ناجحة، وقد رأينا مثلا ما فعل عبد الرحمن الناصر والمعارك المستميتة التى خاضها.

وبقى أن نذكر أن الوفا كانوا يموتون فى هذه المعارك، ولم يكن من الممكن أن يستمر الصراع إلى ما لا نهاية، وكذلك لم يكن من الممكن أن ننتصر على أوروبا كلها فإن الصراع كان خطيرا، وقد خسر عبد الرحمن الناصر فى معاركه رجالا كثيرين، ألوف هلكت فى هذا الصراع.

وعندما استبد محمد بن أبى عامر بحكم الأندلس نلاحظ أن القوات التى كانت عنده كانت محدودة بل كان فيها الكثيرون من المرتزقين النصارى، وبعد موته وقف ابنه عبد الملك المظفر بشهامة فى الميدان وكان من الممكن أن يستمر فى الصراع، ولكنه قتل بعد أن حكم نحو سبع سنوات، وجاء بعده أخوه عبد الرحمن شيخول وكان غبيا وسخيفا، وقد حاول أن يقف فى الميدان ولكنه لم يستطع وانهزم واستسلم وقتل، وإذا كان أخوه عبد الملك المظفر آخر الأبطال المنتصرين فقد كان هو أول الأمراء الضعاف.

وجدير بالملاحظة أن إسبانيا نفسها كانت ضعيفة، وكان ملوكها حافلين بالضعف ووجوه النقص، وكانوا هم فى ذاتهم متأثرين جدا بالشهامة الإسلامية، ومن الغريب أن غرناطة على ضعف دولتها وانحسارها استطاعت أن تعيش قرنين ونصفا كلها صراع مرير.

وقد كان الأندلسيون إذا كتبوا فبالعربية الفصحى، أما فى الكلام فكانت لهم لغتهم الأندلسية، حتى الخلفاء والأمراء كانوا يتكلمون هذه اللغة، وهى لغة طريفة وفريدة، ونحن نستطيع أن ندرس ونستحييها، ولا بد أن نقول إنها كانت لغة عامية فريدة فى بابها بين عاميات العرب والمسلمين.

بعـض اخبـار الاذفـونـش بـن فـرذلـند بطليطلـة :

جاء فی ابن عذاری (٤/٥٠) قال الراوية: هلك طاغية الروم الأعظم أذفونش بن فرذلند بطليطلة فی شهر ذی الحجة من عام اثنين وخمسين وأربعمائه هجرية/ ديسمبر ١٠٥٥م وكان ملكه قد نيف على ٥٠ سنة بأشهر (الراوية الذى ينقل عنه ابن عذارى هنا هو أبو بكر يحيى بن محمد الأنصارى) وهو أذفونش بن فرذلند ملك قشتالة وليون، ابن غرسية بن شانجة بن غرسية بن شانجو بركة Sancho Abarca.

وكان لغرسية بن شانجة بركة ثلاثة أولاد: غرسية وفرذلند ورذمير، قال أبو بكر بن عبد الرحمن: كان غرسية أشجع أخوته، وقتله أخوه فرذلند فی حرب كانت بينهما وترك ابنين، قام أحدهما بالملك وهو شانجة، وخرج الآخر إلى بلاد الإسلام، وهو الفنت الذى أحرق جامع البيرة، وقتل بروطة، ويقولون فی اسم الفنت الهنت، يصرفون الفاء هاء فی النطق، ومعناه عندهم ابن الملك بركة، وقد قسم البلاد بين بنيه، واختص فرذلند ورذمير بملكه مناصفة.

ولم يكن لرذمير من الولد إلا شانجة، فلما قتله المقتدر بن هود فی الحرب التى كانت بينهما قام بالملك بعده شانجة وحده، فلما مات ترك ابنين بطرس واذفونش المصروع على أفراغة بما أفضى إلى هلكه.

ولما أشرف فرذلند على الهلك أيضا قسم بلاده بين أولاده شانجة واذفونش وغرسية، فخص شانجة بملك برغوش Burgos وقشتالة وما حولها من المدن، وخص اذفونش بليون وما حولها من المدن، وخص غرسية بلنسية وبرتغال، ففسد ما بين شانجة واذفونش، وكانت وبينهما حرب أتت على أكثر رجالهما، ثم ظفر شانجة بأخيه أذفونش فأسره وحبسه مصفدا عنده فی قشتالة مدة، ثم حل

اعتقاله ونفاه من بلاده فلحق بالمأمون بن ذى النون بطليطلة وبقى عنده مدة، ثم حل اعتقاله ونفاه عن بلاده كانت سببا لتطلعه على أحوالها حتى استولى بعد ذلك عليها، وقد تقدم ذكره فيه.

وكانت لشانجة واذفونش أخت يقال لها أراكة Ursraca تميل إلى أخيها اذفونش، فداخلت بعض رجال أخيها شانجة على قتله، وخرج شانجة يتصيد فى لمة من خيله، وفى جملته الداخل فى قتله، وتسابقت تلك الخيل الجرى، فأجرى ذلك الفارس وبيده رمح معدة، فلما قرب منه طعنه فقتله، ومر على غلوائه إلى حصن سمورة، وبه أراكة أختهما فاعتصم بها... الدعوة بالأذفونش وأنفذ فيه فلحق للحين وانفرد بالملك، فلما استوسق أمره قتل قاتل أخيه، وقال بلغته: عمل سيئ وعادة سوء.

ويذكر أن اذفونش ابن فرذلند زنى باخته أراكه، فجمع بين النصرانية والمجوسية، ثم طلب إلى أحبار دينه المغفرة مما واقعه، فحملوه على قصد الكنائس الفاضلة والتعبد، ثم فسد ما بين اذفونش وغرسية فكانت بينهما حرب أسر فيها اذفونش لأخيه غرسية فحبسه، ثم دس عليه من قتله فى محبسه وانفرد فى مملكته إلى أن توفى فى هذه السنة المؤرخة.

وقد أتيت بهذه الفقرة الطويلة من تاريخ دول شبه الجزيرة النصرانية لأدل على أن ابن عذارى ومراجعه كانوا يعرفون الكثيرا من تاريخ إسبانيا النصرانية، وقد راجعت الأصول التاريخية الإسبانية وتاريخ إسبانيا العام فوجدت أن المراجع العربية جديرة بالتقدير فى هذا، فالحقيقة أننا نمر الآن فى فترة من تاريخ إسبانيا النصرانية تحول فيه هذا التاريخ إلى تاريخ عائلى بعيد إلى حد ما عما ينبغى أن يكون عليه التاريخ القومى.

ذلك أن الفونسو السادس عندما كان ملكا لاشتورباس وكولونيا كان تسمى باسم الملك أما بعد استيلائه على طليطلة ونقله عاصمته إليها فقد أصبح يسمى نفسه إمبراطورا، وهذا نجده فى وثائقه

بعد أن استولى على طليطلة، فهو يقول مثلا Aldefnsus Dei Graciatotuis Hisfaniae Im-prator .

وفى نفس الوثيقة نقرأ :

Raimundus to tus Hispaniae Gallecie Imperator Comes Regizque gener y Enricus Portugllosi Proinciae Come Regis que gener.

وهو يسمى نفسه دائما: Dmperator Tolelanus.

وهذا اللقب ينتقل إلى من يخلفه من أولاده وبناته وأحفاده، فابنته أوراكا مثلا تكتب نفسها: Donna wraca Regis Adefonsi filia, Hiberiae Imperatrix .

وحفيده الفونسو السابع يكتب فى وثيقة أصدرها سنة ١١٣٦ فى وثيقة وجدت فى دير أويا Oya.

Imresante en Toleto in begione Saragoza et Najara, Castillaet Galicia, Barce-lora Proventia mantem Genicum .

وأصبح هذا الرجل ونسله ملوكا وأباطرة فى شبه الجزيرة، وحيان بن خلف محق فى هذا الاهتمام بأنساب الملوك والأمراء معطيا دائما لقب الإمبراطور لصاحب العرش بما فيهم دونيا أدراما ابنه الفونسو السادس التى صار لها العرش.

ولا بد أن نذكر بالشكر حيان بن خلف ومن أخذوا عنه ومنهم ابن عذارى صاحب البيان(١).

(١) انظر عن ذلك كله كتاب تاريخ إسبانيا لبايستروس مجلد، ص ٦٥٦ وما بعدها .
Antonio Ballesteros, Y Beretta Historia de Espána, Y Su Inffluencia en la Historia Universal. Zª edición, Salvat Barcilona, Y Madrid.

وكانت وقعة الزلاقة يوم الجمعة ١٢ رجب، وقد فخر بها يوسف بن تاشفين وابن عباد ٤٧٩هـ/ أكتوبر ١٠٨٦م وقد لام بعض أصحاب ابن عباد ملكهم على تأييده ليوسف بن تاشفين، ولكنه هو نفسه كان يعلم أن المرابطين لا بد أن يعبروا إلى الأندلس ويهزموا النصارى وقال فى رده على خصومه: يا قوم أنا من أمرى على حالتين، حالة يقين وحالة شك ولا بد لى من إحداهما، أما حالة الشك فإنى إذا استندت إلى ابن تاشفين أو إلى ابن فرذلند، فمن الممكن أن يفيا لى ويبقيا على ويمكن ألا يفعلا، فهذه حالة الشك، وأما حالة اليقين فإنى إذا استندت إلى ابن تاشفين فإنى أرضى الله، وإذا استندت إلى ابن فرذلند فإنى أسخط الله، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة، فلأى شيء أدع ما يرضى الله وآتى ما يسخطه، وحينئذ أقصر أصحابه عن لومه.

وقد أرسل إليه صاحب بطليوس قاضيه وعبد الله بن حبوس بن ماكش الصنهاجى صاحب غرناطة، وبعث إليه كل منهما قاضيه، وأضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون، وعرفهم أربعتهم أنهم رسله إلى يوسف بن تاشفين، وأسند إلى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف وترغيبه فى الجهاد، وأسند إلى أبى بكر بن زيدون ما لا بد منه فى تلك السفارة من أبرام العقود السلطانية.

وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تصل إليه وفود ثغور الأندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين الله والإسلام مستنجدين بفقهاء حضرته ووزراء دولته فيستمع لهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم، فلما عبرت رسل ابن عباد وتشوقه إلى نصرة أهل الإسلام بالأندلس وسأله أن يدع الجيوش تجوز فى المجاز، فتعذ عليه، فشكاه يوسف إلى الفقهاء فأفتوا جميعا بما لا يسر صاحب سبتة.

ثم تلى ذلك تفاصيل موقعة الزهراء (البيان٤/١٣٧ وما بعدها).

ولما دخل ابن عباد إشبيلية جلس للناس وهنئ بالفتح، وقرأ القراء، وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه، قال عبد الجليل بن وهبون : حضرت ذلك اليوم، وأعددت قصيدة أنشده إياها، فقرأ

القارئ: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله**﴾ [التوبة: ٤٠] **فقلت** : يا بعدا لى ولشعرى، لم تبق لى هذه الآية معنى أحضره إليه وأقوم به.

واستشهد فى ذلك اليوم جماعة من أعيان الناس كابن رميلة، المتقدم ذكره، وقاضى مراكش أبو مروان عبد الملك المصمودى وغيرهما، وطار ذكر ابن عباد بهذه الوقيعة، وشهد مجده، ومالت إليه القلوب وسالمته ملوك الطوائف وخاطبوه جميعا بالتهنئة وبقى ملحوظا معظما إلى أن كان من أمره مع يوسف ما كان.

الجواز الثانى ليوسف بن تاشفين :

كان جوازه الثانى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م سببه: حدث الوزير أبو بكر بن عتاب قال : لما كان بعد وقعة الزلافة بسنتين وفدت على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بحضرته مراكش جملة من وجوه الأندلس من أهل بلنسية وشكوا ظلم الانبيطور (القنيطور) وكان من ملوك الروم قد لاحق حصارها حتى دخلها، وشكوا له ما حل بأهل مرسية وأعمال لورقة وبسطة من شأن لييط (Alede) وهو حصن حصين على جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم يملكه العدو، وكانت سراياه تسير شرقا وغربا، إذ كان فى موسطة بلاد المسلمين، فلم يزل ملوك الأندلس من تلك البلاد يترددون إليه بالشكوى حتى وعد بالجواز إليهم إذا تمكن الفصل.

ثم إن ابن عباد تحرك من إشبيلية فى خاصته وعبر البحر إلى يوسف بن تاشفين، فتلقاه بالداخلة على وادى سبو فتلقاه بوجه طلق وصدر رحب وإكرام جم وقال له : ما السبب الذى دعاك إلى العبور إلينا، وهلا كتبت بحاجتك؟ فقال له: جئتك احتسابا وجهادا وامتعاضا للدين وقد أجرى الله الخير على يديك وحظك مما جئت به الأوفر، وقد اشتد ضرار النصارى المستولين على حصن لييط وعظم أذاهم بالمسلمين لتوسطه فى بلادهم، ولا جهاد أعظم منه أجرا، ولا أثقل فى

الجهاد وزرا فتلقى أمير المسلمين مقصده بالقبول، ووعده بالجواز، فاستحثه واستوسق منه وصار إلى حضرة إشبيلية، وتقدم إلى كل طبقة من مملكته، وأكثر من إعمال السهام والمطارد وعمل الرعادات وغير ذلك من الآلات.

ولما رتب أشغاله ومهد أحواله، وكمل ممن ذلك ما تيسر له، اتصل به قدوم أمير المسلمين وجوازه البحر واستقراره بالجزيرة الخضراء، فتلقاه ابن عباد بما يقدر عليه من الكرامات والميرة.

وأنفذ أمير المسلمين كتبه إلى ملوك الأندلس يدعوهم معه للجهاد، والموعد حصن لبيط، فاجتاز إلى مالقة عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة، والمعتصم بن صمادح من المرية، وتوافى رؤساء الأندلس من شقورة وبسطة وجيان ومن كل مكان، وجاءهم من مرسية النجارون والبناءون والحدادون، واضطربت المحلة محدقة بلبيط، وكان بداخله من الروم ألف فارس واثنا عشر ألف راجل، واتصلت السابلة، واتصلت الحروب على الحصن ليلا ونهارا وكل أمير من أمراء المسلمين يقاتل فى يومه بخيله ورجله مداولة بينهم، وتمادى ذلك أشهرا، واجتمع المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين، وظهر لهما من حصانته ومنعته واستصعابه ما أيأسهم منه، وأنه لو كان دون سور لكان جفاؤه عاصما لمن فيه، وأنه لا يتهيأ له أخذه إلا بالمطاولة وقطع مادة القوت عنهم.

وكان جملة من وصل من رؤساء الأندلس ابن رشيق صاحب مرسية الثائر بها على المعتمد بن عباد، فشكا ابن عباد بابن رشيق لأمير المسلمين، وذكر انتزاءه عليه، وأنه دفع جبايتها مصانعة للطاغية أذفنش، فحضر ابن رشيق واستفتى يوسف بن تاشفين فى أمرهما الفقهاء، فوجب الحكم على ابن رشيق، فأمر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه وإسلامه فى يد ابن عباد ونهاه عن قتله، فثقفه ابن عباد، فهرب للحين أصحاب ابن رشيق وقرابته وكل محلته إلى مرسية وانتزوا بها، ومنعوا الميرة عن المحلة فاختلت أمورها ووقع الغلاء بها وارتفع السعر فيها، فضاقت بالناس الأحوال.

وفى أثناء ذلك استصرخ الناس بسلطانهم، فأخذ فى الحشد ويمم الحصن فى أمم لا تحصى، فاقتضى رأى يوسف بن تاشفين التوسعة على الحصن والتأهب للقائه، فتأخر بمحلته إلى ترياسة، وهى موضع الماء والثمر، وظهر له أن الأذفنش إذا وصل فغايته تخليص قومه واخلاء الحصن، فجرد يوسف من عسكره جيشا ينيف على أربعة آلاف فارس بعثه إلى بلنسية، وأردف بعده عسكرا عظيما إليه قدم عليه محمد بن تاشفين إلى جهة، وانصرف من هناك إلى العدوة، فتحرك الجميع بحركاته وعادوا إلى بلادهم.

وهذا هو تلخيص خبر الجواز الثانى إلى الأندلس.

الجواز الثالث:

كان جوازه الثالث سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م سببه أنه لما كان على حصن ليبط نقل إليه عن ملوك الأندلس كلام أحفظه ووغر صدره، وهو الذى أزعجه إلى العدوة، ولما بلغهم تغيره عليهم نظر كل واحد منهم لنفسه بغاية حزمه، فأول من شهد ذلك وتظاهر به وجد فيه المظفر عبد الله بن بلقين ابن باديس، واتصلت أنباؤه بيوسف بن تاشفين وزاد حرجه عليه.

ولما احتل الجزيرة الخضراء وافاه ابن عباد فتلقاه بعادته من التعظيم، واحتفل فى التضييف والتكريم، وتوالت عليه الأخبار من الأمير عبد الله بن بلقين بما يغيظه ويحقده، فاستنزل من مالقه أخاه المستنصر تميم بن بلقين ودخل معه البلاد ودخل له البلاد وسلم له الأمر، وصار ينظر فى توطيد البلد وتمهيد الأمور، فاحتمله هو وأخاه المستنصر تميما إلى العدوة وأسكنهما بأغمات.

وقد استوفى الكلام فى هذا الأمير عبد الله بن بلقين فى الكتاب الذى ألفه فى دولة قومه، وكان المعتمد بن عباد والمتوكل ابن الأفطس قد قدما عليه بغرناطة يهنئانه بما تهيأ له من ملك غرناطة ومالقه فلم يقبل عليهما وأعرض عنهما فانصرفا عنه إلى بلادهما، وأدرك ابن عباد الندم

على استدعاء يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وقال لخليفة المتوكل ابن الأفطس، والله لا بد أن يسقينا من الكأس الذى سقى به عبد الله بن بلقين.

ولما عاد ابن عباد إلى إشبيلية أخذ فى بناء الأسوار وعمل القنطرة فقال له ابنه أبو الحسن عبد الله الرشيد: ألم اقل لك يا أبت يخرجنا هذا الصحراوى من بلادنا إن أنت اقدمته علينا، قال: يا بنى لا ينجى حذر من قدر.

ولما كان فى سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م تحرك يوسف بن تاشفين إلى سبتة لجواز عساكره اللمتونية إلى الأندلس لمنازلة ملوك الطوائف وحصار بلادهم.

وفى أثناء مقامه بها أمر ببناء المسجد الجامع بسبتة والزيادة فيه، فزاد فيه حتى أشرف على البحر، وبنى البلاط الأعظم منه، وشرع فى بناء الميناء السفلى وشرع فى جوازهم فقدم ابن عمه الأمير سير بن أبى بكر على عسكر وأمره بمحاصرة ابن عباد بإشبيلية، وأوعز إليه أنه إذا فرغ من شأنه فيتقدم إلى بلاد المتوكل ابن الأفطس، وقدم أبا عبد الله بن الجاج على عسكر ثان وأمره بمنازلة الفتح الملقب بالمأمون ولد المعتمد بن عباد بقرطبة، وقدم أبا زكريا بن واسينو على جيش ثالث وأمره بمحاصرة المعتصم محمد بن معن بن صمادح بألمرية، وقدم جرور الحسمى على عسكر رابع وأمره بمنازلة يزيد الراضى ولد المعتمد بن عباد برندة فجوز العساكر وانصرف كل فريق إلى حيث أمرهم، وأقام هو بسبتة مترقبا لأنبائهم وتشوقا لما يحدث عنهم، فكان منهم بالأندلس ما هو مشهور من الاستيلاء على بلادهم، والغلبة على ممالكهم، ولم يبق بالأندلس ولاية إلا بنو هود لأن المستعين بالله أبا جعفر أحمد بن المؤتمن بالله أبى الحجاج يوسف بن المقتدر بالله أبى جعفر ابن المستعين سليمان بن محمد بن هود الجذامى أقام ببلاده بشرق الأندلس، وكان يومئذ بيده عمالة الثغر الأعلى وهى سرقسطة وتطيلة وقلعة أيوب ودروقة ووشقة وبربشتر ولاردة وافراغة وبلغسى ومدينة سالم ووادى الحجارة وما إلى ذلك كله بحصن بلاده وملك رعيته، ولم تدخل عليه بسببه داخلة.

وكان مع ذلك يهادى أمير المسلمين ويكاتبه وقال له فى مكاتبته : نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليكم منه ضرر ومنا عين تطرف، وقد قنعنا بمسالمتكم فاقنعوا منا بها إلى ما نعينكم به من نفيس الذخائر، ووجه إليه ولده عمـاد الدولـة أبـا مروان عبد الملك فأجابه يوسف بن تاشفين إلى ما أراده المستعين بالله أحمد بن هود أدام الله تأييده من حضرة مراكش حيث تتلى آية الموارد ونسأله أتم الفوائد وأنجح المقاصد، ونصلى على سيدنا ومولانا محمد ﷺ صفوة أنبيائه وخاتم رسله، وأما الذى عندنا أيدك الله لجنابك الكريم ومجدك الصميم ومحلك المقلوم، فود صريح وعقد فى ذات الله صحيح، ووردة نشأة السيادة والنبل والنباهة أبو الفضل أبو عبد الله ابنك ولادة وتنسبا، وابننا ودادا وتقربا زاد الله به عينك قرة ونفسك مسرة، ومعه خاصتك الوزيران أبو الاصبغ وأبو عامر أكرمهما الله بتقواه، وكلا وفيناه حق نصابك، وأتينا بره من بابه، ووصل إلينا كتابك الجليل والخطير المقبول المبرور، ووقفنا منه على شخوصهما وأصغينا فى تفصيل جملته إلى تخليصها، فألقينا لهما مراجعة فى ذلك ما لقنوه، وسفرنا لهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه ووجهته الوفاق وجماعة الانتظام فى سلك ما يرضى الله تعالى والاتساق أن شاء الله تعالى والسلام.

فأقام ابن هود رضى البال يهدد النصارى بالمسلمين، ويهدد المسلمين بالروم بكونه حائلا بينهم وبين بلاد الإفرنج والأردمانبين، وقد كان الفرنج قبل ذلك بأعوام قريبة العهد خرجوا من الأرض الكبيرة إلى الأندلس فى جموع كثيرة ليس لها حد ولا عدد إلا انتشروا على ثغور سرقسطة، وأثخنوا وقتلوا وسبوا وتغلبوا على مدينة بربشترو عنوة، وقتلوا فيها نحو أربعين ألفا ما بين فارس وراجل وأسروا النساء والأولاد، فاسترجعها من أيديهم المقتدر بالله بن هود، ودخل عليهم عنوة، ولم ينج من أهلها إلا يسير.

ويذكر أنه تألف عنده فى استيلائه عليها واستفتاحه ستة آلاف من الرماة بالقسى الممتازة العقارة.

قال البراكى : دخل منها سرقسطة نحو خمسة آلاف مقاتل.

تراث الأندلس

ربما كـان الأندلس هو البلد الإسلامى الوحيد الذى نستطيع أن نكتب عن تراثه ونحن مطمئنون، فهذا بلد ولد وعاش ومات - سياسيا - بين أعيننا، ونحن نعرف كل ما جرى فيه وله من الحوادث والفتوح الحضارية، فإذا أردنا أن نكتب عن تراثه الحضارى استطعنا ذلك ونحن آمنون، فكل شىء عن الأندلس بين أيدينا، وإن كـان من الواجب أن نقول إن أى بلد من بلاد الدنيا لا يمكن أن يموت وإن زال سياسيا.

وأنا إذ أكتب فى تراث الأندلس فأنا أتحفظ جدا فى الكلام، لأن الأندلس قد اختفى من خريطة الدنيا، وانتصرت عليه أوروبا بعد الصراع الطويل، ولكن الأندلس ما زال حيا، وإذا أنت نظرت إلى إسبانيا والبرتغال، وهما البلدان الأوروبيان اللذان حلا محل الأندلس فلا بد أن تلاحظ أن الأندلس ما زال حيا بهما، وخاصة فى إسبانيا، ونحن إذا نظرنا إلى قطلونية وبرشلونه نلاحظ بوضوح أن هذا الوضع المستقل لقطلونية إنما هو بقية من بقايا الأندلس، هذا مع اعترافنا دائما بأن تميز قطلونية بالاختلاف عن بقية إسبانيا فليس معنى ذلك أنه يمثل بقية من الأندلس مهما كانت ضئيلة، ولكن تمسك قطلونية - وبرشلونة خاصة - بالانفراد بنفسها عن بقية إسبانيا، وإن كان لا بد أن نقول إن قطلونية كانت أيام الإسلام مستقلة عن الأندلس، وكذلك كل ما يقع شمالى سرقسطة، فقد كانت قطلونية مستقلة عن الدولة الإسلامية الأندلسية وكذلك كل ما يقع فى مناطق جبال البرت، وهو ارغون ونبرة، لأن شبه الجزيرة كان بالنسبة لمن تولوا فتحه وإنشاء دولة الإسلام فيه كان واسعا جدا، وكان عسيرا على الحكم.

فإن عبد الرحمن الداخل مثلا عندما أنشأ الدولة الأموية الأندلسية اكتفى بما وجده فى أيدى المسلمين عندما دخل، ولم يحاول أن يفتح ارغون أو نبرة، بل لم يحاول أن يفتح قطلونية فتركها كما هى.

حقا إن عبد الرحمن الناصر فى جهاده العسكرى الكبير غزا قطلونية ونبرة وارغون ولكنه لم يفكر فى ضمـهـا إلى دولته، والخطأ الكبير الذى وقع فيه هذا الرجل هو أنه لم يحاول حتى الاستيلاء على البلاد النصرانية فى جبال البرت، حقا إنه غزاها ودخلها كلها، ولكن ذلك لم يكن فتحا بل اثباتا للسلطان الإسلامى وتقريرا لسيادته، وكان معترفا بأن هذه الدول ليس من الضرورى أن تدخل فى دولته.

والوحيد الذى حاول ذلك ونجح فيه كان فاتح الأندلس وبطله العظيم طارق بن زياد، أما عبد الرحمن الغافقى فكان من جيله الصحابة الأولين، وكان هدفه أن يفتح غالة كلها ويحولها إلى بلد إسلامى، ولكنه وجد فى ذلك صعوبة كبرى، لأن غالة فى أيامه كانت تحكمها دولة أوربية نصرانية شابة وقوية أنشأها شارل مارتل (قارله) وأسرته.

وقد أخطأ عبد الرحمن الغافقى فى محاولته فتح غالة، فقد كانت فيها إذ ذاك دولة الكارولنجيين، وهى دولة قوية وشابة، وكان ملكها إذ ذاك وهو قارله (شارل مارتل) من عظماء تاريخ فرنسا، وكان رجلا طموحا، وما كان من الممكن أن ينتصر عليه الغافقى، حقا إن عبد الرحمن الغافقى كان محاربا عظيما، ولكنه لم يكن فاتحا عظيما، وتفاصيل حملته على غالة تثبت ذلك، فإنه لم يتبين أن غالة أربع وحدات سياسية هى دولة الفرنجة وكونتية بردال وممالك سلسلة جبال البرت وأهمها نبرة وأرغون هذا بالإضافه إلى امتداد غالة فى قطلونية وهى جزء من شبه الجزيرة، وقد هاجم الغافقى هذه الوحدات كلها فى آن واحد ومضى يضرب شرقا وغربا، ولم يقدر دولة الفرنجة وهى الكارولنجية، وكانت شابة وقوية وكانت البابوية وأوروبا كلها معها.

ولم يكن من الممكن للغافقى أن ينتصر على هذه كلها، كان لا بد أن ينهزم، ولكن كان من الممكن أن تكون هزيمته أقل سوءا من هزيمة بلاط الشهداء، وربما كان معذورا فى هذا التصرف

السيح، ولكنه غير معذور فى هذا الاسترسال فى الفتح حتى فاجأه الفرنجة وأوقعوا به هزيمة بلاط الشهداء، وهى هزيمة أليمة لم يلق جيل الفاتحين المسلمين الأول أسوأ منها، ولو أنه انتظر فى مكان ما واستعد للقاء فربما كان استطاع أن ينزل بالفرنجة خسائر أكثر، ولكن هذا هو حاله وهذا هو مصيره، ونحن نعرف قدره، ولكننا نلومه على الاستمرار فى السير إلى الشمال حتى فاجأه قارله (شارل مارتل) وأنزل به هزيمة بلاط الشهداء.

وليس ذلك عارا عليه، فهو محارب، والمحارب يتعرض للنصر والهزيمة، ولكن الجيش الذى كان معه كان جيشا عظيما، وهزيمته وتحطمه خسارة، ورغم ذلك كله فنحن نقدر الغافقى ونعرف مكانته.

وهنا تدخل معركة بلاط الشهداء فى تراثنا، فإنه يكفى أن هذه الأجيال الأولى من العرب وصلت إلى ثور فى وسط غالة وتخطتها نحو بواتييه، وقد كانت الهزيمة أليمة وخسارة كبرى لنا ولكنها كانت كذلك فخرا لنا فليس من السهل الوصول بالفتوح من دمشق الشام والوصول إلى ثور ثم تخطيها نحو بواتييه، وهنا تدخل معركة البلاط فى تراثنا، ويدخل الغافقى كذلك فى سلسة أبطال الإسلام.

وقد حاول بعض المؤرخين المسلمين أن يخففوا من خسارتنا فى بلاط الشهداء، بل زعم محمـد عبد الله عنان أن المسلمين لم ينهزموا فيها وإنما هم انسحبوا ليتلافوا الهزيمة، وهذا كلام لا يعقل، ولكن الوصول إلى بلاط الشهداء فى ذاته عمل عظيم، وهو كما قلت جزء من تراثنا الإسلامى الحافل.

وعلى أية حال فإن تراث الأندلس التاريخى حافل، وتدخل فيه بلاط الشهداء بكل مرارتها.

وقد درسنا تاريخ الأندلس ورأينا ما فعله عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر، وهى أعمال

عظيمة، ولو جاء بعد الحكم المستنصر خليفة عظيم مثله ومثل أبيه فربما كان الإسلام قد ثبت نهائيا فى غالة وهنا لا نعرف ماذا كانت تكون النتائج بالنسبة للتاريخ العالمى كله، ولكن ذلك أيضا مستبعد لأن عبد الرحمن الأوسط والناصر والمنصور بن أبى عامر حقيقة انتصروا ولكنهم خسروا رجالا كثيرين، ومن يدرى ماذا كان يكون تاريخ الدنيا فى هذه الحالة.

إن بلاط الشهداء كانت نهاية للامتداد الإسلامى العربى، وهى كما كانت فخرا للإسلام والمسلمين، ولكن الذى نقوله إننا خسرنا فى عالة جندا عظيما، ونحن فخورون بمن استشهدوا فى سبيل الإسلام، وهم ألوف كثيرة من خيرة الجند، ومهما كان الأمر فإنه يبدو أن نصر الإسلام فى بلاط الشهداء كان غير ممكن، فقد ضعف جيل المسلمين الفاتحين، وكان لا بد أن ينهزم بعد الألوف التى خسرها.

وقد رأينا كيف كان عبد الرحمن الناصر يحارب ويفتح فى جبال البرت بين غالة وإسبانيا ثم يسرع إلى سبتة فى المغرب ويحارب ويفتح، وللفتوح ثمن، وهذا الثمن دفعه عبد الرحمن الغافقى، ويكفى أنه كان بطلا من أبطال الفتوح الإسلامية الأولى ونحن فخورون به، لأننا نرى أنه حتى هذا المنهزم - الغافقى- كان واحدا من أبطال الإسـلام شجاعة وإقداما، ومهما كان فإنه يبدو أنه كان لا مفر من أن نهزم ويتوقف التقدم فى مكان ما من هذه الدنيا.

على أيـة حال كان ذلك فى بدايات تاريخ الأندلس الإسلامى، وما جاء بعدها كان عظيما، وما لم ندركه فى غالة أدركناه فى الأندلس، فإن الأندلس فى مجموعه كان فخرا عظيما لنا، حتى مملكة غرناطة كانت شيئا عظيما لأنها قامت وعاشت فى قلب أوروبا ومحمد بن عبد الله بن نصر منشئ المملكة النصرية كان شيئا عظيما مهما كانت الظروف التى أنشأ فيها دولته وقد عرف هو وخلفاؤه كيف يعيشون فى قلب أوروبا فى ظروف سيئة فعلا ولكنهم عاشوا وأقاموا دولتهم وقادوا

بقايا الشعب الأندلسى فى معركة طويلة ولكنها لا بد أن تكون خاسرة، وقد وقعت الهزيمة النهائية لمملكتـه فى رمضـان ٨٩٨هـ/ أكتوبر ١٤٩٢م فأين نحن من بدايات توسع الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشـرة أى إن الفاتحـين المسلمـين ظلـوا يحاربـون ويفتحون فوق القرون الستة وهذا أمر لا يصدق.

ولا بد أن نذكر هنا أن العرب والمسلمين لم يكونوا يحاربون فقط بل كان ينشرون الإسلام والعروبة فى نفس الوقت، وإذا كانوا قد استمروا على ذلك ستة قرون فهم ينفردون بهـذا على أمم الأرض جميعا، ونحن خلفاء أولئك العرب والمسلمين لا يمكن أن ننسى ذلك أبدا، بل إن النسيان هنا هزيمة.

ونستمر فى الكلام على تراث الأندلس فنقول إننا كنا فى الأندلس فى بلد غربى يتكلم أهله لغة أوروبية من بنات اللغة اللاتينية، وكان مسلمو الأندلس يكتبون بالعربية ولكنهم كانوا يتكلمون العربية والإسبانية، والإسبانية الأندلسية كانت متأثرة جدا بالعربية، وهذا فى ذاته نصر عظيم للعروبة والإسلام، فليس من السهل أن يعيش الإنسان بلغتين، فهـذه عملية عقلية عسيرة، ولكن سكان الأندلس إسلاميين ونصارى نجحوا فيها وعاشوها ثمانية قرون، وهذا فى ذاته فخر عظيم لهم، وهو جزء من تراثهم الذى ندرسه الآن ونفخر به، بل إن اللغة الإسبانية فى ذاتها جزء من تراث الأندلس، وكان الكثيرون من الأسبان المحدثين يأسفون لذلك.

وقد أنفقنا كثيرا جدا من الجهود لكى نصرفهم عن هذا الأسلوب من التفكير، ونظن أننا وفقنا بعض التوفيق فى ذلك، وما زلنا مختلفين مع الأسبان فى ذلك ولكننا اقتربنا منهم على أية حال، ومعهدنا للدراسات الإسلامية فى مدريد ليس معهدا أجنبيا وإنما هو جزء من إسبانيا، أى جزء من أوروبا، وهذا المعهد فى ذاته مفخرة من مفاخر العرب والإسلام، فإن الأندلس الإسلامى كان زعيما من زعماء أوروبا فى حين أن إسبانيا فى مؤخرة أوروبا وهذه حقيقة لا بد أن نفخر بها.

وقد كان هناك نفر من الأسبان لا يذكرون العرب إلا حملوا عليهم، وذهبوا إلى أن العرب أخروا أسبانيا، وزعموا أنه لولاهم ولولا احتلالهم لبلادهم لكانوا فى مقدمة أمم أوروبا، فهؤلاء هم العرب تركوا إسبانيا لأوروبا والبابوية فماذا فعلت؟ لقد كانت دائما فى مؤخرة أوروبا، وما زالت إلى يومنا هذا فى المؤخرة، ومتى كانت إسبانيا فى مقدمة أوروبا؟ أليس فى أيام العرب والمسلمين، أيام كانت أوروبا تنظر إلى قرطبة على أنها قمة الدنيا، بل كان ملوك إسبانيا النصرانية يأتون إلى قرطبة ليأخذوا التوجيه من زعيمة أوروبا، أيام كان عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر يتزعمون أوروبا كلها، وماذا فعلت البابوية بإسبانيا إلا التأخر؟ أليس هذه حقيقة من حقائق التاريخ لا يناقش فيها أحد؟.

لقد كانت قرطبة إذ ذاك زعيمة أوروبا كلها، بل زعيمة الدنيا، وكان عبد الرحمن الناصر يدخل نبرة وأرغون ليأمر ويوجه، ومن هناك يخرج إلى شذونة وقادس وسبتة، وهل كان الناصر يرى نفسه إلا زعيما إسبانيا مسلما لأوروبا كلها؟.

لقد تحدثت فى ذلك مع الكثيرين من زعماء أوروبا وعلمائها، وأظنهم قد اقتنعوا اليوم بكلامنا ولا يناقش في ذلك إلا جاهل بالتاريخ كاره لإسبانيا، لأننا هنا لا نعمل دعاية لإسبانيا المسلمة، فلسنا فى حاجة إلى ذلك، وهذا كلام نقوله ونحن نعرف قدره، بل سلم لنا فيه رجال مثل غرسية غوس الذى كان لا يذكر العرب إلا بالإنكار والحملة، وأظن أنهم اليوم معنا فى الرأى.

فنحن هنا لا نتحدث عن الإسلام، بل نحن لسنا فى حاجة إلى ذلك، وأنا شخصيا أحس تماما أننى إسبانى مسلم، وأننى أعطى بلدى إسبانيا حقها فى العظمة، فقرطبة كانت إذ ذاك عاصمة الدنيا كلها سياسيا وحضاريا، وإلا فهل يظن بعض الناس أن عبد الرحمن الناصر كان مسلما يحكم أسبانيا؟ لا والله وما كان الرجل إلا أسبانيا مسلما، ولو أنك سألته عن جنسيته لقال أندلسى،

والأندلسى هو الأسبانى وكل أندلسى طريف، وأنا حياتى كلها مع الأندلسيين مع ناس ظرفاء طرفاء، وأنا لهذا اخترت الأندلس ليكون ميدان تخصصى، وأنا فعلا أجد أن حياتى فى الأندلس وللأندلس طريفة وجميلة.

وقد تآخت الدنيا وتشابهت فى أيامنا هذه، وخفت الفوارق بين الماضى والحاضر أو قل اختفت، ولكن الأندلس ظل رغم كل شيء بلد ظريف طريف.

وقد كتب أسبانى نصرانى يسمى سيمونت Simanet كتابا عظيم القيمة عن تاريخ إسبانيا الإسلامية موضوعه المستعربون Historia de los Mozaibes ملأه بالحملان على الإسلام والمسلمين، والرجل من أهل القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر، وقد ذهبت ولقيت ابنه وهو رجل طريف محترم، وبعد الحديث عن أبيه صمتُّ قليلا أقرأ الفاتحة على حياته، فسألنى الابن فقلت له كلاما كثيرا، فقال ولكنه هو ليس فى حاجة إلى فاتحتك، فقلت له إنها ليست فاتحتى ولكنها فاتحة القرآن الكريم، فقال : ولو ! إنه ليس فى حاجة إليها، فقلت له : ولماذا هو ليس فى حاجة إليها؟ هل تعرف عنها شيئا؟ قال: لا، فقلت له : فلماذا إذن تمنع عن أبيك خيرا كثيرا، إن الفاتحة كلها خير، هل تعرف شيئا عنها؟ قال: لا، ولكنه ليس فى حاجة إليها، فترجمتها له وقلت له: ما هو الشيء الذى لا يحتاج إليه أبوك من هذه الفاتحة، إنها كلها دعوة لله هو الإله عندكم، والقرآن كله رسالة الله إلينا نحن المسلمين، وهو أيضا دعاء كريم جميل للنصارى واليهود وكل من يعبد الله سبحانه، والمشكلة مع أبيك أنه دخل الدراسة الإسلامية مقفل القلب والفكر فضاع عليه خير كثير، ونحن المسلمين لا نقول أبدا إن النصارى كفرة، فإنهم عندنا مؤمنون بالله، وإذا كان الرسول بولص قد رسم المسيحية زاعما أنه أخذها على هذه الصورة عن السيد المسيح، ثم رسم المسيحية كما تصورت له، فأدخل فيها مارية أم المسيح، ونحن المسلمين نضع حدا فاصلا بين أم المسيح وغيرها، فالله وحده سبحانه خلق هذا الكون وكل ما فيه، والسيد المسيح لم يوص بولص بشيء، فقد

كان المسيح نبيا كمحمد فى رأينا، ولكن بولص جاء من عنده بالثالوث، وهو الله والمسيح والروح القدس، ونحن نرى أن مارية كانت سيدة عظيمة جدا، ولكنها بشر مخلوق، ولا شأن لها بالألوهية، ولماذا يكون لها دخل فى الألوهية وهى هنا مجرد امرأة، ونحن نقدسها، ولكننا نضعها معنا نحن المخاليق والله سبحانه وحده هناك فى الأعالى وفى كل شىء وفى كل مكان، بل هو داخل نفوسنا، أقصد أن جلالته وعظمته تملأ نفوسنا، وأنتم - أقصد المسيحيين - أحرار فى دينكم، وكل ما أقوله هنا أننا لا نختلف عنكم فى شىء من هذا، وإنما نحن نقول فحسب إن الله وحيد فريد فى شأنه، ولا معنى لأن نأخذ شيئا من ألوهيته ونعطيه لأم المسيح لمجرد أنها ولدته.

وكانت تلك نقطة خلاف فى الأندلس بين المسيحيين والنصارى، وها أنت ترى أنها ليست نقطة خلاف، ونحن عندنا أندلسى عظيم يسمى أبا محمد بن حزم، كتب كتبا كثيرة منها كتاب فى الأديان « الفصل فى الأديان والملل والنحل » تحدث فيه كثيرا عن المسيحية، ولكنه لم يقل شيئا أنت كمسيحى تنكره، ولكن أباك فى كتابه قال أشياء غريبة لا أجدها عندنا فى عقيدتنا، ولهذا فأنا أسأل الله المغفرة لسيمونيت، وأنا لا أشك فى أنه لو كان مفتوح العقل والقلب لكان كتابه أجمل وأقرب إلى الحق والخير، وأنا مع ذلك اقول: إن كتابه فى تاريخ المستعربين كتاب عظيم ملىء بالخير على رغم أنفه هو، وهو المؤلف.

ويهمنا هنا أن نقول: إن النصارى فى الأندلس فى كل عصوره كانوا أكثر عددا من المسلمين، ولكن ذلك كان لا يضايق المسلمين فى شىء، لأن الإنسان يفتح البلاد ولكن الله هو الذى يفتح القلوب، والقرآن الكريم يقول: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ فالنصر هو الفتح العسكرى ولكن الفتح هو فتح القلوب، والله سبحانه هو الذى يدخل الناس فى الدين، وهذا يختلف تماما عما تزعمه البابوية من أنها تدخل الناس فى المسيحية والبابا نفسه، وهو رئيس الأمة النصرانية يزعم ذلك ونحن لا نجد ذلك فى أى أصل من أصول الدين، وليس ذلك بضرورى، ولم يحاول أى مسلم فى

الأندلس أن يدخل نصرانيا فى الإسلام لأن ذلك غير ممكن، فالله وحده هو الذى يفتح القلوب للدين، ولماذا ينكر المسيحيون رسالة محمد، إنه رسول الله إلى البشر، وكان لا بد أن يرسل الله رسلا إلى الناس، إن الناس كثيرون جدا وبلادهم كثيرة فكيف لا يرسل الله رسولا بعد عيسى لكى يبلغ البشر كلام الله، وهو عندنا القرآن الكريم، ولو أن الله أرسل رسولا إلى أهل الصين مثلا، لكنت أنا من أول من يؤمن به، لأنه لا يمكن أن يكون خلاف ما قال الله تعالى لنا نحن المسلمين، وقد كان فى إدارة الدولة الأموية الأندلسية نصارى بل كان منهم وزراء، وكان أمراء المسلمين يثقون فيهم ويحبونهم، بل لا يدعونهم إلى الدخول فى الإسلام، لأن ذلك ليس من شأن البشر، إنما هو شأن الله سبحانه.

وهذه الناحية – ناحية عدم التعارض بين الإسلام والمسيحية من النواحى الطريفة فى الأندلس، فالمسيحى مسيحى والمسلم مسلم ولكن الوطن للجميع، وهذا الأساس كان عنصرا من عناصر قوة الأندلس الإسلامى وطرافته، فقد ورثنا عن الأندلس مساجد وكنائس كثيرة، وكلها كانت موضع تقديس الجميع، وكلها بنيت بموافقة رؤساء الدولة، وكلها كانت فى نفس المكانة من التقديس، وهذه المساواة الدينية كانت من ميزات الأندلس ومفاخره.

وعلى الرغم من بعد الأندلس عن مركز الدولة الإسلامية فى دمشق وحوالى ٧٠٠٠ كيلو متر إلا أن الهجرة إلى الأندلس كانت مستمرة، وفى عصر عبد الرحمن ثم الناصر كان الأندلس حافلا بالمسلمين من أهله ومن المهاجرين إليه لأنه كان فى الواقع بلدا غنيا وجميلا، ويكفى أن نتصور إشبيلية ومرسية فى تلك العصور، إنهما بلدان صغيرانٌ فى أيامنا هذه، ولكن فى أيام المسلمين كانتا عاصمتين من عواصم الدنيا، وإليهما – وإلى كل بلاد الأندلس – كانت هجرة المسلمين مستمرة. حقا إن معظمهم كانوا من أهل المغرب، ولكن أهل المغرب كانوا قد أسلموا واستعربوا وأصبحوا

جزءا من عالم الإسلام ورجال مثل يحيى بن يحيى الليثى ومنذر بن سعيد البلوطى كانوا عربا مسلمين ولكن أصولهم مغربية، ولكن الأندلس شحذ هممهم وأطلق ملكاتهم وجعلهما من قادة التاريخ لا للفقه وحده بل لعبقرية الأندلس نفسها، وهذان الرجلان فقيهان أصلا، ولكن الأندلس صنع منهما عبقريين، ويحيى بن يحيى لم يكن فقيها فحسب بل كان صانع حضارة، وكان يرأس قضاة الأندلس رئاسة حقيقية، وإذا لم يعجبه قاض طلب منه أن يستعفى وإلا كتب فيه إلى الأمير فأعفاه.

ومنذر بن سعيد البلوطى لم يكن يقل عن يحيى بن يحيى، وقد تولى وظائف كثيرة قبل القضاء ومعه وبعده مثل صاحب الحسبة وصاحب السوق وصاحب الرد، وقد نجح فى كل هذه الوظائف، وقد عمل فى أيام عبد الرحمن الناصر وكسب ثقته وزاد فى فضله، ولكنه لم يكن مستبدا استبداد يحيى بن يحيى الليثى، ويلاحظ أن كبار حكام المسلمين لا يختلفون قط مع حضارة من هذا الطراز، وكانت تلك من دلائل عبقريتهم وفضلهم.

وهذه نقطة هامة من نقط تراث الأندلس، فهذا البلد الإسلامى العربى البعيد أخرج من عظماء الحكام ما لم يخرجه غيره من البلدان العربية الإسلامية ومنهم عباد الرحمن الثلاثة: الداخل والأوسط والناصر، هذا غير الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، فقد كان اهتمام الحكم المستنصر بالعلم والعلماء فريدا فى بابه، وهو يمتاز على غيره ممن شجع العلوم والأداب من حكام المسلمين أنه كان هو نفسه عالما مشاركا فى العلوم والآداب، وقد وصل فى ذلك إلى مستوى لا يكاد يصدق، حتى أحصى المؤرخون من استخدمهم الحكم المستنصر أن رجال العلوم الذين استخدمهم فى عمله العلمى بلغ حوالى المائتين بل هو نفسه كان عالما قارئا كاتبا وقد وصلتنا بعض مؤلفات مكتبته وعليها تعليقاته وهى تدل على أنه كان فعلا علامة لا مجرد أمير مهتم بالعلوم.

وهذا في ذاته فصل من فصول تراث الأندلس، فإن الرجل كان علامة يخدمه المفهرسون والمسجلون، وقد أحصى عدد فهارس كتب مكتبته فبلغت ٤٤ فهرسا ليس فيها إلا عناوين الكتب، وقد بلغ عدد الكتب التي كانت تضمها مكتبته نحو ٢٥٠ ألف كتاب، وربما بلغت فيما بعد نصف المليون، بل ذهب بعض المؤرخين المحدثين إلى أن هذه الكتب من الممكن أن تصل إلى نصف المليون، ومن الممكن أن تصل إلى المليون، وهذا في ذاته عجيبة تدخل في تراث الأندلس.

وعندما أراد إمبراطور القسطنطينية أن يهدى الناصر شيئا لم يجد إلا الكتب، وقد أهداه كتب أفلاطون، وعنى بها الحكم وأنفق عليها من المال ما لا يصدق.

ولولا أن أهل الأندلس كانوا شديدى الاهتمام بالعلم لما حدث شيء من ذلك، وها هي مكتبات الدنيا كلها عامرة بالكتب الأندلسية، وقد اهتم بذلك عالم محدث هو أجوادو بلاى الاسانى Aguado Bleye، ورغم أنه كان نافرا من الإسلام إلا أنه في ذاته برهان ناطق بحب الأندلسيين للعلم وإقبالهم عليه.

ويستوقف النظر أن الأندلسيين أدخلوا كل شيء في العلم، حتى الهزل كان عندهم علما، ولا يمكن أن يقال إن الأندلسيين كان عندهم هزل، فهؤلاء ناس جادون ولم يكن من الممكن لهم البقاء في الأندلس إلا بثروة علمية عظيمة، ففى الأندلس كانت هناك معركة لا تنتهى، معركة فيها حياة أو موت، وحتى الأمراء الذين قلنا إنهم لم يكونوا أقوياء محمد والمنذر وعبد الله أنفقوا أعمارهم كلها في الحرب، وعيبهم الواضح أنهم لم يكونوا حاسمين، ولكن الأمير عبد الله منهم حكم ثلاثين سنة وترك الحكومة بعده لعبد الرحمن الناصر، وهو القمة العليا في قوة الأندلس ولا شك في أنه أخذ عن عبد الله جده كثيرا، وحكمه كان تمهيدا لحكم الناصر أى تمهيدا لحكم القوة العليا، ولا يمكن القول إن عبد الرحمن الناص كان واحدا من محاربى أمراء

المسلمين، بل الذى يمكن قوله إنه كان واحدا أو وحيدا، فما عرفنا فى أحد مثل هذا النشاط، فإن المسافة من نيرة وارغون مثلا إلى قادس كانت نحو ألف كيلو متر، ولكن هذا الرجل يقطعها وكأنه فى نزهة، وقبل أن يفرغ من ذلك يكون قد رسم خطة الحملة التالية بها.

ولا شك فى أن ابنه الحكم المستنصر كان فريدا فى بابه مثل أبيه، ولكنه صرف جانبا كبيرا من جهوده فى العلم ومع العلماء، وهو هنا فريد فى بابه.

أى إن كبار أمراء الأندلس كانوا نسيج وحدهم وحياة كل منهم وأعماله جزء من تراث الأندلس تحكى لذاتها، ولقد أضر بنا محمد بن أبى عامر فى أنه كسر هذه السلسلة باستبداده بالحكم من دون الخليفة هشام المؤيد وهو ابن الحكم المستنصر، حقا إن المنصور محمد بن أبى عامر فى ذاته كان تحفة وعلما، ولكن كسر الحكم دائما لا يفيد.

وإذا كان المنصور عظيما فى ذاته فهو غير عظيم بالنسبة للأندلس، لأن هناك فى أمراء بنى أمية الأندلسيين عبقرية، ولو امتد الخط ولم يعمل المنصور ما عمل فربما كان الأندلس قد وصل إلى قمة السلطان واتصل تاريخه إلى أيامنا، ولكان للدينا كلها تاريخ آخر.

ولهذا فنحن نقول إن كبار أمراء بنى أمية الأندلسيين قطع من تراثنا فقد حكموا الأندلس بعبقرية، وحاربوا أوروبا حربا عظيمة، وأين نجد أميرا مثل عبد الرحمن الداخل يدخل الأندلس فردا طابعا للحكم وينجح في ذلك ويصبح فى ذاته عظيما من عظماء الإسلام ومن هنا فهو جزء من تراثنا ومن تراث العالم أجمع.

وكانت فى الأندلسيين عبقرية خاصة بهم فإن الواحد منهم يكون فيلسوفا عظيما ولكنه فى نفس الوقت فقيه عظيم، وانظر فى كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لترى كيف كان فقيها عظيما إلى جانب فلسفته العظيمة، ونحن نفهم لماذا أخذ اسم هذا الرجل فى التاريخ العالمى اسما

خاصا هو Auerroes الذى يحتل مكانا ضخما فى تاريخ الحضارة العالمية، ولا يقل عنه فى ذلك ابن طفيل الذى كان فيلسوفا وفقيها وعظيما من الفلسفة وفى الفقه.

وأنت إذا قرأت تاريخ الأندلس فهمت السر فى انفراد أولئك الناس فى العظمة، فإن البقاء فى الحكم فى الأندلس فى ذاته يحتاج إلى جهد جبار وعبقرى، وهنا ترى أنه إذا كان عمر الأندلس ثمانية قرون فذلك عظيم جدا وفيه كفاية، بل إنك تجد مؤرخا وأديبا مثل ابن بسام الغرناطى يكتب كتاب «الإحاطة فى تاريخ غرناطة» وهو كتاب مهم وعظيم، وابن بسام به جدير بالعظمة فى تاريخ الأندلس وتاريخ الفكر الإسلامى العربى أيضا.

وقد درست حياة كبار القضاة الأندلسيين من أمثال المنذر بن سعيد البلوطى الذى تولى قضاء قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر، وكان له مكان ممتاز فى الدولة، وكان مقربا من الخليفة الناصر وله مكان عظيم عنده، وقد رأيت أن مثل هذا الرجل بهذه العظمة كان لا يمكن أن يكون إلا فى الأندلس، لأن الحياة فى الأندلس كانت صراعا للبقاء، ورجل مثل منذر بن سعيد كان لا يمكن أن يظهر بهذا الحجم إلا فى الأندلس، فقد كان له دخل فى كل شىء فى الدولة، وكان الناصر يخشاه ويرعاه، فإلى جانب وظائف الكبرى كان مؤلفا ممتازا، وها هى كتبه بين أيدينا وهى مفاخر للفكر العربى، لأن الرجل كان شخصية عظيمة وواسعة، ولو كان هذا هذا الرجل فى مصر مثلا لما بلغ هذا المركز العظيم، لأن الأندلس بلد عظيم، وهو يخلع على من يستحقون من أبنائه عظمة وجلالا، وقد عاش ذلك الرجل ثلاثة وستين عاما وشهورا كلها جهد وعمل وبناء للدولة؛ وابن بسام فى الذخيرة يعطيه حجما عظيما، ونفس كتاب الذخيرة شىء عظيم، وهو من مفاخر الأندلس.

وقد كان الناس فى الأندلس عمليين وكانت لهم عناية خاصة بالصناعة وقرطبة فى ذاتها

كانت بلدا عظيما يمتد على جانبى نهر هو الوادى الكبير، ولا شك فى أن الوادى الكبير كان أيام المسلمين أكبر وأقوى مما هو الآن، فهو مثلا يهدم القنطرة وهى الكوبرى، وكان فى الأندلس من يعيدون بناء القنطرة أو يرممونها.

وكان الأندلس يزدان بالكثير من الأعمال المصنوعة ولم يقتصر ذلك على كبار الأشياء كالقنطرة على النهر أو أسوار المدينة، بل تدخل فى ذلك الأشياء الصغيرة كأدوات البيوت والمطابخ.

وعلى الجملة ترى أن الأندلس كان ينفرد على غيره من بلاد الإسلام بمظاهر حضارية ذات قيمة، وإن لم تستطع القول إنه كان يتميز فى هذا على غيره من بلاد الإسلام وبلاد أوروبا، ولكنه على الجملة كان بلدا متميزا بنفسه حضاريا، ومن أسف أن شيئا من هذا لم يبق إلى الآن، ولكن الكثير من المؤرخين أو الزوار تحدثوا عن ذلك، وكان امتيازه بالنسيج الرقيق الجميل معروفا.

وما زالت بين أيدينا نماذج من النسيج الأندلسى الرقيق الممتاز سواء أكان قطنيا أو حريريا أو صوفيا، وقد كان الأندلس يصدر إلى بلاد الإسلام نماذج من منسوجاته المتميزة وأنت وبطبيعة الحال تستطيع أن نقول إن الأندلس سبق غيره، ولكنه على أية حال بلد مشهور بنسيجه، وبصناعات أخرى صغيرة من أدوات البيوت وأدوات الصناعة فى النجارة أو الحدادة أو صناعة الزجاج.

وقد وجدنا فى العراق ومصر وغيرهما من بلاد الشرق الإسلامى آثارا أندلسية كثيرة، وهذه لم تدخل تلك البلاد فى أيامنا هذه، أى إنها ليست بضائع بل تراث.

والحق أن الأندلس كان كثير التصدير للشرق الإسلامى والعالم العربى وكل الدنيا، فإن الأندلس كان بلد إنتاج، ولا نكاد نجد بلدا آخر من بلاد العصور الوسطى يعدل الأندلس فى ذلك.

وقد كان فى الأندلس تجار وظيفتهم جمع المنتجات الأندلسية وبيعها فى كل بلاد الدنيا، ولم يقتصر الأمر على المنسوجات بل شمل الحديد والخشب والجواهر.

وجواهر الأندلس كانت فى الحقيقة تحفا صناعية فنية، وها هى بقاياها أمامنا تذهل عيوننا، وصناعات الخشب والحديد والنحاس الأندلسية كثيرة جدا بين أيدينا، وهى تدل على أننا أمام بلد صناعى تجارى يمتاز على غيره، ولم يدرس العلماء من هذه المصنوعات إلا القليل، ولكن لا بد أن ندرسها كلها لكى نستخلص منها ما نستطيع من خصائص الصناعة الأندلسية، ولا يمكن القول إنها بصفة عامة تمتاز على الصناعات الإسلامية فى البلاد الإسلامية الأخرى، ولكنها كانت صناعة نشطة ونافقة ولدينا من طرائفها الكثير فى المتاحف، وهى كلها تدل على أننا أمام بلد متقدم جدا فى ميدان الصناعة، وخصوصا الصناعة الزراعية، فقد كانت مصر مثلا تستورد القمح الأندلسى، ولكن الأندلس فى نفس الوقت كان يستورد القمح المصرى.

وعلى أية حال، فإن العالم الإسلامى كان عالما نشيطا عاملا، وكانت بلاده متعادلة فى هذه للمناحية، ولا بد من القول بأن الأندلس على صغر عمره بالقياس إلى غيره من بلاد الإسلام لم يقل عن غيره، حقا إن كثيرا من الصناعات الأندلسية نقلها إلى الأندلس مهاجرون من الشرق، ولكن فضل الأندلس هنا عظيم، فقد كانت الحياة فيه حربا متصلة للبقاء، فإذا كان قد مهر فى الصناعات، فذلك شيء يختص به الأندلس ويمتاز به على غيره من بلاد الإسلام.

حقا إن الأندلس بطبيعته الجغرافية يمتاز على غيره من بلاد الإسلام لوفرة المعادن فيه نسبيا، ويكفى هنا أن نذكر الفقرة التى تشير إلى صناعة الحديد من كتاب السقطى، وهى من هذه الناحية، فريدة فى بابها، وقد أتيت بنصها فى دراسة سابقة من دراساتى.

وكان الأندلس حافلا بالعلم والعلماء فى كل باب، ويكفى أن المقرى يأتينا فى نفح الطيب بأشياخ ابن الخطيب وعددهم يبلغ سبعة وستين، ويأتينا بأمثلة كثيرة من نثرهم وشعرهم، والتراجم هنا مطولة أخذ معظم الجزء الخامس من الكتاب، وبعضهم شيوخ كبار فى الفقه والأدب والعلم،

هذا غير من ذكر المقرى نفسه فى كتابه «أزهار الرياض» من أشياخ عياض، وهذا كتاب قائم بنفسه لا يقل حجما عن نفح الطيب الذى تصل أجزاؤه إلى ثمانية، كل جزء يقع فيما يزيد على ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير، وأضف إلى ذلك كتابه فى تاريخ عياض ودراساته ومؤلفاته، وإن من يرى ذلك لا يصدق أن هذا الرجل عاش فوق الستين سنة بقليل، فكأنه كان يكتب فى اليوم ما يزيد على عشرين صفحة مطبوعة كبيرة.

والخلاصة أن الأندلس بلد علم وعلماء حتى عصر دولة غرناطة، ولسان الدين من رجالها، وإن الإنسان فعلا لا يصدق أن الأندلس هذا كان إلى جانب ذلك الثراء العلمى بلد حرب ضروس للبقاء، وكان عياض من رجال عصر الموحدين، وهو عصر عظيم من عصور تاريخ الأندلس، فإننا هنا فعلا فى بلد لا يصدق نشاطه وغنى أهله، لأن الموحدين كانوا دولة مغربية، مثلهم فى ذلك مثل المرابطين، ولكن هذا هو الأندلس، وإلى جانب نفح الطيب كتب المقرى كتابه الضخم عن عياض ذلك العلامة العظيم.

ولنذكر هنا أيضا على بن سعيد علامة قلعة يحصب إلى الشمال الشرقى من قرطبة، ولم يكن مؤلفا فقط بل كان علامة وشاعرا، وقد ألف عشرات الكتب العظيمة فى تاريخ الأندلس، وهو يشبه المقرى صاحب نفح الطيب وأزهار الرياض فى أنه هاجر من الأندلس والمغرب كله إلى المشرق، وهناك عاش وكتب بعد أن تعلم وأخذ من العلم نصيبا عظيما تدل عليه مؤلفاته الكثيرة وأشعاره الممتازة.

وهؤلاء مجرد أمثلة من علماء الأندلس الذين لا يقلون عن علماء أى بلد إسلامى آخر، وهذه الكتب العظيمة كلها من تأليف الأندلسيين لأن الأندلس كان موطن حرب وسياسة وعلم ونظم ونثر، وهذا كله جزء من تراثه العظيم.

وعلى أية حال فإنك لا تذكر حضارة الإسلام إلا جاء ذكر الأندلس، إنه كله تراث، وما كان أحد ليصدق أن العرب الذين خرجوا من جزيرتهم من الممكن أن يصلوا إلى غرب أوربا ويفتحوه وينشئوا فيه دولة زاهرة هي الأندلس، فهو في ذاته تراث، ويكتمل له معنى التراث إذا عرفنا بعد ذلك كله أنه اختفى، لقد ولد واختفى بين أيدينا، ونحن نعرف كل شيء عنه، وهو البرهان الأقوى على قوة العرب وحضارتهم، فما بالك ولهم فيه كل هذا الوجود الحضارى.

لقد تأثرت به أوروبا والعالم كله، ومن هنا جاءت صعوبة الكلام عن تراثه الحضارى، فهو كله تراث.

وعندما شرعت في دراسته كنت في فرنسا، وقال لي الفرنسيون: ولكن لا تتعب نفسك في البحث عن الأندلس هناك في إسبانيا، ابحث عنه هنا، فنحن غرب أوروبا، والأندلس حاربنا، ونحن حاربناه، فقلت لهم: أزوره وأرى ثم أعود إليكم، وزرته ورأيته ولكنى لم أعد إلى الفرنسيين بل ظللت فيه عمرى كله، ووجدت سعادة كبرى في الحياة له ومنه، والحق أنه طريف وجليل جدا، وإذا كانت إسبانيا تختلف عن بقية أوروبا، فإن سبب الاختلاف هو الأندلس، والطريف أن العرب فتحوة كله حتى ساحل بسكاية شمالى الجبال الكنتيرية وخيخون وابيط Oviedo مدينتان إسلاميتان، وأنا ذهبت إلى ابيط وخيخون وعشت فيهما وقد تعجبت من وصول العرب إليهما، وقلت: حقا إن العرب شعب عظيم، لأن مجرد الوصول إلى هنا وإلى جبال البرت أو البرانس معجزة.

وإذا أنت بحثت عن نقطة نهاية يمكن أن تدرس منها النشاط الحضارى العربى الإسلامى فأنت لن تجد أفضل من الأندلس، وهذه هى الصعوبة التى أعانيها أنا الآن، فماذا أذكر في التراث وماذا أدع؟ لا أستطيع أن أدع شيئا، ولا أستطيع أيضا أن أذكر كل فتوح الأندلس الحضارية.

وأذكر أننى زرت الجزيرة وعشت فيها وأنشأت معهد الدراسات الإسلامية، وهو معهد جدير بالوجود والتعظيم، وأنا لا أبحث عن شيء أقدمه فى تراث الأندلس، فكله تراث وكله طريف، واللغة الإسبانية الراهنة هى جزء من تراث الأندلس، فهى من أصل لاتينى وأيبيرى رومانى، وهى فريدة فى بابها وعربية فى طبيعتها.

وإذا أنت بحثت عن شيء فى حضارة الإسلام كله لتقدمه على أنه تراث، فأنت لا بد أن تأخذ الأندلس كله، وأنا شخصيا محب للأندلس بل أنا أندلسى، هكذا كنت وهكذا أكون، وذلك من أجمل ما فى حياتى، ومن حسن الحظ أننى استطعت أن أنشئ مدرسة تعمل على طريقتى، ومن ثم فأنا لا أهتم بشاب يريد أن يعمل بحثا للماجستير أو الدكتوراه فى موضوع أندلسى، وإنما الذى يهمنى هو من يعيش الأندلس كما عشته وكما أعيشه.

وأذكر أننى ذات مرة زرت مدينة الجزيرة الخضراء، وكانت زيارة مرور ولكنى قضيت فيها شهورا، لأننى وجدت البلدة طريفة جدا وجميلة جدا، ولم أتخلص من سحرها إلا بعد جهد، وطريف أن هذه البلدة تسمى فى الإسبانية Aleire وهو تحريف للجزيرة، ولكن البلد نفسه لا يختلف عن أى مدينة إسبانية أخرى مثل سلامتكا مثلا، فإن المسلمين هضموا إسبانيا، أو قل هى هضمتهم.

وعلى أية حال فما زالت إسبانيا إلى يومنا هذا أندلسية، وهذا أجمل ما فيها، وأعظم ما يميزها عن غيرها من مدن أوروبا، فنحن فى الأندلس عرفنا أوروبا، ولهذا استطعت أن أقول إن كل حضارة الأندلس تراث لنا وللاسبان ولكل أوروبا.

وقد آن أن أدع القلم عن الكلام عن تراث الأندلس فكله تراث، وربما لم تكن مملكة غرناطة جديرة بالأندلس، فهى دولة ضعيفة جدا ومستواها بسيط، ولكنها جزء من الأندلس، وقد عاشت قرنين ونصفا وقدمت رجالا مثل ابن حزم ومنذر بن سعيد البلوطى ويحيى بن يحيى، وكل ما فيها طريف وجميل، وإذا أنا استطعت أن أدخلك عالمى الأندلسى فذلك حسبى، وأنت ستجد فى الأندلس متعة وحياةً، ويكفى أن كل أندلسى كان يتكلم لغتين: العربية والأيبيرية الرومانية، وهذا شيء فريد فى بابه، وأنت لا تجد له مثالا فى بلد أوروبى آخر.

وقد كان غرسية غومس شديد الحملة على العرب والمسلمين، وياطالما تكلمت معه، وأظن أنه الآن من مدرستنا وإن كان مختلفا عنا كل الاختلاف، وقد بدأ حياته فى مصر، فقيها تتلمذ لطه حسين وأعد رسالته للدكتوراة ومنها أخذ شخصيته التى دخل بها المجمع العلمى الاسبانى، وهو أندلسى مثلنا، وما زالت كل دراسته وأبحاثه إلى يومنا هذا أندلسية، وفى آخر اجتماعاتى به فى إسبانيا أحسست أنه جزء من الأندلس مثلى تماما، وماذا أريد منه غير ذلك؟ لقد قالها هو بنفسه وأجمل كتبه وهو كتابه الطريف عن ابن قزمان أكبر دليل على ذلك، وياحبذا لو ترجم واحد منا هذا الكتاب إلى العربية، ومن أسف أننى أنا لا استطيع الآن بعد هذا العمر، ولكن مدرستنا تضم شبابا يستطيع أن يقوم بذلك.

وقد قصصت عليك تاريخ الأندلس على قدر ما استطعت، فخذ منه ما تريد ودع منه ما تريد، ولا عليك، فكله أندلس، وكل الأندلس تراث.

لقد مات الأندلس سياسيا ولكنه عاش حضاريا، وهذا كل ما يعنينا، وهذا كل ما يعجبنا فيه، وهذا حسبنا.

إن هذه الحضارة الأندلسية هى الدنيا التى نعيش فيها أو الدنيا التى نعيشها.

لقد قصصت عليك فيما سبق من هذا الكتاب أهم ما كان فى تاريخ الأندلس، وأرجو ألا يكون قد فاتنى شىء، فخذ منه ما تريد، وكل الذى ستأخذه تراث.

الـفهـارس

أولاً : فهرس الأعلام

ثـانيـا : فهرس الاماكن الجغرافية

ثـالـثا : فهرس الطوائف والقبائل

رابعـا : فهرس الآيات القرآنية

خامسا : فهرس الأشعار

سادسا: فهرس الكتب

سابعا: شجر النبـا

ثامـنا : المصادر والمراجع

تاسعا : الخرائط

عاشراً:فهرس الموضوعات

أولا :

فهـــرس الأعـــــــلام

(ب)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

....

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

(ى)

❖ ❖ ❖

ثانيا :

فهـــرس الأمـــاكـــن الجغرافيـــة

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

....

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

❖ ❖ ❖

ثالثا :

فهرس الطوائف والقبائل

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

....

(ط)

(ظ)

....

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

❖ ❖ ❖

رابعا :

فهـــرس الآيـــات القـــرآنـيـــة

خامسا :

فهـــرس الأشـــــعــار

سادسا :

فهـــرس الكتـــــــب

❖ ❖ ❖

سابعا:

شجـــــر النســــب

ولاة الأندلس

الفتح	سنة ٩٢ هـ
طارق بن زياد (بن عبد الله بن ألغو بن أرفاجون بن نبرغاسن بن ألهاث بن إيتومت بن نفزاو)، (مولى موسى بن نصير)	٩٢
أبو عبد الرحمن موسى بن نصير	٩٤
عبد العزيز بن موسى	آخر سنة ٩٥
أيوب بن حبيب اللخمى	٩٧
الحر بن عبد الرحمن الثقفى	٩٨
السمح بن مالك الخولانى	رمضان ١٠٠
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى	١٠٢
عنبسه بن سحيم الكلبى (استولى على مدينتى نيم Nimes وقرقشونة Carcassonne)	١٠٥
عذرة بن عبد الله الفهرى	١٠٧
يحيى بن سلمة الكلبى	شوال ١٠٧
حذيفة بن الأحوص (أو الأبرص) الأشجعى (حكم ستة أشهر)	١١٠
عثمان بن أبى نسعه الخثعمى	شعبان ١١٠

الهيثم بن عبيد الكنانى	المحـــرم	١١١
محمد بن عبد الملك الأشجعى (شهران)		١١٢
عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى (للمرة الثانية)		١١٢
عبد الملك بن قطن بن نفيل بن عبد الله الفهرى		١١٤
عقبة بن الحجاج السلولى القيسى		١١٦
عبد الملك بن قطن (المرة الثانية) (قطع بلج رأسه سنة ١٢٣)		١٢٢
بلج بن بشر القشيرى		١٢٣
ثعلبة بن سلامة العاملى		١٢٤
الحسام بن ضرار الكلبى، أبو الخطار (توفى سنة ١٣٠)	رجـــب	١٢٥
يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى		١٣٠
وصل عبد الرحمن بن معاوية إلى بلاد الأندلس		١٣٨

ملوك الطوائف - العهد الأول

١- بنو حمود (علويون، انظر قائمة أنسابهم) بمالقه

١- على الناصر لدين الله بن حمود بن ميمون بن أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر ـــــــ سنة ٤٠٧هـ

٢- القاسم المأمون بن حمود ـــــــ ٤٠٨

٣- يحيى المعتلى بالله بن على بن حمود ـــــــ ٤١٢

القاسم (للمرة الثانية) ـــــــ ٤١٣

يحيى (للمرة الثانية) ـــــــ ٤١٦

٤- إدريس [الأول] المتأيد بالله بن على ـــــــ ٤٢٧

٥- الحسن المستنصر بالله بن يحيى بن على ـــــــ ٤٣١

٦- إدريس [الثانى] العالى بالله بن يحيى ـــــــ ٤٣٤

٧- محمد [الأول]. المهدى بالله بن إدريس ـــــــ ٤٣٨

٨- إدريس [الثالث] الموفق بالله بن يحيى ـــــــ ٤٤٤

إدريس [الثانى] (للمرة الثانية) ـــــــ ٤٤٥

٩- محمد [الثانى] المستعلى بالله بن إدريس ـــــــ ٤٤٦

فتحها المرابطون ـــــــ ٤٤٩

٢- بنو حمود بالجزيرة

محمد المهدى بن القاسم بن حمود	٤٣١
القاسم الواثق بن محمد بن القاسم	٤٤٠
فتحها بنو عباد	٤٥٠

٣- بنو عباد بإشبيلية

أبو القاسم محمد [الأول] بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم ابن عمرو بن عطاف بن نعيم اللخمى، القاضى	٤١٤
أبو عمرو عباد المعتضد بن محمد	٤٣٤
أبو القاسم محمد [الثانى] المعتمد بن عباد	٤٦١
فتحها المرابطون	٤٨٤

٤- بنو زيرى بغرناطة

زاوى بن زيرى	٤٠٣
حبوس المظفر بن ماكسن الصنهاجى	٤١٠
باديس بن حبوس المظفر الناصر	سـنـة ٤٣٠
عبد الله سيف الدولة بلكين بن حبوس	٤٦٦
تميم بن بلكين (بمالقة منذ سنة ٤٦٦)	٤٨٣

فتحها المرابطون

٥- بنو برزال بقرمونة (Carmona)

إسحاق	-
عبد الله بن إسحاق	-
محمد بن عبد الله	-
العزيز المقتدر	٤٤٣
أو إسحاق بن محمد	

٦- رندة (Ronda)

أبو نور بن أبي قرة	٤٠٥
أبو نصر بن أبي نور	٤٤٥
ضمت إلى مملكة إشبيلية	

٧- موررون (Morón)

نوح	٤٠٤
أبو مناد محمد بن نوح	٤٣٣
ضمت إلى مملكة إشبيلية	٤٤٥

٨- أركش (Arcos)

ابن خزرون	-
ضمت إلى مملكة إشبيلية	٤٤٥

٩- ولبة (Huelva) **وشلطيش** (Saltes) : **البكريون**

أبو زيد محمد بن أيوب بن عامر (قاضي نبله)	–
أبو المصعب عبد العزيز	٤٠٢
ضمت إلى مملكة إشبيلية	٤٤٣

١٠- نبلة (Niebla) **(بنو يحيى)**

أبو العباس أحمد بن يحيى اليحصبي	٤١٤
محمد بن يحيى	٤٣٣
فتح بن خلف بن يحيى	–
ضمت إلى مملكة إشبيلية	سنة ٤٤٣هـ

١١- بنو مزين بشلب (بلاد الغرب) (Silves)

أبو بكر محمد بن سعيد بن مزين	٤١٩
أبو الأصبغ عيسى بن محمد (حتى سنة ٤٤٤)	٤٤٢
ضمت إلى مملكة إشبيلية (استولى عليها سانشو الأول سنة ٤٨٢)	٤٤٤

١٢- شنت مارية (Santa Maria de Algarbe) **الغرب**

أبو عثمان سعيد بن هارون	٤٠٧
محمد بن سعيد	٤٣٥
ضمت إلى مملكة إشبيلية	٤٤٤

١٣ – مارتلة (Mértola)

ابن طيفور .... –

ضمت إلى مملكة إشبيلية ٤٣٦

١٤ – بنو رزين بالسهلة (La Sahla) ، (**حاضرتها البرسين** Albarracin)

أبو محمد هذيل [الأول] بن خلف بن لوب بن رزين ٤٠٢

أبو مروان عبد الملك [الأول] بن خلف .... –

أبو محمد هذيل [الثانى] عز الدولة بن عبد الملك .... –

أبو مروان عبد الملك [الثانى] حسام الدولة بن هذيل الثانى .... –

يحيى (عزله المرابطون قبل سنة ٥٠٣) ٤٩٧

١٥ – بنو القاسم بألفنت (Alpuente)

عبد الله [الأول] بن القاسم الفهرى، نظام الدولة .... –

محمد يمن الدولة بن عبد الله ٤٢٧

أحمد عضد الدولة بن محمد .... –

عبد الله [الثانى] جناح الدولة، (أخوه) ، (حتى سنة ٤٨٥) ٤٤٠

خضعت للمرابطين ٤٨٥

خضعت للدون جيم (Jaime) الأول ملك أرغونة ٦٣٣

١٦- بنو جهور بقرطبة

أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور	٤٢٢
أبو الوليد محمد بن جهور	٤٣٥
عبد الملك بن محمد	سنة ٤٥٠هـ
(فتحها بنو عباد أصحاب إشبيلية) : المعتمد بن عباد	٤٦١
يحيى بن إسماعيل الطليطلى	٤٦٧
المعتمد (استولى على المدينة للمرة الثانية)	٤٦٩

١٧- بنو الأفطس ببطليوس (Badajoz) ، (من بربر مكناسة)

أبو محمد عبد الله المنصور بن (محمد) مسلمة التجيبى، ابن الأفطس	٤١٣
المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله (دفع الجزية لفردينالد الأول فى سنة ٤٤٧)	جمادى الآخرة ٤٣٧
المتوكل أبو حفص عمر بن محمد (انفرد بالحكم منذ سنة ١٧٣)	٤٦٠
المنصور بن يحيى بن محمد (توفى سنة ٤٧٣)	٤٦٠
فتحها المرابطون (قتل عمر وولداه)	٤٨٧

١٨- بنو ذى النون بطليطلة

يعيش بن محمد بن يعيش	٤٠٠
اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذى النون	٤٢٧

أبو الحسن يحيى المأمون بن اسماعيل	٤٢٩
القادر يحيى بن اسماعيل بن المأمون	٤٦٧
(بقونكة "Cuenca" أيضاً من سنة ٤٦٨ حتى سنة ٤٧٤)	
استولى ألفونس السادس على طليطلة، فانتقل القادر إلى بلنسية	٤٧٨

١٩ - العامريون ببلنسية (Valence)

مبارك الصقلبى ثم المظفر ثم لبيل (أو لبيب)	—
عبد العزيز المنصور بن عبد الرحمن الناصر بن أبى عامر	٤١٢
سقطت المرية ٤٢٩	
عبد الملك المظفر بن عبد العزيز المنصور	٤٥٣
المأمون الطليطلى، (حمو الأمير السابق) ٤٥٧	
القادر الطليطلى ٤٦٧	
أبو بكر بن عبد العزيز المنصور	٤٦٨
القاضى عثمان بن أبى بكر	٤٧٨
القادر الطليطلى، (للمرة الثانية) ٤٧٨	
القاضى جعفر بن عبد الله بن جحاف	٤٨٣
فتحها السيد القمبياطور	٤٨٩
فتحها المرابطون	٤٩٥

٢٠- بنو صمادح بالمرية (Almeria)

خيران، (الفتى العامرى) .... —

عميد الدولة أبو القاسم زهير .... سـنـة ٤٤٩هـ

ضمت إلى بلنسية، (أصبح معن بن محمد بن أحمد بن صمادح صاحب وشقة (Huesca) حاكما لها) ٤٢٩

استقل بها معن ٤٣٣

أبو يحيى محمد المعتصم بن معن، (مولى البكرى) ٤٤٤

أحمد بن المعتصم ٤٨٠

٢١- مرسية (Murcie)

خيران صاحب المرية ٤٠٧

زهير صاحب المريه ٤١٦

عبد العزيز البلنسى } كان يحكمها من قبلهما أبو بكر أحمد ٤٢٩

عبد الملك البلنسى } ابن زهير المتوفى سنة ٤٥٥ .... ٤٥٣

محمد بن أحمد بن زهير ٤٥٥

المعتمد الأشبيلى ٤٧١

ابن عامر .... —

ابن رشيق، (حتى سنة ٤٨٣) .... —

٢٢- بنو تجيب وبنو هود بسرقسطة (Zaragosse) ولاردة (Lérida) وقلعة أيوب (Calatayúd) وتطيلة (Tudéle)

المنذر [الأول] المنصور بن يحيى التجيبى	٤١٠
يحيى المظفر بن المنذر	٤١٤
المنذر [الثانى] بن يحيى	٤٢٠
أبو أيوب سليمان المستعين بن هود	٤٣١
أحمد [الأول] سيف الدولة المقتدر بن سليمان	٤٣٨
يوسف المؤتمن بن أحمد	٤٧٤
أحمد [الثانى] المستعين بن يوسف	٤٧٨
عبد الملك عماد الدولة بن أحمد	٥٠٣
أحمد [الثالث] سيف الدولة المستنصر بن عبد الملك	٥١٣
الفتح المسيحى	٥٣٦

٢٢- قلعة أيوب

محمد عضد الدولة بن سليمان بن هود	-

٢٣- لاردة

يوسف المظفر بن سليمان المستعين، (انفصلت لاردة عن مملكة سرقسطة) - سـنة ٤٣٨هـ

٢٤- طرطوشة (Tortose)

مجاهد، (انظر دانية)	–
مقابل (أو مقتل) سيف الملة	٤٣٣
يعلى	٤٤٨
نبيل أو لبيل	–
أحمد المقتدر السرقسطى	٤٥٣

٢٥- دانية (Denia) **والجزر الشرقية**

مجاهد بن يوسف بن علي العامرى، أبو الجيش الموفق	٤٠٨
أبو الأحوص معن، (ولاه عبد العزيز البلنسى)	٤٣٢
على إقبال الدولة بن مجاهد	٤٣٦
المقتدر السرقسطى، قسم المملكة بين ولديه فأعطى :	٤٦٨
الحاجب عماد الدولة المنذر بن المقتدر (بدانية) طرطوشة ولاردة	٤٧٤
سليمان سيد الدولة بن المنذر، (حتى سنة ٤٨٥)	٤٨٠

٢٦- ميورقة

مجاهد الموفق، (انظر دانيه)	٤١٣
المؤيد (مستقلا)	–
عبد الله (عمره ١٥ ربيعا)	–

بنو غانية :

فترة الشغور بين المرابطين والموحدين
(العهد الثاني)

١- بلنسية

القاضي مروان بن عبد الله بن مروان بن خطاب (ثلاثة أشهر) .... سنة ٥٣٩هـ

الأمير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي ٥٤٠

عبد الله بن عياض (من مرسية) ٥٤٠

محمد بن أحمد بن سعد بن مردنيش، (للمرة الثانية) (خضع لبني عباد) ٥٤٢

المظفر عيسي بن المنصور بن عبد العزيز الناصر بن أبى عامر .... —

محمد بن أحمد، (للمرة الثانية) ٥٥٥

٢- قرطبة

حمدين بن محمد، المنصور ٥٣٨

أحمد [الثالث] سيف الدولة المستنصر (من بنى هود، توفى فى شعبان سنة ٥٤٠)- ٥٣٩

حمدين، (للمرة الثانية) ٥٤٠

خلعه ابن غانية ٥٤١

٣- مرسية

أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن، الطاهر، (أربعة أشهر)	–
المستعين بن هود، (وزيره)	–
الأمير عبد الله بن عياض	٥٤٠
الرئيس عبد الله بن فرج	٥٤٠
الأمير عبد الله، (للمرة الثانية)	٥٤١
محمد بن أحمد بن سعد بن مردنيش البلنسى، (حتى سنة ٥٦٦)	٥٤٢

٤- مارتلة (بطليوس وباجه)، عمال حمدين صاحب قرطبة

أحمد بن قاسى	–
سدزاى بن وزير (عزله الموحدون سنة ٥٤٦)	٥٣٩

الفترة الأخيرة من السيادة الإسلامية
(العهد الثالث)

١- مرسية (بنو هود)

العادل بن المنصور، (الثائر) .... سـنـة ٦٢٠هـ

محمد بن يوسف بن هود، المتوكل ٦٢١

أبو بكر محمد الواثق بن محمد ٦٣٥

ضياء الدولة العزيز بن عبد الملك بن خطاب ٣٣٦

أبو شميل زيان بن مردنيش البلنسي، (انظر ما يأتي بعد) ٦٣٦

محمد بهاء الدولة بن هود (عم المتوكل) ٦٣٨

محمد بن أبي جعفر، (ابنه) ٦٦٠

محمد الواثق، (للمرة الثانية) ٦٦٢

عبد الله بن علي بن أشقيلوه .... —

الواثق، (للمرة الثالثة) .... —

استولى الفرنجة على مرسيه ٦٦٨

٢- نبلة (Niebla)

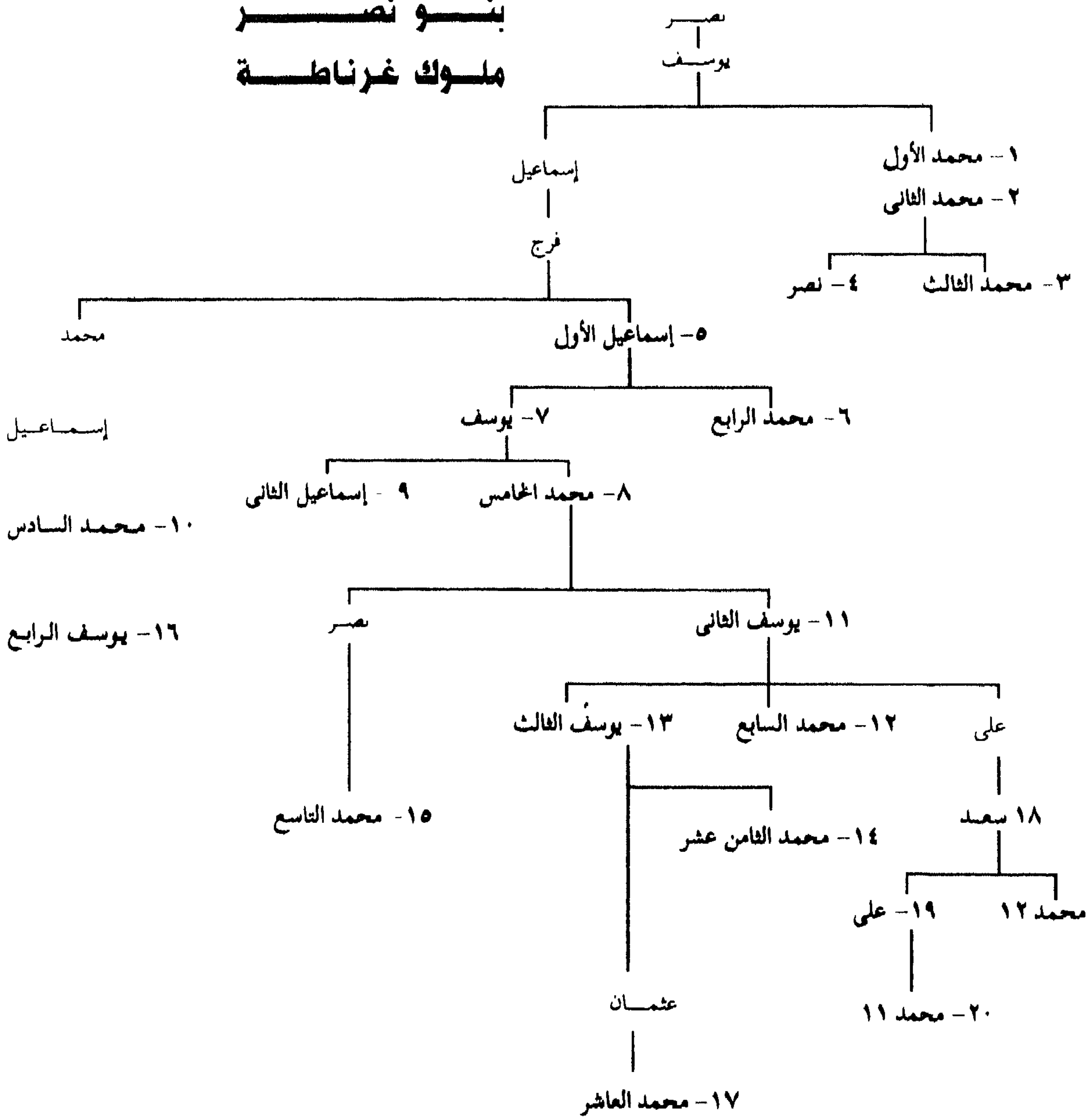
ابن محفوظ، موسى بن محمد بن نصير بن محفوظ .... حـول ٦٥٠

٣- بلنسية

٤- بنو نصر بغرناطة

١٢- محمد [السابع] المستعين بن يوسف [الثانى]	سنة ٧٩٧هـ
١٣- أبو الحجاج يوسف [الثالث]، الناصر بن يوسف [الثانى]	٨١٠
١٤- محمد [الثامن] المتمسك بن يوسف [الثالث]	٨٢٠
١٥- محمد [التاسع] الصغير بن نصر	٨٣١
محمد [الثامن]، (للمرة الثانية) ٨٣٣	
١٦- أبو الحجاج يوسف [الرابع] بن محمد [السادس]	٨٣٥
محمد [الثامن]، (للمرة الثالثة) ٨٣٥	
١٧- محمد [العاشر] الأحنف بن عثمان	٨٤٨
١٨- سعد المستعين بن على	٨٤٩
محمد [العاشر]، (للمرة الثانية) ٨٥٠	
سعد، (للمرة الثانية) ٨٥٧	
١٩- أبو الحسن علي بن سعد	٨٦٦
٢٠- أبو عبد الله محمد [الحادى عشر] بن على	٨٨٧
على، (للمرة الثانية) ٨٨٨	
٢١- محمد [الثانى عشر]، (للمرة الثانية	٨٩٠
محمد [الحادى عشر]، (للمرة الثانية) ٨٩٢	
استيلاء فرديناند وايزابلا على غرناطة ٨٩٧	

بنـــو نصـــر
ملـوك غـرناطـــة



ثامنـــــا :
المصـــادر والمراجـــع

أولا : المراجع العربيـــة :

١- ابن الأبار، الحلة السيراء، جزءان، تحقيق الدكتور حسين مؤنس «التكملة لكتاب الصلة» نشر كوديرا، ج ٥-٦، ليدن ١٨٨٧م.

٢- ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): «الكامل فى التاريخ»، طبعة مصر، ١٣٥٦م.

ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل): «روضة النسرين فى دولة بنى مرين»، الرباط ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

٣- الادريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن الشريف الادريسى ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م):

«صفة المغرب والاندلس مأخوذة عن كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق»، نشره دوزى ودى غويه، ليدن ١٨٦٦، طبعة الجزائر ١٩٥٧. ونسخة بعنوان صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، وليدن، ١٨٩٤م.

٤- الاصفهانى (العماد):

فريدة القصر وجريدة العصر»، قسم شعراء المغرب، ج ١ تحقيق: محمد المرزوقى، محمد العروسى المطوى، الجيلانى بن الحاج يحيى، تونس ١٩٧٣، النشرة الثانية.

٥- ابن اياس الحنفى (محمد بن أحمد):

«بدائع الزهور فى وقائع الدهور» ج ٢ هـ أولى ١٣١١هـ، ج٣، ١٣٨٣/ ١٩٦٣م القاهرة، ج ٤ مطبعة الدولة باستانبول، ١٩٣١م. (تحقيق: محمد مصطفى).

٦- ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك بن مسعود ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م):

«الصـلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم» نشر عزت العطار ٥٠- ١٩٥٥.

٧- البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٤م) «المسالك والممالك - الجزء الخاص بشمال افريقيا» ط. دى سلان ١٨٥٧.

«المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب» باريس ١٩١١. ونشره دى سلان De Ssane بعنوان: Description de L'Afrique Septentrionale.

الجزائر ١٩١١.

٨- البلخى (أبو القاسم عبد الله أحمد بن محمود ت ٣١٩هـ): مقالات إسلامية فى كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٤.

٩- البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجى): «أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين»، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٧١.

«المقتبس من كتاب الانساب فى معرفة الاصحاب»، تحقيق، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٧١.

١٠- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف):

«النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»، دار الكتب المصرية ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

١١- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر):

البيان والتبيين، ج١، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٨م.

١٢- الجزنائى (أبو الحسن على): «كتاب زهرة الآس فى بناء مدينة فاس»، نشره الفرد بل، الجزائر ١٩٢٢م.

١٣- ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م):

«المنتظم فى تاريخ الملوك والامم» ١٠ اجزاء، المطبوع منه ابتداء من القسم الثانى من الجزء الخامس إلى نهاية العاشر. بعناية د. سالم الكرنكورى ولجنة خاصة فى دائرة المعارف العثمانية. حيدر أباد، الدكن ١٣٥٧هـ- ١٣٥٩هـ.

١٤- ابن حبيب (عبد الملك): «أخبار فى فتح الأندلس» نشرها الدكتور محمود على مكى فى مقاله:

Egiptoy Los Origines de la Historiogrofia Arabigo- Esponola

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، المجلد الخامس، ١٩٥٧.

١٥- ابن حزم الظاهرى (أبو على بن أحمد، ت ٤٥٦هـ- ١٠٦٤م): «الفصل فى الملل والاهواء والنحل»، ط مصر ١٣١٧هـ.

١٦- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن على (ت ٣٨٠هـ- ٩٩٠م): «صورة الأرض»، ط دى سلان، الجزائر ١٨٥٧م.

١٧- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله): «المسالك والممالك»، ط. دوزى، ليدن، ١٨٨٩.

١٨- الخزرجى (على بن الحسن): «العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية»، تحقيق: محمد بسيونى عسل، القاهرة ج١، ١٩١١م، ج٢، ١٩١٤م.

١٩- الخشنى (محمد بن الحارث بن أسد، ت ٣٦٦هـ): «طبقات علماء افريقية» القاهرة، ١٣٧٢هـ.

٢٠- الخشنى (أبو عبد الله محمد): «قضاة قرطبة وعلماء افريقية» (من تراث الإسلام)، تحقيق: عزت العطار الحسنى، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

٢١- ابن الخطيب (محمد لسان الدين، ٧٧٦هـ-١٣٧٤م): «الاحاطة فى أخبار غرناطة» مجلد ١، تحقيق: محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م.

«أعلام الإعلام فيمن بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام» (القسم الخاص بالاندلس) تحقيق ليفى بروفنسال، طبعة بيروت، ١٩٥٦ (والقسم الخاص بالمغرب) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى والاستاذ محمد إبرهيم الكنانى، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

٢٢- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرنى. ت ٨٠٨هـ- ١٤٠٥م):

«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر» القاهرة ١٢٨٤هـ. بيروت ١٩٥٩- ١٩٦١. دى سلان الجزائر ١٨٨١م.

«المقدمة» القاهرة، ١٩٥١م، ط بيروت، ١٩٥٠م.

«التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا» تحقيق الاستاد محمد بن تاويت الطنجى، القاهرة ١٩٥١.

٢٣- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ٦٨١، ١٢٨٢م):

«وفيات الأعيان وأنباء الزمان» ٦ أجزاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٨- ١٩٤٩م وأيضا طبعة بيروت ج ٣، ١٩٧٠، ج٥، ١٩٧٧، ج٨، ١٩٧٢م.

٢٤- الدباغ (عبد الرحمن بن عبد الله الأنصارى، ت ٦٩٦هـ): «معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان» ج١-٢، تونس، ١٣٢٠هـ.

٢٥- ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى): «المؤنس فى أخبار افريقية وتونس» تحقيق: محمد شمام، الطبعة الثالثة، تونس ١٣٨٧هـ.

٢٦- الرقيق القيروانى (من ق ٥هـ- ٤٧٠هـ):

«تاريخ افريقية والمغرب»- قطعة تبدأ من أوسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثانى الهجرى. تحقيق: المنجى الكعبى، تونس ١٩٦٧م.

٢٧- ابن أبى زرع (على الفاسى):

«كتاب الأنيس المطرب وتاريخ مدينة فاس» دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م.

٢٨- الزركشى (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم):

«تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية»، تحقيق، محمد ماضور، تونس ١٩٦٦م.

٢٩- السراج (محمد بن محمد الاندلسى الوزير):

«الحلل السندسية فى أخبار الاندلسية» تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، ج١، تونس ١٩٧٠م.

٣٠- ابن سعيد المغربى (على بن موسى):

«المغرب فى حلى المغرب» ج١، تحقيق: د. شوقى ضيف، القاهرة ١٩٥٣م.

٣١- السلاوى (أحمد بن خالد الناصرى):

«الاستقصا لدول المغرب الأقصى» تحقيق وتعليق ولدى المؤلف: جعفر ومحمد الناصرى. الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

٣٢- السيوطى (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر ٩١١هـ- ١٥٠٥م):

«بغية النحاة فى طبقات اللغويين والنحاة» تصحيح : محمد أمين، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

٣٣- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى الدمشقى ٦٦٥هـ- ١٩٤٧م):

«كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية» تحقيق: الاستاذ محمد حلمى محمد أحمد، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٤- الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم - ت ٥٤٨هـ):

٣٥- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك - ٥٩٤هـ- ١١٩٨م):

«تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين». السفر الثانى. تحقيق: الاستاذ عبد الهادى التازى، بيروت ١٩٦٤م.

٣٦- الاصطخرى (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد، كان حيا فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى): «المسالك والممالك». تحقيق: الاستاذ محمد جابر عبد العال الحسين، القاهرة، ١٩٦١م.

٣٧- العباس بن إبراهيم:

«الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام» ج٣، الرباط.

٣٨- ابن عبد الحق (صفى الدين عبد المؤمن البغدادى ٧٣٩هـ- ١٣٠٨م):

«مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع». تحقيق: الاستاد على محمد البجاوى، القاهرة، ١٩٥٤م.

٣٩- ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٧٦هـ- ٨٨٩م) :

«فتوح مصر والمغرب» تحقيق: الاستاذ عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦١م، مطبعة Albert Gateau بعنوان:

Conquête de L'Afrique de Nord et L'Espagne.

الجزائر ١٩٤٧.

٤٠- ابن عذارى المراكشى (٧١٢هـ- ١٣١٢م):

«البيان المغرب فى أخبار المغرب» أربعة أجزاء، بيروت، ١٩٥٠، ج٣ تطوان ١٩٦٠م.

٤١- العذرى (ت ٤٧٨، ٩٨٨م):

«ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك»، نشر عبد العزيز الاهوانى، مدريد ١٩٦٥م.

٤٢- الغبرينى (ت ٧٠٤هـ- ١٣٠٤م):

«عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية» تحقيق الاستاذ: رابح أحمد بونار، الجزائر، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م.

٤٣- عمر بن شاهنشاه الايوبى (محمد بن تقى الدين ٥٦٧- ٦١٧هـ) صاحب حماه:

«مضمار الحقائق وسر الخلائق». تحقيق د. حسن حبش القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٤- الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ٥٠٥هـ- ١١١١م):

«كتاب فضائح الباطنية للرد عليهم» نشر وتحقيق: د. عبد الرحمن بدوى، القاهرة، ١٩٦٤م.

٤٥- ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتامى الفاسى):

«جزء من كتاب نظم الجمان» تحقيق الدكتور محمود على مكى، منشورات كلية الاداب، جامعة محمد الخامس بالرباط تطوان، ١٩٦٤م.

٤٦- القلقشندى (أبو العباس أحمد ٨٢١هـ- ١٤١٨م):

«صبح الاعشى فى صناعة الانشا» دار الكتب، ١٣٣٢هـ.

٤٧- ابن القنفذ القسنطينى (أبو العباس أحمد بن حسين بن على ، ت ٨١٠هـ ١٤٠٧م).

«الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية» تحقيق وتقديم: محمد الشاذلى وعبد المجيد التركى، تونس ١٩٦٨.

٤٨- ابن كثير الدمشقى (الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل ت ٧٧٤هـ- ١٣٧٢م):

«البداية والنهاية فى التاريخ»، ج١٢، مصر، ١٣٤٨هـ.

٤٩- المالكى (أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله ت فى نهاية القرن الرابع الهجرى):

«كتاب رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية» ج١، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١م.

٥٠- المالكى (ابن الصغير- القرن ٣هـ- ٩م):

«أخبار الائمة الرستميين» (ألفه فى تاهرت حوالى ٢٩٠هـ) نشر: موتلنسكى، أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين، باريس ١٩٠٨م.

٥١- مجهول :

«كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار» لكاتب مراكشى من كتاب القرن السادس الهجرى، تحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، ١٩٥٨م.

٥٢- مجهول:

«تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدارتية». نشر جورج كولان، الرباط، ١٩٣٤م.

٥٣- مجهول:

«كتاب الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية» نشره وصححه: العليا المغربية، ج٦، الرباط ١٩٣٦، وتحقيق: الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامة.

٥٤- ابن مرزوق (أبو الحسن الخطيب):

نخبة من كتاب المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا أبى الحسن الخطيب، تحقيق ليفى بروفنسال، باريس ١٩٢٥م.

٥٥- المراكشى (محيى الدين عبد الواحد ت ٦٢٠هـ- ١٢٢٤م):

«المعجب فى تلخيص أخبار المغرب»، تقديم: محمد الفاسى المغرب، سلا ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.

٥٦- المسعودى (أبو الحسن على بن الحشين ٣٤٦هـ- ١٩٥٧م):

«كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر» تحقيق الاستاذ محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م.

٥٧- المقدسى (شمس الدين مجير الدين العيلمى الحنبلى، ت ٩٢٧هـ- ١٥٢١م):

«أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم» طبعة دى خونيه، ليدن ١٩٠٦م.

٥٨- المقرى التلمسانى (شهاب الدين أحمد بن محمد، ت ١٠٤١هـ- ١٦٣١م):

«نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب»، عشرة أجزاء، القاهرة ١٩٤٩م. دار الكتاب العربى، ببيروت.

«أزهـار الريـاض فى أخبـار عيـاض». تحقيـق الاسـتـاذ مصطفى السقا، وإبراهيم الابيارى، وعبد الحفيظ شلبى، القاهرة، ١٣٥٨هـ ١٩٣٦م.

٥٩- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ- ١٤٤١م):

«المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار» ٣ أجزاء، القاهرة، ١٣٢٤هـ.

«السلوك فى معرفة دول الملوك» نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٦م.

«الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك»، نشر الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٥م.

٦٠- الملطى (محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ت ٣٧٧هـ): «التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع» القاهرة، ١٩٤٩م.

٦١- ابن مماتى (الاسعد):

«كتاب قوانين الدواوين» جمعه وحققه الدكتور عزيز سوريال عطية، القاهرة، ١٩٤٣م.

٦٢- المكناسى (أحمد بن القاضى من ٩٦٠- ١٠٢٥هـ):

«جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس»، نشر دار المنصور، الرباط ١٩٧٣.

٦٣- ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ٦٩٧هـ- ١٢٩٧م):

«مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب» نشر الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣، ١٩٦٠م.

٦٤- ياقوت الحموى (شهاب الدين الرومى ٦٢٦هـ- ١٢٢٩م):

«معجم الادباء» ج٢، القاهرة، ١٩١١م.

تابع المراجع العربيـــة:

١- أحمد (مصطفى أبو ضيف):

«القبائل العربية فى المغرب فى عصرى الموحدين والمرينيين» رسالة ماجستير، الاسكندرية، ١٩٧٥م.

٢- اسماعيل (الدكتور محمود):

«المالكيون والشيعة بافريقية ابان قيام الدولة الفاطمية».

«المعتزلة فى المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية» الرباط، ١٩٧٦م.

«الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى» الدار البيضاء، ١٩٦٧م.

٣- اسماعيل سرهنك باشا:

«حقائق الاخبار عن دولة البحار، جزءان».

٤- أشباخ (يوسف):

«تاريخ الاندلس فى عصر المرابطين والموحدين» جزءان، تحقيق الاستاذ عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٨م.

٥- بدوى (الدكتور أحمد أحمد): «صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصر وكتابه» القاهرة، ١٩٦٠م.

٦- باجة (صالح):

«الاباضية بالجريد فى العصور الإسلامية الأولى، اشراف الدكتور على الشابى، تونس ١٩٧٦م

٧- بالنثيا (آنخل جنثالث):

«تاريخ الفكر الاندلسى» ترجمة الدكتور حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥.

٨- بل (الفرد):

«الفرق الإسلامية فى الشمال الافريقى» ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى، بنغازى ١٩٦٩م.

«بغية الرواد فى ذكر ملوك بنى عبد الواد» الجزائر، ١٩٠٣م.

نجاة باشا: «التجارة فى المغرب الإسلامى من القرن ٤هـ إلى ٨هـ». تونس، ١٩٧٦م.

ابن تاويت (محمد» ومحمد الصادق عفيفى:

«الادب المغربى»، بيروت ١٩٦٠م.

.من زوايا التاريخ المغربى» مجلة تطوان للابحاث المغربية الاندلسية العدد ١٠، تطوان، ١٩٦٥م.

الجرارى (الدكتور عباس):

«الموحدون ثورة سياسية ومذهبية» مجلة المناهل، العدد الأول، السنة الأولى الرباط ١٩٧٤م.

«وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ» الرباط، ١٩٧٦م.

«الادب المغربى من خلال ظواهره وقضاياه» ج١، الرباط ١٩٧٩م.

الجنحانى (الحبيب):

«المغرب الإسلامى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية: القرن ٣-٤هـ/ ٦-١٠م» تونس ١٩٧٧م.

جنون (عبد الله):

«النبوغ المغربى فى الأدب العربى»، ط٢، ج ١-٣، بيروت ١٩٦١م.

حسن (الدكتور حسن ابراهيم):

«تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى» ط٥، ج١. «الدولة العربية فى الشرق ومصر والمغرب والاندلس» القاهرة ١٩٥٩م.

حسن (الدكتور على إبراهيم): «مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى» القاهرة، ١٩٤٧م.

خطاب (محمود شيت):

«قادة الفتح المغربى العربى» ط١، بيروت، ١٩٦٦م.

ديوز (محمد على):

«تاريخ المغرب الكبير»، ج٣، القاهرة، ١٩٦٣م.

الدمشقى : «محاسن التجارة» القاهرة، ١٣١٨هـ.

ديماند (م.س):

«الفنون الاسلامية» ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم دكتور أحمد فكرى، القاهرة ١٩٥٨.

زكار (الدكتور سهيل):

«تاريخ العرب والاسلام» بيروت ١٩٧٥م.

ابن زيدان: نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦١م.

سالم (الدكتور السيد عبد العزيز):

«طارق بن زياد» مقال بدائرة معارف الشعب، عدد ٦٧، القاهرة ١٩٥٩م.

«مرسية» مقال بدائرة الشعب، عدد ٦١.

«المهدى بن تومرت» مقال بدائرة معارف الشعب رقم ١٩٦٠.

«الفنون والصناعات بالاندلس» مقال بدائرة معارف الشعب، عدد ٦٤.

«المسجد الجامع بالقيروان وجامع الزيتونة بتونس» مقالان بكتاب بيوت الله مساجد ومعاهد، القاهرة، ١٩٦٠، كتاب الشعب عدد ٧٨.

«التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الاسلامية الوسطى» مقال بمجلة المجلة، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٥٧م.

«المساجد والقصور بالاندلس» القاهرة ١٩٥٨م.

«أثر الفن الخلافى بقرطبة فى العمارة المسيحية بأسبانيا وفرنسا» المجلة العدد ١٤، ١٩٥٨م.

«مسجد المدجنيين بطليطلة» مقال بمجلة كلية الاداب جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨.

«روائع الاثار الإسلامية بجمهورية الجزائر العربية»، المجلة، العدد ٢٩، ١٩٥٩.

«المغرب الإسلامى» كتاب الشعب عدد ١٣٨- ١٣٩ القاهرة ١٩٦١م.

«المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربى حتى الفتح العثمانى» القاهرة ١٩٥٩م.

«تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الاسكندرية، ١٩٦١م.

«تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس» بيروت ١٩٦٢م.

«طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى» الاسكندرية ١٩٦٧م.

«التاريخ والمؤرخون العرب» الاسكندرية ١٩٦٧، ١٩٨١م.

«تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس»، بيروت، ١٩٦٨م.

«تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها فى العصر الاسلامى» مكتبة المدن الاسلامية، العدد الأول، بيروت ١٩٦٤م.

«تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الابيض المتوسط»، ج١، ٢ بيروت ١٩٧١م.

«وسائل الدفاع الاسلامى فى العصور الوسطى» مجلة الجيش، عدد ٨٢- ٨٣.

«المغرب الكبير» ج٢، العصر الاسلامى دراسة تاريخية عمرانية وأثرية، الاسكندرية ١٩٦٦، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٨١.

سرور (الدكتور محمد جمال الدين):

«سياسة الفاطميين الخارجية» القاهرة، ١٩٦٧م.

«الدولة الفاطمية فى مصر» القاهرة، ١٩٦٦.

سليم (الدكتور محمود رزق):

«الاشرف قانصوه الغورى»، أعلام العرب رقم ٥٢.

سليمان (نعيم زكى فهمى):

«طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى» جامعة القاهرة ١٩٦٨م.

ابن سودة (عبد السلام عبد القادر):

«دليل مؤرخ المغرب الأقصى» ج١-٢، الرباط ١٩٦٥م.

ابن شريفة (الدكتور محمد):

«من تاريخ الاسر المغربية، أسرة بنى عشرة، تطورها التاريخى. ودورها الحضارى» مجلة تطوان، العدد ١٠، ١٩٦٥م.

شعيرة (الدكتور محمد عبد الهادى):

«الاسكندرية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى» مقال من الكتاب الذى أصدرته غرفة الاسكندرية التجارية، ١٩٤٩م.

الشيال (الدكتور جمال الدين) :

«أعلام الاسكندرية فى العصر الإسلامى» القاهرة ١٩٦٥م.

«مجموعة الوثائق الفاطمية» ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.

الشيخ (الدكتور محمد محمد):

«الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها» الاسكندرية، ١٩٧٢م.

الصبيحى (محمد):

«انبلاج الفجر عن المسائل العشر»، الرباط، ١٩٤٠م.

طرخان (الدكتور ابراهيم على):

«دولة مالى الاسلامية» القاهرة، ١٩٧٣م.

«مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة» القاهرة، ١٩٦٠م.

عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح):

«قبرص والحروب الصليبية» القاهرة ١٩٥٧م.

«مصر فى عصر دولة المماليك البحرية» القاهرة ١٩٥٩م.

«مصر فى العصور الوسطى» القاهرة، ١٩٧٠م.

«الحركة الصليبية» جزءان، القاهرة ١٩٦٣م.

«العصر المماليكى فى مصر والشام» القاهرة ١٩٦٥م.

العامرى (محمد عبد الهادى):

«تاريخ المغرب فى سبعة قرون بين الازدهار والذبول»، تونس، ١٩٧٤م.

العبادى (الدكتور أحمد مختار):

«دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس» الاسكندرية ١٩٦٨م.

العبادى والدكتور السيد عبد العزيز سالم:

«تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر الابيض المتوسط» جزءان، بيروت ١٩٧١م.

«الصقالبة فى إسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية» مدريد ١٩٥٣م.

«قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام» بيروت ١٩٦٩م.

عبد الحميد العبادى (الدكتور عبد الحميد): «المجمل فى تاريخ الاندلس» مصر ١٩٥٨م.

ابن عبد الله (عبد العزيز):

«معطيات الفن الاسلامى فى المغرب» مجلة المناهل، العدد ٣، الرباط، ١٩٧٥م.

«تاريخ الحضارة المغربية» الدار البيضاء، ١٩٦٣م.

«البحرية المغربية والقرصنة» مجلة تطوان، العددان ٣-٤، ٥٨، ١٩٥٩م.

ابن عبود (محمد بن عبد السلام):

«تاريخ المغرب» ج١، تطوان، ١٩٥٧م.

عبد الحميد (الدكتور سعد زغلول):

«الاثر المغربى والاندلس فى المجتمع السكندرى» مجلة كلية الاداب بالاسكندرية ١٩٧٥.

«تاريخ المغرب العربى» الاسكندرية ١٩٦٤م.

«العلاقة بين صلاح الدين الايوبى وأبى يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى» مجلة كلية الاداب بالاسكندرية، ١٩٥٣م.

«محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والاندلس» بيروت ١٩٧٣م.

العدوى (الدكتور إبراهيم أحمد):

«الاساطيل العربية فى البحر الابيض المتوسط» القاهرة، ١٩٥٧م.

«الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم» القاهرة، ١٩٥٨م.

«قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط» القاهرة ١٩٦٣م.

عثمان (الاستاذ فتحى):

الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى، والاتصال الحضارى» ثلاثة أجزاء، القاهرة ١٩٦٧م.

علام (الدكتور عبد الله على):

«الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على» دار المعارف القاهرة ١٩٦٨م.

عنان (الاستاذ محمد عبد الله):

«عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس» القسم الأول والثانى، القاهرة ١٩٦٤م.

«مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية» القاهرة، ١٩٣١م.

ابن غازى (محمد):

«الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون» الرباط ١٩٥٢م.

الفاسى (التقى):

«منتخب المختار أو تاريخ علماء بغداد» نشر عباس الغزاوى بغداد ١٩٣٨.

فهد (الدكتور بدرى محمد):

«تاريخ العراق فى العصر العباسى الاخير، ٥٥٢- ٦٥٦هـ/ ١١٥٧- ١٢٥٨م» بغداد، ١٩٧٣م.

فهمى (الدكتور عبد الرحمن) :

«فجر السكة العربية» من مجموعات متحف الفن الاسلامى القاهرة ١٩٦٥م.

«صنج السكة فى فجر الاسلام»، القاهرة ١٩٥٧م.

«الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية» محاضرة فى المؤتمر الثالث للاثار فى البلاد العربية بفاس، القاهرة ١٩٦١م.

«النقود العربية، ماضيها وحاضرها» المكتبة الثقافية، عدد ١٠٣، القاهرة ١٩٦٤م.

الكعاك (الاستاذ عثمان) :

«العلاقة بين تونس وايران عبر التاريخ» تونس ١٩٧٢م.

لوبون (جوستاف) :

«حضارة العرب» ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٦م.

لويس (أرشيبالد) :

«القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط»، ترجمة الاستاذ أحمد عيسى، القاهرة ١٩٦٠م.

ليفى بروفنسال (افارست) :

«مجموعة رسائل موحدية» الرباط ١٩٤١م.

«سلسلة محاضرات عامة فى أدب الاندلس وتاريخها، القاها عامى ١٩٤٧- ١٩٤٨» ترجمة: الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة، راجعها الدكتور عبد الحميد العبادى، مطبوعات كلية الاداب- الاسكندرية، ١٩٥١م.

«مؤرخو الشرفا» تعريف: عبد القادر الخلادى، تقديم: الدكتور محمد حجى، مجلة أرابيكا ١٩٥٦، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة، سلسلة التاريخ رقم ٥، الرباط ١٩٧٧.

ليو الافريقى (حسن بن محمد الوزان ت حوالى ١٥٤٠م):

تاريخ ووصف أفريقيا وأشهر ما فيها من عجائب.

ماجد (الدكتور عبد المنعم):

«السجلات المستنصرية» القاهرة ١٩٥٤م.

«نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر» القاهرة ١٩٥٣م.

ماهر (الدكتورة سعاد):

«البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية» القاهرة ١٩٦٧م.

محمود (الدكتور حسن أحمد): «قيام دولة المرابطين» القاهرة ١٩٥٧م.

ماير (ل. أ.):

«الملابس المملوكية» ترجمة صلاح الشيتى، مراجعة وتقديم الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد. القاهرة ١٩٧٣م.

مرزوق (الدكتور محمد عبد العزيز):

«الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والاندلس» بيروت ١٩٧٢م.

ملين (محمد رشيد):

«عصر المنصور الموحدى» الرباط ١٩٤٦م.

مكى (الدكتور محمود على) :

«التشيع فى الاندلس» صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد الثالث ١٩٥٤م.

«وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين» صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد السابع، العدد ١-٢، ١٩٥٩م.

«الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثور» مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد العشرون، ٧٩- ١٩٨٠م.

ابن منصور (عبد الوهاب): «قبائل المغرب» الرباط ١٩٦٨م.

مؤنس (الدكتور حسين) :

«مقدمة رياض النفوس للمالكى» القاهرة ١٩٥١م.

«فتح العرب للمغرب» القاهرة ١٩٤٧م.

«سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الاندلس» صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد المجلد الثانى ١٩٥٤م.

«فجر الاندلس» القاهرة ١٩٥٩م.

ميتز (آدم) :

«الحضارة الاسلامية» ج١-٢، تعريب الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة ١٩٥٧م.

نللينو (كارلو الفونسو) :

«بحوث فى المعتزلة» فصل من كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية، ترجمة: الدكتور عبد الرحمن بدوى، القاهرة ١٩٦٥م.

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى) :

«تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار» تحقيق أحمد العوامرى ومحمد أحمد جاد المولى، ج١-٢ ، القاهرة ١٩٣٤م.

التجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد- ت حوالى ٧١٧هـ/ ١٣١٧م):

الرحلة. نشر حسن حسنى عبد الوهاب، تونس ١٩٥٨م.

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الاندلس ٦١٤هـ/ ١٢١٧م):

الرحلة، بيروت، ١٩٦٤م.

السبتى (القاسم بن يوسف التجيبى: ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م.

مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور تونس ١٩٧٥م.

«ملء العيبة فى ما جمع بطول الغيبة فى الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة». تحقيق، نجاح صلاح الدين القابسى، آداب عين شمس، ١٩٧٨م.

العبدرى الحيجى (أبو عبد الله محمد بن محمد) :

الرحلية المغربية، تحقيق الفاسى، الرباط ١٩٦٨م.

دائرة المعارف الإسلامية:

النشرة الفرنسية ١٩٦٢ ، ج٢ فصل دينار، بقلم:

تابع المراجع العربيـــة :

١- أحمد بن عامر :

- الدولة الصنهاجية. للدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٢م.

٢- أحمد لطفى عبد البديع :

- الإسلام فى إسبانيا.. المكتبة التاريخية الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨م بالقاهرة.

٣- أحمد مختار العبادى :

- دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس. الطبعة الأولى ١٩٦٨م.

٤- أرشيبالبد لويس:

- القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط... ترجمة أحمد محمد عيسى.

٥- أرنست رينان:

- ابن رشد والرشدية.. باريس ١٨٨١م. ترجمة عادل زعيتر.

٦- أنخل جنثالث بالنثيا:

- تاريخ الفكر الأندلسى.. ترجمة حسين مؤنس.. القاهرة ١٩٥٥م.

٧- ج. ترند واخرون:

- تراث الإسلام. جزءان، ترجمة زكى حسن وآخرين. لجنة الجامعيين لنشر العلم بالقاهرة سنة ١٩٣٦م.

٨- حسن أحمد محمود:

- قيام دولة المرابطين.. صفحة مشرقة من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٧م.

٩- الحسن السائح :

١٠- حسن على حسن عبد العواد:

- الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية فى المغرب الاقصى فى القرنين الخامس والسادس من الهجرة. رسالة دكتوراه من كلية دار العلوم بإشراف د. أحمد شلبى سنة ١٩٧٣م.

١١- حنا الفاخورى وخليل الجر :

- تاريخ الفلسفة العربية، جزءان. دار المعارف بيروت.

١٢- خودا بخشى:

- الحضارة الإسلامية، ترجمة على حسنى الخربوطلى، القاهرة ١٩٦٠م.

١٣- ديلاسى أوليرى:

- الفكر العربى ومكانه فى التاريخ.. ترجمة تمام حسان ومراجعة مصطفى حلمى.. وزارة لثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٤- سلفادور غومث نوغالس :

- الفلسفة الإسلامية وتأثيرها الحاسم فى فكر الغرب أثناء العصور الوسطى ترجمة عثمان لكعاك.. الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٧م.

١٥- شارل اندريه جوليان :

(أ) تاريخ افريقيا الشمالية.. ثلاثة أجزاء ترجمة محمد فرالى والبشير بن سلامة عن الطبعة الثانية ١٩٥٨م التى نقحها وزاد عليها روجيه لوتورنو.. الدار التونسية للنشر سنة ١٩٧٨م: ١٣٩٨هـ.

(ب) تاريخ افريقيا. ترجمة طلعت أباظة ومراجعة عبد المنعم مجد. دار النهضة بمصر سنة ١٩٦٨م.

١٦- شاخت وبوزورث :

- تراث الإسلام. ثلاثة أقسام. ترجمة ونشر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة سنة ٩٨- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

١٧- الشحات السيد زغلول :

- السريان والحضارة الإسلامية.. الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الاسكندرية سنة ١٩٧٥م.

١٨- طارو وجان جيروم :

- أزهار البساتين فى أخبار المغرب والأندلس على عهد المرابطين والموحدين.. ترجمة وتعليق أحمد على فريج ومحمد الفاسى طبعة الرباط سنة ١٣٤٩هـ.

١٩- عبد الله العراوى :

- تاريخ العرب، محاولة فى التركيب.. ترجمة ذوقان قرقوط سنة ١٩٧٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٠- عبد الله على علام :

- الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على.. دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م.

٢١- عبد الله كنون:

- النبـوغ المغربى فى الأدب العربى.. الطبعة الثالثة، دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٥٧م بيروت (٣ أجزاء).

٢٢- عبد الرحمن على الحجى :

- الحضارة الإسلامية فى الأندلس. بيروت ١٩٦٩م/ ١٣٨٩هـ.

٢٣- عبد العزيز بن عبد الله :

- مظاهر الحضارة المغربية. الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥م. نشر دار السلمى، الدار البيضاء.

٢٤- عثمان أمين:

- إحصاء العلوم للفارابى.. الطبعة الثانية.. دار الفكر المغربى سنة ١٩٤٩م.

٢٥- ليبولد توريس بالباس:

- الفن المرابطى والموحدى، ترجمة سيدى غازى، منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧٦م.

٢٦- ليفى بروفنسال:

- الإسلام فى المغرب والأندلس.. ترجمة سيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى.. مراجعة أحمد لطفى عبد البديع.. نشر مكتبة النهضة بمصر.

٢٧- مانويل جوميث مورينو:

- الفن الإسلامى فى إسبانيا، ترجمة أحمد لطفى عبد البديع وسيد محمود عبد العزيز سالم.. مراجعة جمال محمد محرز.. الدار العربية للترجمة والنشر.

٢٨- محمد بيصار :

- فى فلسفة ابن رشد، الوجود والخلود.. دار الكتاب العربى بمصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

٢٩- محمد عبد الله عنان:

(أ) دولة الإسلام فى الأندلس، القسم الأول والثانى من العصر الثالث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

(ب) الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، مؤسسة الخانجى.

٣٠- محمد المرزوقى :

- قابس، تونس ١٩٦٢م، الناشر مكتبة الخانجى بمصر، والمثنى ببغداد.

٣١- محمد ولد أدادة:

- مفهوم الملك فى المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع الهجرى. دار الكتاب اللبنانى سنة ١٩٧٧م.

٣٢- محمود على مكى:

- مدريد العربية. دار الكتاب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة.

٣٣- محمود قاسم:

- دراسات فى الفلسفة الإسلامية. الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م.

٣٤- مراجع عقيلة الغناى :

(أ) قيام دولة الموحدين الطبعة الأولى ١٩٧١، المكتبة الوطنية ببنغازى، ليبيا.

(ب) سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة بنغازى ليبيا، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

٣٥- نجاة باشا:

- التجارة فى المغرب الإسلامى من القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة.. منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٧٦م.

٣٦- تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ترجمة محمد عبد الله عنان.. مجلدان القاهرة ١٩٤١. مجلد واحد القاهرة ١٩٥٨م.

تابع المراجع العربيــــة :

١- إحسان عباس:

- نوازل ابن رشد. مجلة الأبحاث عن الجامعة الأمريكية ببيروت. المجلد ٢٢، الأجزاء ٣و٤ سنة ١٩٦٩م.

٢- أحمد الأهوانى:

- الفلسفة فى الأندلس.. مجلة كلية الآداب، مجلد ١٥، الجزء الأول مايو سنة ١٩٥٣م.

٣- أحمد لطفى عبد البديع:

- التروبادور غرسية فرنانديث، مجلة مدريد للدراسات الإسلامية المجلد الثانى سنة ١٩٥٤م.

٤- أحمد المكناسى:

- دراسة تمهيدية عن الخزف الإسلامى القديم فى المغرب مجلة تطوان، العدد الثانى سنة ١٩٥٧م.

٥- أرنولد شتيجر:

التأثيرات والمصادر العربية فى مؤلفات الفونسو الحكيم العاشر. مجلة مدريد للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث ١٩٥٥م.

٦- أمبروثو هويثى ميراندا:

(أ) موقعة الأرك. مجلة مدريد للدراسات الإسلامية، العدد الثانى سنة ١٩٥٤م.

(ب) المطبخ الأندلسى المغربى خلال العصر الموحدى. مجلة مدريد للدراسات الإسلامية، العدد الخامس سنة ١٩٥٧م.

٧- جون بكويث:

- أثر الفن الإسلامى فى الفن الغربى الحديث.. مجلة الأبحاث تصدر عن الجامعة الأميركية ببيروت، العدد ١٠١٣ آذار سنة ١٩٦٠م.

٨- حسين مؤنس:

(أ) الثغر الأعلى الأندلسى. مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلد الحادى عشر، جـ٢ ديسمبر ١٩٤٩م.

(ب) عقد بيعة بولاية العهد لأبى عبد الله المعروف بالخليفة الناصر الموحدى.. مجلة كلية الآداب.. بجامعة القاهرة، المجلد الثالث عشر الجزء الثانى ديسمبر سنة ١٩٥٠م.

(جـ) نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين. مجلة مدريد للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث سنة ١٩٥٥م.

٩- خننثو بوسك بيلا:

- الوثائق العربية المحفوظة فى كاتدرائية وشقة.. مجلة مدريد للدراسات الإسلامية، العدد الخامس سنة ١٩٥٧م.

١٠- خوسيه كامون أثنار:

- الأساليب الفنية المستمرة فى الفن الإسلامى.. مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية، العدد الثالث ١٩٥٥م.

١١- خوسية مياس بياكر وزوا:

(أ) المؤلفات الأولى عن الأسطرلاب فى إسبانيا العربية. مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية، العدد الثالث سنة ١٩٥٥م.

(ب) كتاب الرد على اليهود لرامون لل. مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية المجلد الخامس ١٩٥٧م.

(جـ) نشاط الدراسات الفلكية فى الأندلس.. نفس الدورية والعدد.

١٢- خوليان ريبيرا:

- المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية.. ترجمة جمال محرز مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلدان الرابع والخامس سنة ١٩٥٨- ١٩٥٩م.

١٣- رامون منتدث بيدال:

(أ) إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام.. ترجمة أحمد لطفى عبد البديع.. مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات، العدد الأول ١٩٥٣م.

(ب) إسبانيا وإدخال العلوم العربية إلى المغرب.. مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية. المجلد الثالث ١٩٥٥م.

١٤- سعد زغلول عبد الحميد:

- العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور الموحدى. مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية. المجلدان السادس والسابع سنة ١٩٥٢- ١٩٥٣م.

١٥ - الصديق بن العربى

- طوائف وشخصيات مسيحية بالمغرب مجلة تطوان المغربية العدد الأول سنة ١٩٥٦م

١٦ - عبد العزيز بن عبد الله.

(أ) العربية لغة العلم والحضارة. مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية، العدد الخامس سنة ١٩٥٧م.

(ب) البحرية المغربية والقرصنة. مجلة تطوان المغربية، العددان الثالث والرابع سنة ١٩٥٨-١٩٩م.

(جـ) تطور الفن فى عهد الموحدين مجلة البينة، السة الأولى، العدد التاسع شعبان ١٣٨٣هـ/ يناير ١٩٦٣م.

١٧ - ليبولد توريس بالباس:

- الأبنية الإسبانية الإسلامية ترجمة علية إبراهيم العنانى مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية، العدد الأول سنة ١٩٥٣م

١٨ - الأب مانويل ألونسو ألونسو.

- ابن سينا وآثاره الأولى فى العالم اللاتينى ترجمة تاج الدين أبو ريد مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية.. العدد الأول سنة ١٩٥٣م.

١٩ - محمد المنونى:

- تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد الخامس عشر، ربيع الأول سنة ١٣٨٩هـ/ مايو سنة ١٩٦٩م

٢٠- نيفل باربر:

(أ) سفارة جون ملك إنجلترا إلى محمد الخامس ملك المغرب. ترجمة محمد بن تاويت. مجلة تطوان المغربية العدد الخامس سنة ١٩٦٠م.

(ب) أخبار الأندلس فى المدونات الإنجليزية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، مجلة المعهد المصرى بمدريد للدراسات الإسلامية المجلد الثالث عشر سنة ١٩٦٥- ١٩٦٦م.

تابع المراجع العربيـــة :

أرسلان (الأمير شكيب): تاريخ غزوات العرب، مصر ١٣٥٢هـ (١٩٣٣).

بتلر (الفريد): فتح العرب لمصر تعريب الأستاذ محمد فريد أبو حديد القاهرة ١٩٣٣.

بلنثية (جنثالث): تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥.

ديفز (كارلس): شارلمان، ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى، القاهرة ١٩٥٩.

زيدان (الأستاذ جورجى): العرب قبل الإسلام، طبعة دار الهلال، القاهرة ١٩٥٧.

سالم (الدكتور السيد عبد العزيز): بعض المصطلحات العربية للعمارة المغربية الأندلسية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مدريد ١٩٥٧.

.... : التخطيط ومظاهر العمران فى القصور الإسلامية الوسطى، المجلة، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٥٧.

.... : بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الإسلامية، المجلة العدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٧.

سالم: أثر الفن الخلافى بقرطبة فى الفن المسيحى باسبانيا وفرنسا، المجلة، العدد ١٤، فبراير ١٩٥٨.

.... : المرية قاعدة الأسطول الإسلامى فى الأندلس، مجلة الرابطة التى يصدرها المركز الثقافى الإسبانى بالقاهرة، العدد ٨، ٩ القاهرة ١٩٥٨.

.... : مسجد المسلمين بطليطلة، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨.

.... : المآذن المصرية، نظرة عامة عن أصلها وتطورها، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة ١٩٥٩.

.... : المساجد والقصور فى الأندلس، سلسلة اقرأ، عدد ١٩٠، أكتوبر ١٩٥٨.

.... : تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الإسكندرية ١٩٦١.

.... : مقالات فى كتب الشعب عن:

الأندلس- طليطلة - إشبيلية - ماردة - سرقسطة - غرناطة - مرسية - قرطبة - فن الغناء والموسيقى بالأندلس - العمارة الدينية بالأندلس (دائرة المعارف الشعب عدد ٦١، القاهرة ١٩٥٨).

العمارة المدنية بالأندلس - العمارة الحربية الأندلس - الفنون والصناعات - الحركة العلمية والأدبية بالأندلس. (دائرة المعارف الشعب عدد ٦٤، القاهرة ١٩٥٩).

طارق بن زياد - عبد الرحمن الأوسط - عبد الرحمن الناصر (دائرة معارف الشعب عدد ٦٧، القاهرة ١٩٥٩).

جامع الكوفة، (الجزء الثانى من كتاب مساجد ومعاهد عدد ٧٨ من كتب الشعب، القاهرة ١٩٦٠).

الشرقاوى (الدكتور محمد عبد المنعم)، الصياد (الدكتور محمد محمود): ملامح المغرب العربى، الإسكندرية ١٩٥٩.

شيبوب (الأستاذ صديق): جمهورية أندلسية بالإسكندرية، مقال ١٩٤٩.

طرخان (الدكتور إبراهيم على): دولة القوط الغربيين، القاهرة ١٩٥٨.

عاشور (الدكتور سعيد عبد الفتاح): أوروبا فى العصور الوسطى، جزءان، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦١.

العبادى (الأستاذ عبد الحميد: المجمل فى تاريخ الأندلس، العدد الأول من سلسلة المكتبة التاريخية، القاهرة ١٩٥٨.

(الدكتور أحمد مختار): سياسة الفاطميين نحو العرب والأندلس، مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس، مدريد ١٩٥٧.

عباس (الدكتور إحسان): تاريخ الأدب الأندلسى، الجزء الثانى من المكتبة الأندلسية. بيروت ١٩٦٠.

عبد البديع (الدكتور أحمد لطفى): الإسلام فى إسبانيا، العدد الثانى من سلسلة المكتبة التاريخية القاهرة ١٩٥٨.

العدوى (الدكتور إبراهيم أحمد): الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم، القاهرة ١٩٥٨.

عكوش (الأستاذ محمود): مصر فى عهد الإسلام، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤١.

على (الأستاذ سيد أمير): مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكى، بيروت ١٩٦١.

عنان (الأستاذ محمد عبد الله): تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة ١٩٤٧.

فكرى (الدكتور أحمد): المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، الإسكندرية ١٩٦١.

فلهوزن (يوليوس): تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أو ريدة، القاهرة ١٩٥٨.

ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم، الأستاذ محمد صلاح الدين حلمى، القاهرة ١٩٥٨.

محمود (الدكتور حسن أحمد): مصر فى عهد الطولونيين، القاهرة ١٩٦٠.

المشرفى (الأستاذ محمد محيى الدين): إفريقيا الشمالية، الرباط ١٩٥٠.

مكى (الدكتور محمود على): التشيع فى الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثانى ١٩٥٤.

مؤنس (الدكتورحسين) : فتح العرب للمغرب، القاهرة ١٩٤٧.

غارات النورمانيين على الأندلس بين سنتى ٢٢٩، ٢٤٥هـ، العدد الأول من المجلد الثانى من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٥٠.

أثر ظهور الإسلام فى الأوضاع السياسية والاقتصادية فى البحر الأبيض المتوسط مقال بمجلة الجمعية التاريخية المصرية، مايو ١٩٥١.

فجر الأندلس، القاهرة ١٩٥٩.

ثانيــــا: المراجع الأوروبيـــة:

أجوادو بلى: المجمل فى تاريخ إسبانيا، الجزء الأول، مدريد ١٩٤٧ (بالإسبانية).

Aguado Bleye: Manuel de la historia historia de Espana, t. I, Madrid 1947.

أندريه جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية (حتى الفتح العربى)، باريس ١٩٥١ (بالفرنسية).

André Julien: Histpire de l'Afrique du Nord, (jusqu'à la conquête arabe), Paris 1951.

تاريخ إفريقيا الشمالية (منذ الفتح العربى حتى إعلام الحماية) باريس ١٩٥٢ (بالفرنسية).

... Histoire de l'Afrique les Nord, (déquis la conquête arabe), Paris 1952.

أنطونيا (ملشور): البلاط الأبى فى قرطبة فى عصر الحكم المستنصر، الاسكوريال ١٩٢٩ (بالإسبانية).

Antuna (P. Melchor): La Corte literaia de Alhaquem II en Cordobam el Escorial, 1929.

إشبيلية وآثارها العربية، نص من مدونة ابن صاحب الصلاة، الاسكوريال ١٩٣٠ (بالعربية والإسبانية).

Sevilla y sus monumentos arabes, texto de la crônica de Ibn Sahib al- Sala, el Escorial, 1930.

آريانو (رافييل راميريث دى): تاريخ قرطبة، الجزء الأول، ثيوداداريال ١٩١٥ (بالإسبانية).

Arellano (R. Ramiraz de): Historia de Côrdoba, t. I, ciudab Real, 1915.

بوسكو (ريكاردو بلاسكث): مدينة الزهراء والعامرية، مدريد ١٩١٢ (بالإسبانية).

Bosco (Ricardo Velasquez): Medina Azzahra, y Alamiriya, Madrid 1912.

حفائر فى مدينة الزهراء مدريد ١٩٢٣ (بالإسبانية).

Excavaciones en Madina Azahara, Madrid 1923.

كاجيجاس (ايزيدرو دى لاس): المستعربون، الجزء الأول مدريد ١٩٤٧ (بالإسبانية).

Cagigas, (Isidro de Las): Los Mozarabes, t. I, Madrid 1947.

كامبس إى كاثورلا: العمارة الخلافية والمستعربة، مدريد ١٩٢٩ (بالإسبانية).

Camps y Cazorla: Arquitectura califal y Mozàrabe, Colecciôn. "Cartllas de arquitectura espanola", Madrid 1929.

النظام والنسب والتكوين فى العمارة الخلافية بقرطبة، مدريد ١٩٥٣ (بالإسبانية).

Modulo, proporciones y composiciôn en la arquitectura califal cordibesa, Madrid 1935.

كاريراس (كارلوس سارتو): قلاع إسبانيا، مدريد ١٩٥٢ (بالإسبانية).

Carreras, (Carlos Sarthou): Castillos de Espqnà, Madrid 1952.

كاستيخون (رافاييل) دليل قرطبة، مدريد ١٩٣٠ (بالإسبانية).

Castéjôn (Rafaély Martinez): Guia de Cordoba, Madrid 1930.

قرطبة الأخلاقية، مجلة الاكاديمية القرطية، قرطبة ١٩٢٩ (بالإسبانية).

Côrdoba Califal, Boletin la Academia de Côrdoba, Codoba 1929.

حفريات البرنامج الوطنى بمدينة الزهراء، حملة ١٩٤٣، مدريد ١٩٤٥ (بالإسبانية).

Excavaciones de plan nacional en Medina Azahra, Campana 1943, Madrid, 1945.

حفريات جديدة فى مدينة الزهراء الأندلس ١٩٤٥ (بالإسبانية).

Nuevas excavaciones en Medina al- Zahra, al- Andalus 1945.

كوديرا (فرنسسكو): اضمحلال المرابطين وزوال دولتهم من إسبانيا سرقسطة ١٨٩٩ (بالإسبانية).

Codera (Francisco):. Decadencia y disaparicion de los Almora- vides en Espana, Zaragoza, 1899.

الحدود المحتملة للفتح الإسلامى فيما وراء البرت، مدريد ١٩١٧ (بالإسبانية).

Limites probales de la conquista arabe en la cordillera pirenaica, PP. 97-235, en Estudios Criticos de Historia arabe espànola, VIII. Madrid 1917.

أربونة وجرندة وبرشلونة فى ظل الإسلام، مدريد ١٩١٧ (بالإسبانية).

Narbona, Gerona Y Barcelona bajo la dominacion musulmana, en Estudios Criticos de la historia arabe espanôla, VIII Madrid 1917.

كرزول : العمارة الإسلامية الأولى؛ أكسفورد ١٩٣٨ (بالإنجليزية).

Creswell (K.A.C.), Ealiy Muslim architecture: Uma, yads, Early Abbas sids and Tulunids, vol. II, part II, Oxford 1938.

دوزى (رينهارت): تاريخ المسلمين فى إسبانيا، نشره الأستاذ ليفى.

Dozy (R.): Histoire des Musulmans d'Espagne, 3 vols. éd. Lévi- Provençal, Leyde 1932.

جيشوت (خواكين): تاريخ الأندلس العام، مدريد ١٩٦٩ (بالإسبانية)

Guichot (Joaquin): Histoia General de Andalucia t. I., Madrid 1869.

خيمنث (مانويل أوكانية): بازيليكية شنت بنجنت والمسجد الجامع بقرطبة، مجلة الأندلس، ١٩٤٢ (بالإسبانية).

Jimenez (Manuel Ocana): La Basilica de San Vicente y la gran mezquita de Côdoba, Al- Andalus 1942 (PP. 347- 366).

أبواب مدينة قرطبة، الأندلس، المجلد الثالث ١٩٣٥ ص ١٤٣- ١٥١ (بالإسبانية).

Las Puertas de la Medina de Côrdoba, vol. III de Al- Andalus, 1935, fasc. I, (PP. 143- 151).

الكتابة التأسيسية بمسجد ابن عدبس بإشبيلية، مجلة الأندلس مجلد ١٢، ١٩٤٧ (بالإسبانية).

La inscripcion fundacional de la mezquita de Ibn Adabbas en Sevilla, al-Andalus, vol XII, fasc I, 1947.

إلى لامبير تاريخ المسجد الجامع بقرطبة فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين فى حوليات معهد الدراسات الشرقيه بجامعة الجزائر، الجزائر، ج٢ ١٩٣٦ ، بالفرنسيه)

Lamberti (Elie) Histoire de la grande mosquée de Cordoue au VIII et IXe siècles, Annales de l'Institut d'études Orientales de l'Université d'Alger vol II. Alger, 1936

العمارة الإسلامية فى القرن العاشر الميلادى، مجلة الفنون الجميلة الجزء ١٢، ١٩٢٥ (بالفرنسية)

L'architecture Musulmane au Xe siècle. Gazette des Beaux arts t XII 1925

أصول القبوات القوطية، مجلة معاهد الفنون والآثار، رقم ٨- ٩، نوفمبر ١٩٣٦- مارس ١٩٣٧، باريس (بالفرنسية)

Les origines de la croisée d'ogîves. Offices Insututs d'Archéologie et d'histoire d'art. No 8-9. Novembre 1936- Mars 1937

لامبير قباب المساجد الجامعة بتونس وإسبانيا فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، هسبريس، عدد ٢٢، جزء، ١٩٣٦ (بالفرنسية)

Lambert: lae coupoles des grandes mosquées de Tunisie et de l'Edpagne. au IXe. et Xe siècles. Hesperis t XXII, fasc II, 1936

المساجد دات الطابع الأندلسى فى إسبانيا والمغرب، الأندلس المجلد ١٤، الجزء الثانى ١٩٤٩ (بالفرنسية)

Les mosquées de type andalou en Espagne et en Afrique du Nord, al-Andalus, vol. XIV, fasc. 2, 1949.

المسجد الجامع بقرطبة والفن البيزنطى، باريس ١٩٥١ (بالفرنسية).

La grande mosquée de cordoue et l'art byzantin Actes du VI C.I.E.B. paris 1951.

ليفى بروفنسال: النقوش الكتابية العربية فى إسبانيا، (الجزء الخاص بالنصوص)، ليدن- باريس ١٩٣١ (بالعربية والفرنسية).

Lévi- Provençal. (E.): Inscriptions Arabes d'Eapagne, (Textes).

Leiden- Paris, 1931.

مذكرات الملك عبد الله الزيرى، الأندلس ١٩٣٥ (العربية والترجمة الفرنسية).

Les Memoires du Roi ziride Abdallah, al- Andalus 1935.

السياسة الإفريقية للخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر)، الأندلس العدد ١١، الجزء الثانى ١٩٤٦ (بالإسبانية).

La politica A fricana de Abd al- Rahman III Al- Andalus, vol. XI, fasc. 2, 1946.

إسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر الميلادى، باريس ١٩٣٢ (بالفرنسية).

L'Espagne musulmane au Xe. siècle, Paris 1932.

تاريخ إسبانيا الإسلامية، ثلاثة أجزاء، ليدن، ١٩٥٠.

Histoire de L'Espane musulmane, 3 vols, Leiden, 1950.

نصوص مقتبسة من المقتبس لابن حيان، فى مجلة أرابيكا، الجزء الأول يناير ١٩٥٤ (النصوص بالعربية مع الترجمة الفرنسية).

Documents es notules: Les citations du Muqtabis d'Ibn Hayyan, dans la revue Arabica, t. I, fasc. I, Janvier 1945.

مارسية (جورج): الفن الإسلامى: العمارة فى تونس والجزائر ومراكش وإسبانيا وصقلية، باريس ١٩٢٦ (بالفرنسية).

Marçais (Georges): Manuel d'art musulman, t. II; L'architecture en Tunisie, Algerie, Maroç Espagne et Sicile, paris 1926.

مارسى: العمارة الإسلامية فى المغرب والأندلس، باريس ١٩٥٤ (بالفرنسية).

L'architecture musulmane d'Occident, Paris 1954.

ميليدا (خوسى رامون): كتالوج الآثار فى إسبانيا، مديرية بطليوس، مدريد ١٩٢٥ (بالإسبانية).

Melida (José Ramôn): Catàlogo Monumental de Espana, provincia de Badajoz, Madrid 1925.

مورينو (منويل جومث): الكنائس المستعربة، جزءان، مدريد ١٩١٩ (بالإسبانية).

Moreno (manuel Gomez): Iglesias Mozàrabes, Madrid 1919.

المسجد الجامع بطليطلة، مجلة أمير بيانا، رقم ١٨،. بنبلونة ١٩٤٥ (بالإسبانية).

La Mezquita Mayor de Tudela, Revista Principe Viana, No. 18, Pamplona, 1945.

الفن الإسبانى، الجزء الثالث، (منذ الفتح العربى حتى عصر المولدين)، مدريد ١٩٥١ (بالإسبانية والترجمة العربية للمؤلف بالاشتراك مع الدكتور لطفى عبد البديع تحت الطبع).

Ars Hispaniae, t. III. elarte arabe hasta los Almohades, madrid 1951.

مؤنس (دكتور حسين): بحث عن سقوط الخلافة بقرطبة سنة ١٠٠٩م، القاهرة ١٩٤٨ (بالفرنسية).

Munes (H.): Essai sur la chûte de Califat Umayyade de Cordoue en 1009, le Caaire, 1948.

نونيو (جايا): غرماج، حصن خلافى، مجلة الأندلس المجلد ١٣، ١٩٤٨.

Nuno (Gaya): Gormaz, Castillo Califal al- Andalus 1948.

بالاثويلوس (الفيكونت دى): دليل فنى عملى لطليطلة، طليطلة ١٨٩٠ (بالإسبانية).

Palazuelos (el vizconde de: Guia artïstico- pràctico de Toledo, Toledo 1890.

بلنثية (جنثالث): تاريخ إسبانيا الإسلامية (مجموعة لابور) مدريد ١٩٤٥ (بالإسبانية).

Palencia (Gonzàlez): Historia de Espana Musulmana, Colecciô Labor, Madrid 1945.

ريوس (فرنسسكو أباد): سرقسطة (فى مجموعة دلائل فنية لإسبانيا برشلونة ١٩٥٢ (بالإسبانية).

Rios (Francisce Abbad): Zaragoza, coleeciôn de Guias artisticas de Espana, Barcelona 1952.

ريفيرو (كاستوماريا دل): العملة الأندلسية، مدريد ١٩٣٣ بالإسبانية).

Rivero (Casto Maria del): La moneda arabigo- espanola, Madrid 1933.

روبيانو (بابلو ألفاريث): نظام وثقافة إسبانيا القوطية، بحث فى كتاب «تاريخ إسبانيا» الجزء الثانى، برشلونة ١٩٣٢ (بالإسبانية).

Rubiano (Pablo Alvarez) Organizacion y cultura de la Espana visigoda. en Historia de Isspana t. II. Barcelona. 1932.

روبيو (خوليان ماريا): تاريخ إسبانيا القوطية، بحيث فى كتاب «تاريخ إسبانيا» الجزء الثانى، برشلونة ١٩٣٢ (بالإسبانية).

Rubio (Julian Maria): La Espana Viigoda, en Historia de Espana, t. II, Barcelona 1932.

سافدرا (إدواردو): دراسة عن فتح العرب لإسبانيا، مدريد ١٧٩٢ (بالإسبانية).

Savedra (Edouardo): Estudio sobre la invasion de los Arabes en Espana, Madrid 1892.

سالم (السيد عبد العزيز): تاريخ جامع قرطبة، مجلة الأندلس العدد ١٩، الجزء الثانى ١٩٥٤ (بالإسبانية).

Salem (A. Abdel Aziz): Cronologia de la Mezquita Mayor de Cordoba, al-Andalus vol. XIX, fasc. 2, 1954.

سانشث البرنس: تاريخ إسبانيا الإسلامية، (مجموعة وثائق تاريخية عربية مترجمة إلى الإسبانية) فى جزءين، بونيس أيرس ١٩٤٦.

Sanchéz- Albornoz: Historia de la Espana Musulmana. 2 tomos., Buenos Aires, 1946.

سيمونيت (فرنسسكو خافيير) : تاريخ المستعربين فى إسبانيا، مدريد ١٨٩٧ (بالإسبانية).

Simonet (Francisco Javier) : Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid 1932.

تراس (هنرى) : الفن الإسبانى المغربى، باريس ١٩٣٢ (بالفرنسية)

Terrasse (Henri) : L'art Hispano-Mauresque, des origines au XIIIe. siécle, Paris 1932.

.... : تاريخ المغرب الأقصى منذ أقدم العصور حتى إعلان الحماية الفرنسية، جزءان، الدار البيضاء ١٩٤٩ (بالفرنسية)

.... : Histoire du Maroc des origines á l'établissement du protstorat francais, 2 tomes, Casablanca, 1949.

توريس بلباس (ليوبولدو) : التبادل الفنى بين مصر وإسبانيا، مجلة الأندلس ١٩٣٤ (بالإسبانية).

Torres Balbás, Liopoldo, el entercambio artistico entre Espanay Egipto. al-Andalus, 1934.

.... : المسجد الجامع الأول بإشبيلية، الأندلس، عدد ١١، ١٩٤٦ (بالإسبانية).

...... : La primitiva mezquita Mayor de Sevilla, al-Atidalus, Vol. XI, 1946.

.... : بوابة سان استيبان بجامع قرطبة، الأندلس، عدد ١٢، ١٩٤٧ (بالإسبانية).

...... : La Portada de San Estaban, Al-Andalus, vol. XII, pp. 127-144, 1947.

.... : حقائق تاريخية جديدة عن جامع قرطبة المتنصر، مجلة الأندلس عدد ١٤، ١٩٤٩ (بالإسبانية).

...... : Nuevos datos sbre la mezquita de Cordoba cristianizada, Al-Andalus, vol. XIV, 1949.

...... : المدينة والأرباض والأحياء فى الأندلس، مجلة الأندلس، عدد ١٧، جزء أول ١٩٥٢ (بالإسبانية).

...... : La Medina, los Arrabales y los barrios, al-Andalus vol. XVII, fasc. I, 1952.

توريس بلباس : المسجد الجامع بقرطبة وآثار مدينة الزهراء، مدريد ١٩٥٢ (بالإسبانية).

...... : la mezquita de Cordba y las ruinas de Medinat al-Zahra, coleccion de Monumentos cardinales de Espana, t. XIII, Madrid 1952.

.... : ظواهر المدن الأندلسية، الأندلس، العدد ١٥، ج ٢ ص ٤٣٧ – ٤٨٦، ١٩٥٠ (بالإسبانية).

..... : Los contornos de las ciudades hispano Musulmanas. al-Andalus, vol XV, pp. 437-486, 1950.

...... : الأبنية الأندلسية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، عدد ١ مدريد ١٩٥٣ (بالإسبانية).

..... : Los Edificios Hispano-Musulmanes, revista del Instituto egipdio de estadios

...... : تاريخ الفن الإسباني ج٤، الفن الموحدى والفن المصرى وفن المدجنين، مطبعة بلوس الترا، مدريد ١٩٤٩ (بالإسبانية).

..... : Ars Hispaniae, t. IV, arte almohade, arte nasari, arte mudejar, Madrid Plus-Ultra, 1949.

...... : الاتساع وعدد السكان فى المدن الأندلسية، مجلة ستوديا إسلاميكا، عدد ٣، ١٩٥٥ (بالإسبانية).

..... : Extension y demogtafia de las ciudades hispanomusulmanas, studia Islamica, vol. III. 1955.

ثونيجا (ديجو أورتث دى): حوليات، ٣ أجزاء، مدريد ١٧٩٦ (بالإسبانية).

Zuniga (Diego Ortiz de): Anales Eclesiasticas y seculares, 3 tomos, Madrid 1796.

تابـــع المراجع الأوروبيـــة :

1- Abun-Nasir "Gamil M" : A History of the Maghrib. Cambridge, 1971.

2- Alfred Bel; Les Banou Chanya, Paris, 1909.

3- Amedroz: Notes on some Sufi Lives, 1912.

4- Anonyme : Chazaouat Aroudj au Khair-ed Din "Frade-Sanden-Rang et Davis" 2v in-80. Paris 1887.

5- Bovill "E.W." : The Golden Trade of the Moors. London, Oxford 1970.

6- Bourouiba "Rachid" ; Ibn Tumart. S.N.E.D. Alger. 1974.

7- .... ; Abd El-Mu'min Flambeau Des Almohades. Alger, 1974.

8- Brunschvig "R" : La Bérbérie Oriental Sous Les Hafsides. 2 Tome Paris, 1940-46.

9- Cahen "CL." " Le Commerce dans le Monde Musulman a son Apogée, UNEF, FGEL annee 1966-1974.

10- Curtin "Philip. D." : The Atlantic Slave Trade, London. 1969.

11- Davidson "B" : - Old Africa Pediscovered, London, 1959.

12- .... - Black Mother, London, 1961.

13- Debreuil : Les Pavillons des états Musulmans Hespéris Tamuda, 1960.

14- Fisher "Humphery": The Western And Central Sudan Cambridge, 1970.

15- Hartwing Derenbourg: Omara du Yemen, Sa Vie et Son Oeuvre, Tome I, Paris, 1909.

16- Heyed "W" : Histoire du Cimmerce des Levant au Moyen Age Paris, 1885.

17- Julien "C.A." : Histoire de L'Afrique du Nord de la Conquête Arabe a 1930. Paris 1952-1959.

18- Kuczynski, "R.R." : Population Movements. Oxlord 1936.

19- Lavoix "H": Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothéque Nationale. 3 Vols, Paris, 1887.

20- Lean "L'Africain" : Description de L'Afrique Adrien-Maisonnenve Paris 1956.

21- Lopez "Roberts S." : Medieval Trade In The Mediterranea World. Columbia, 1961.

22- Marçais "Georges" : la Berberie Musulmane et L'Orientin Moyen Age. Paris, 1946.

23- .... Les Arabes en Berberie du XI 'au XIV' Siécles. Paris, 1913.

24- Massignon "Luis" : Le Maroc Dans Les Premieres Années du XVII Siécle. Paris, 1906.

25- Oliver "Roland" & Fage "J.D." : A Short History of Africa. London, 1970.

26- Peyrouton "Marcel" : Histoire Générale au Maghreb. Paris, 1966.

27- Piloti "E" : L'Egypte au Commencement XV Siécle. Cairo. Univ. Fouad. 1950.

28- Pirenne "H" : Les Villes au Moyen Age. Essoi d'Histoire Economque et Sociale. Bruxelles 1937.

29- .... : Mohamet ét Charlemagne, Paris, 1937.

30- Pliak, "A.N." : Les Révoltes Populaires en Egypte a L'epoque de Mamloukes et leurs Causes Economiques. R.E.I. Tome 3. Paris, 1934.

31- Rabinowitz, "L.L" : Jewish Marchant Adventures, London, 1984.

32- Raymond Mayny's " Tabbleau Géographique de L'Oues African au Moyen Age, Paris, 1961.

33- Seligman, C.G., Races of Africa, London, 1966.

34- L'etet Economique de L'Egypte et de la Syria a la fin du Moyen Age. Paris. 1949.

35- Terrassé, : "H." : Histoire de Maroc, Casablanca, 1949.

36- Tourneau; "R. Le." : L'Occident Musulman du Vlles a la fin du XV's. Algerie 1958.

37- Wiet Gaston: Histoire de la Nation Egyptienne, Tome IV (L' Egypte Arabe) Paris 1926.

38- Cambridge Medieval History, Tome II: Medieval Trade In The Mediterranean World Columbia 1961.

تابـــع المراجـع الأوروبيـــة :

1- Altamira. R: A history of Spain from the beginnings to the present day Translated by Muna Lee. Copyright 1949. by D. Van Nostrand company. Canand. Ltd.

2- Artz. F.B: The Mind of the middle ages, Newyork 1953.

3- Darbour. N: A Survey of north west Africa (The Maghrib) Oxford University press, London 1959.

Barbour. N: Morocco, Thames and Hudson Lt. London 1965.

4- Barker. E and Clark. G: The European inheritance. 3 Volumes oxford 1954.

5- Bell. F. : Les Benou Ghanya. Paris 1903.

6- Bernard. L. and Hodges. T. B: Readings in european history Newyork 1958.

7- Cambridge medieval history: 8 Volumes, Cambridge 1936.

8- Cantor. F. N: The Medieval world, 300-1300, Columbia University, Third printing 1964.

Cantor. F. N: Medieval history, the life and death of a civilization, Columbia University, first Printing 1963. The Macmillan company, Newyork.

9- Chapman. C. E: A history of Spain, Newyork 1931.

10- Encyclopeadia Judaica, Massadah publishing company Ltd. Jerusalem, Tel - Aviv, 1958 - 1959.

11- Haskins. H. CH: Studies in medieval culture, Newyork 1929.

12- Hayes. F. C. and Baldwin. W. M: A history of Europe. The Mac

13- Hirschberg. J. W: A history of the Jews in north Africa. V.L Second revised edition. Transiated from the hebrew. Leiden 1974.

14- Hulme. M. E: The middle ages. Newyork, Henry Haltanel company 1936.

15- Ibars. A. P: Valencie arabe, Valencia 1901.

16- Lafuente. M: Historia general de Esoana. Y IV. Barcelona 1977.

17- Lea. Ch. H: A history of the inquistion in spain. V. I, II. London. Macmillan company 1906.

18- Meakin. B: The moorish empire, London, Newyork 1899.

19- O'callaghan. F. J: A history of medieva Spain, copyright 1975, Cornell University, Ithaca, Newyork.

20- Painter. S: A history of the middle ages. 284 - 1500, New york 1954.

21- Prestage. E: Chivalry, members of king's college, London 1928.

22- Remiro G.M : Historia de murcia musulmana, Zaragoze 1903.

23- Russel. B: History of western philosophy. London, second impression 1947.

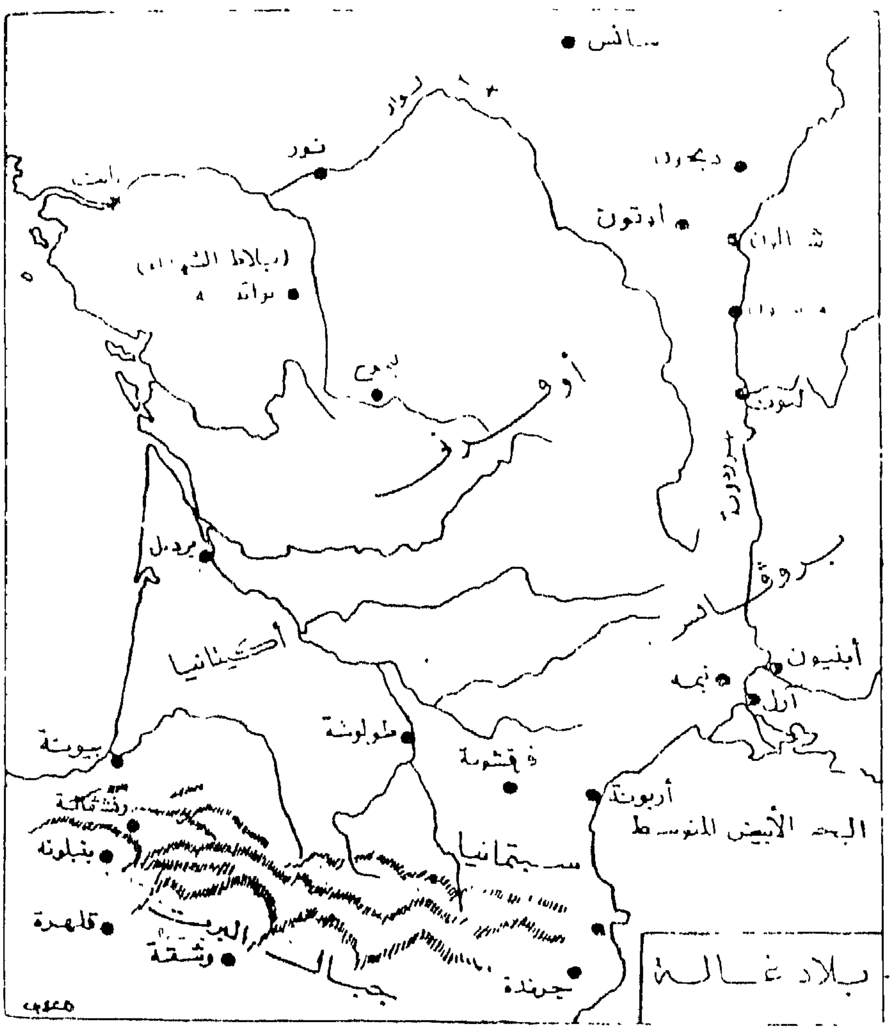
24- Scott. S. P: A history of the moorish empire in Europe V. II, III philadelphia, London 1904.

25- Sephenson. G: Medieval history (Europe from the second to the sixteenth century) Harper and brotheres publishers, Newyork and London..

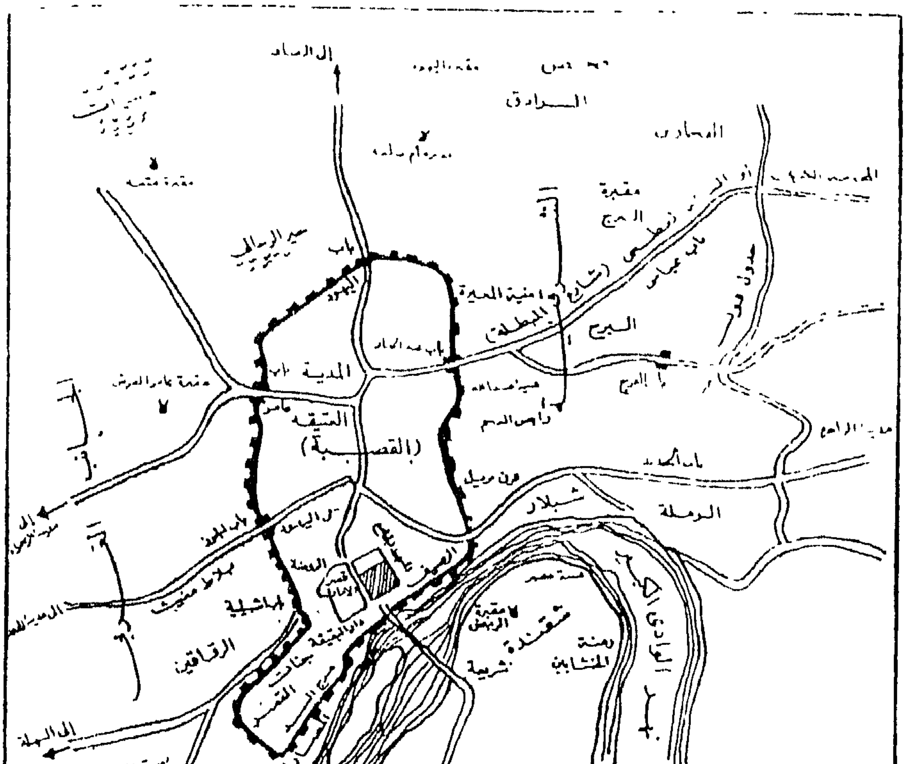
26- Thompson. W. J: The middle ages, 300-1500, V. II, III printed in the United States of America, by the plimpon press.

تاسعا :

الخرائط

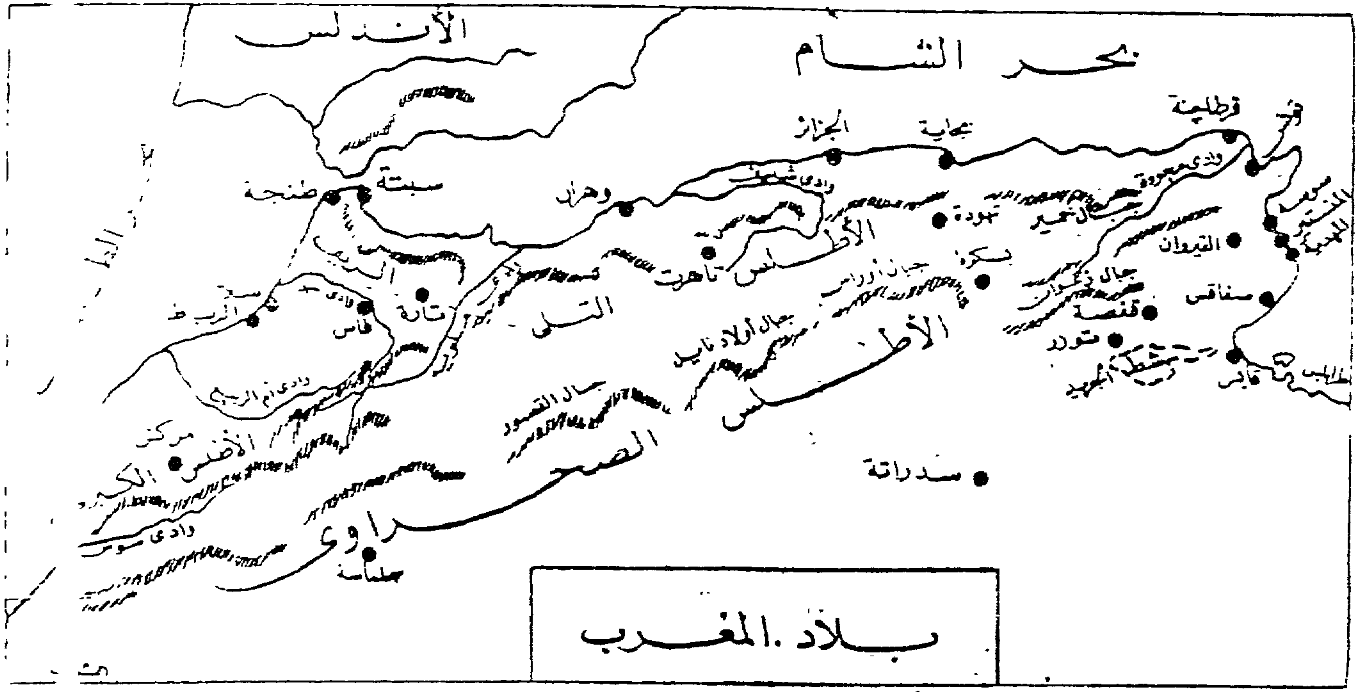


بلاد غالـــــة

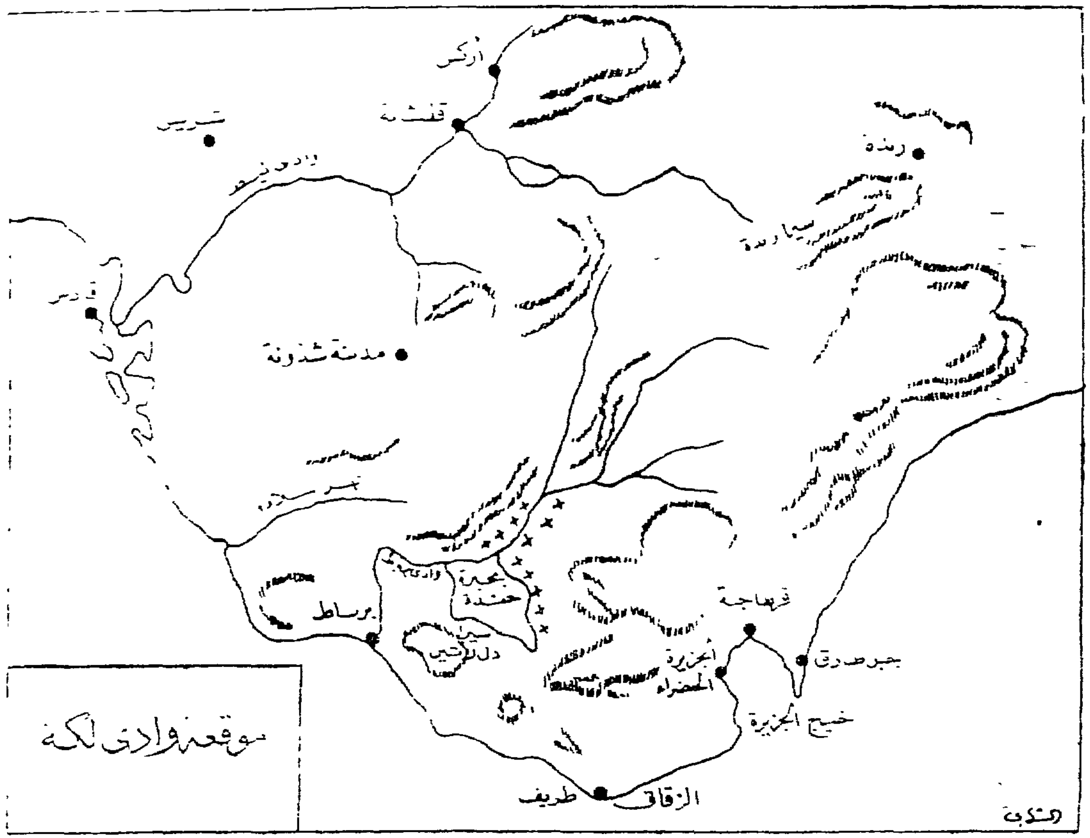


مدينة قرطبة

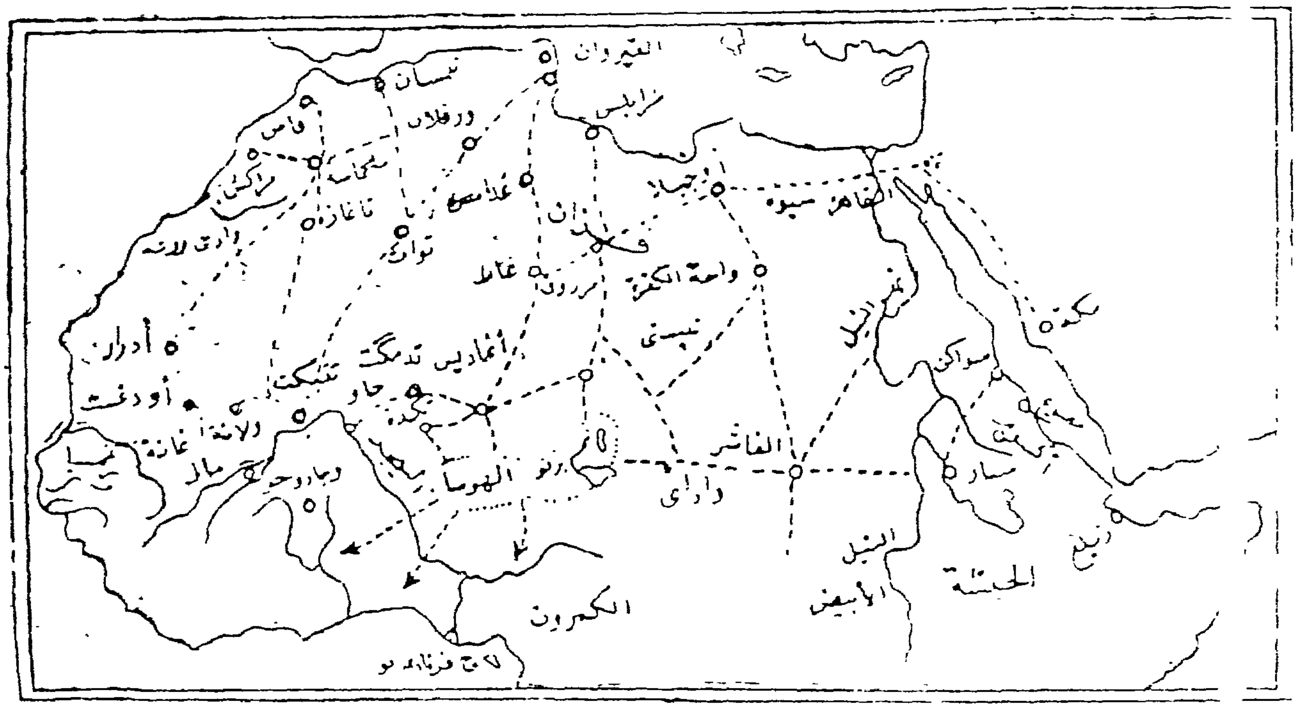
فى القرن العاشر الميلادى


بلاد المغرب
بحر الشام
الأندلس
قرطاجنة
تونس
بجاية
الجزائر
وهران
سبتة
طنجة
تاهرت
تهودة
بسكرة
القيروان
صفاقس
قفصة
قابس
سدراتة
فاس
الأطلس
التل
الصحراء
مراكش
سجلماسة
المهدية
المنستير
سوسة
جبال أولاد نايل
جبال القصور
جبال أوراس

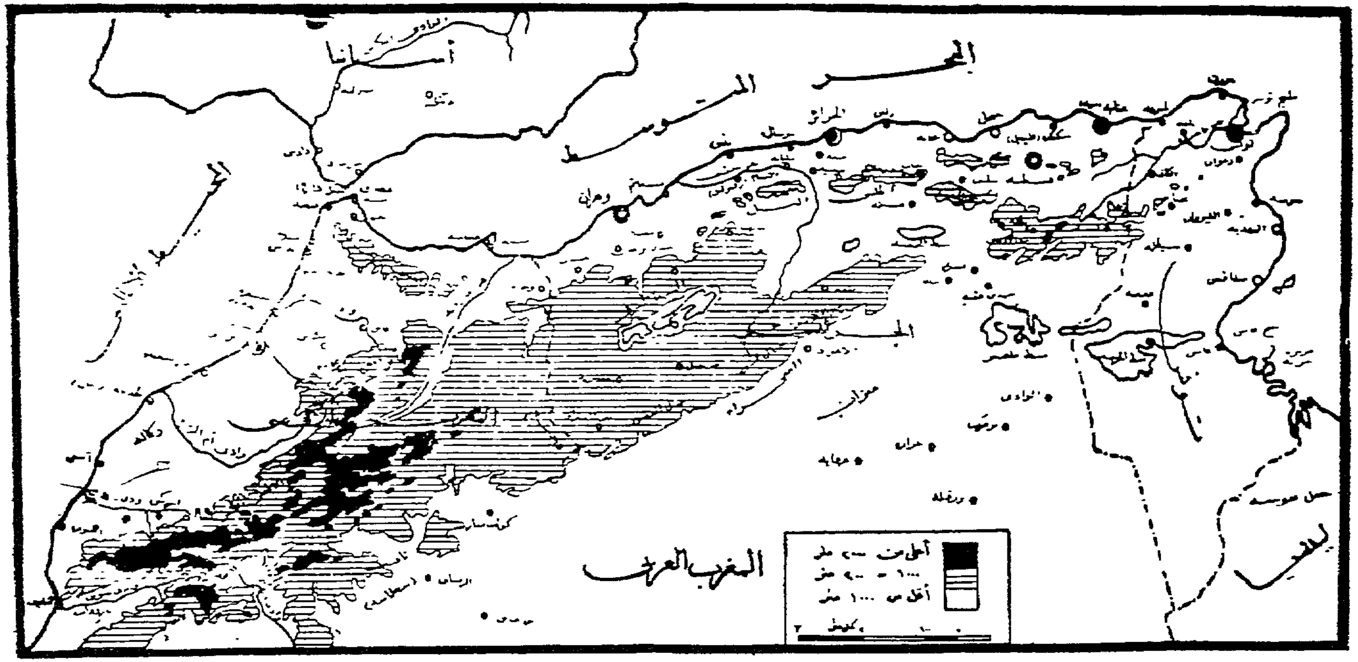
بلاد المغرب



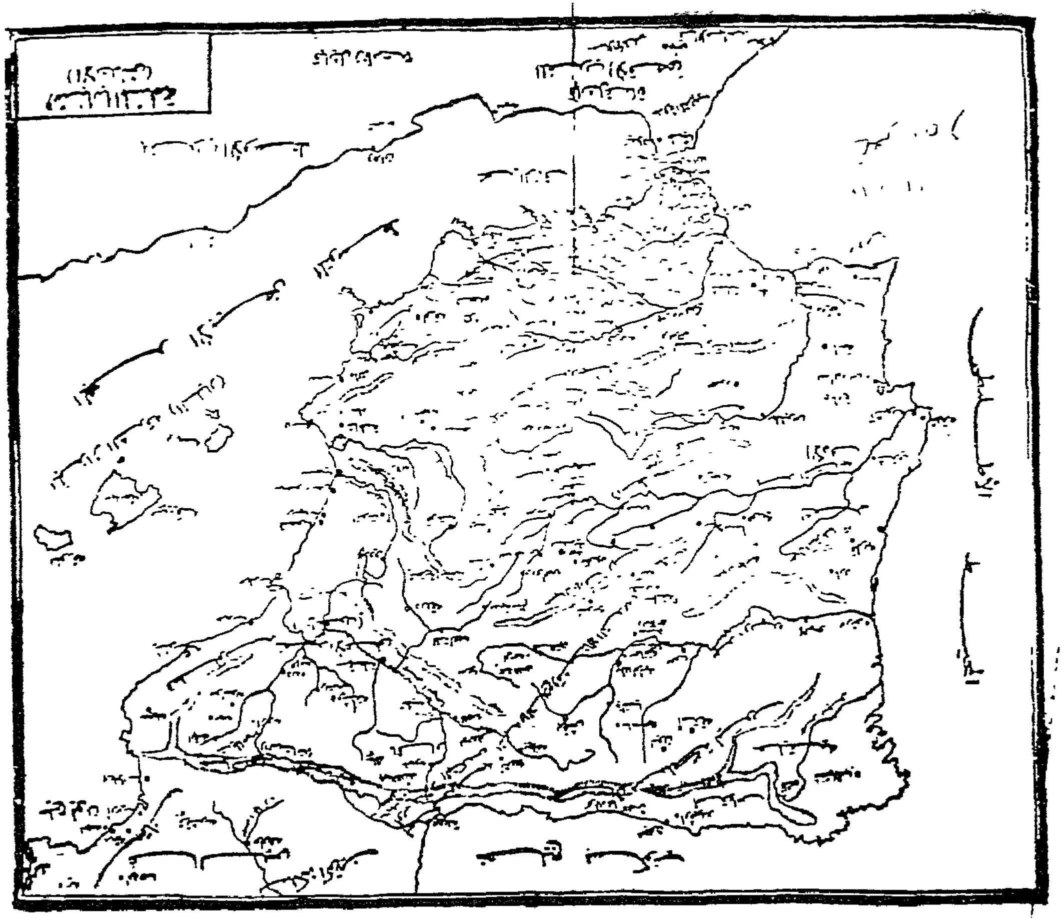
موقعة وادى لكة



طرق القوافل الرئيسية بين الغرب الإسلامى والمشرق

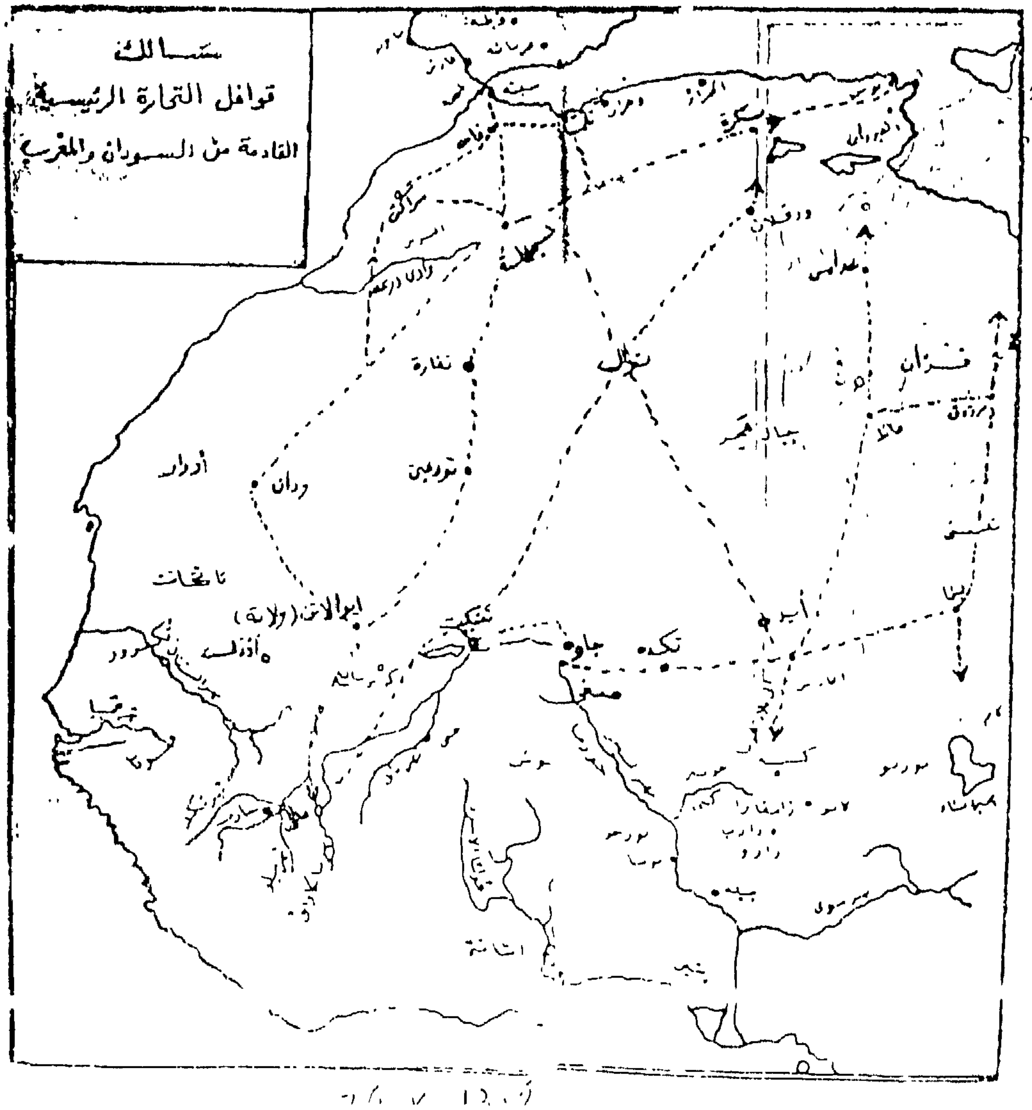


المغرب العربى



إسبانيا المسلمة

الأندلس



مسالك قوافل التجارة الرئيسية

القادمة من السودان والمغرب

عاشـــــرا :
فهـــرس المو ضــــوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصـفـحـة

الموضوع	الصفحة

الموضـــــــــوع	الصفحة
دخول العرب الهلالية المغرب : التغريبة	١٠٥
خلفاء عبد المؤمن بن على أبو يعقوب يـوسف	١٠٩
٥٥٨هـ - ٥٨٠هـ/١١٦٣م - ١١٨٤م	
أبو يوسف يعقوب المنصور الدولة الموحدية فى ذروتها	١١٢
٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ / ١١٨٤م - ١١٩٩م	
على بن يوسف بن تاشفين	١١٣
من ٥٠٠هـ إلى ٥٣٣هـ/١١٠٧م - ١١٣٨م	
ابن تومرت والدولة الموحدية	١١٥
لقاء ابن تومرت مع عبد المؤمن بن علي	١١٦
تطور حركة الموحدين	١١٦
ثورة بنى غانية المسوفيين	١١٧
جهاد المنصور الموحدى فى الأندلس وانتصار الأرك العظيم	١١٩
أبو محمد عبد الله الناصر لدين الله ابن المنصور الموحدي	١٢١
٥٩٥هـ - ٦١٠هـ / ١١٩٩م - ١٢١٣م	
ميلاد الدولة الحفصية.. نهايـة بنـى غانية - الطوارق	١٢٢
موقعة العقاب وأنهيار الجبهة الإسلامية فى الأندلس	١٢٥
جواز أمير المسلمين إلى الأندلس	١٢٩
بعض اخبار يوسف بن تاشفين على الجملة	١٣١
دولة الأمير على بن يوسف	١٣٣

الموضـــــــــوع	الصـفـحـة

رقم الإيداع	٩٥/ ١١٤٩٢
الترقيم الدولي I. S. B. N	977 / 5250 -09 - 9

دار المناهل للطباعة
٧ ش يوسف السدارى - أرض اللواء
بـــولاق الدكـــرور

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي . ٥٢٦ شارع بور سعيد . القاهرة
تليفون : ٩٣٦٢٢٧٧ / ٩٢٢٦٢٠